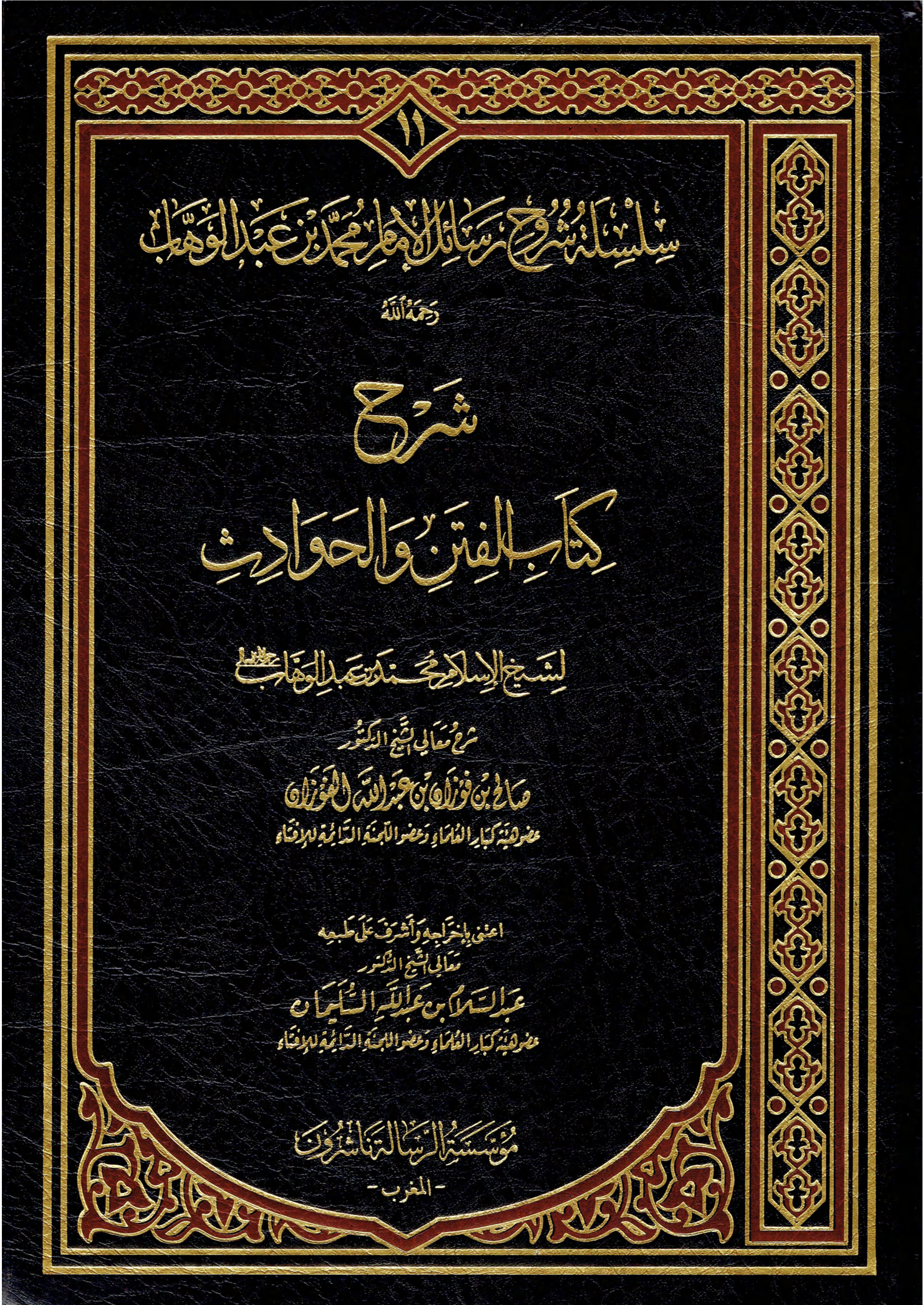
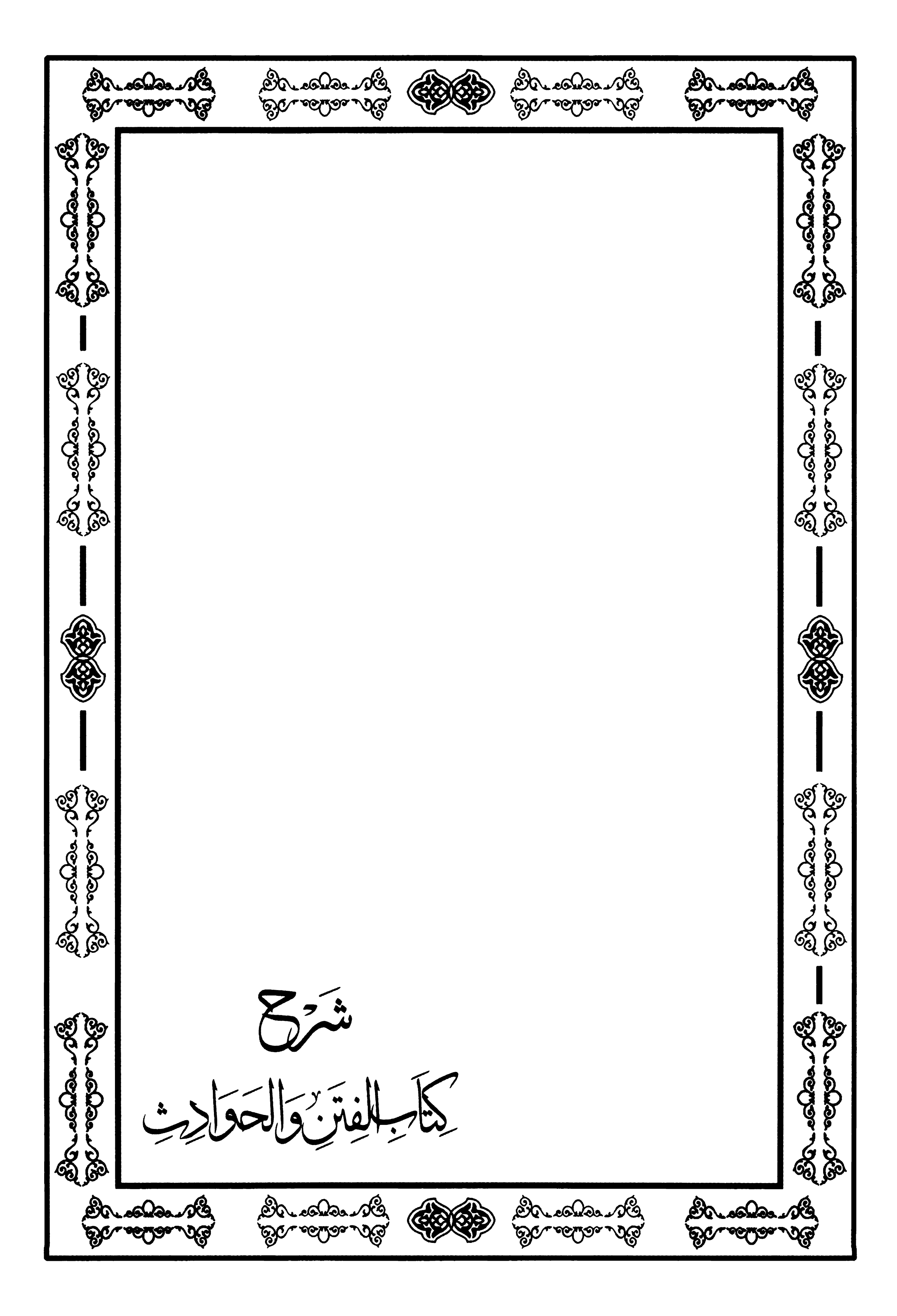

١١
سلسلة شروح رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله
شرح
كتاب الفتن والحوادث
لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
شرح معالي الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه
معالي الشيخ الدكتور
عبد السلام بن عبد الله السليمان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
مؤسسة الرسالة ناشرون
- المغرب -



شرح

كتاب الفتن والحوادث



الطَّبْعَةُ الأُولَىٰ
١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

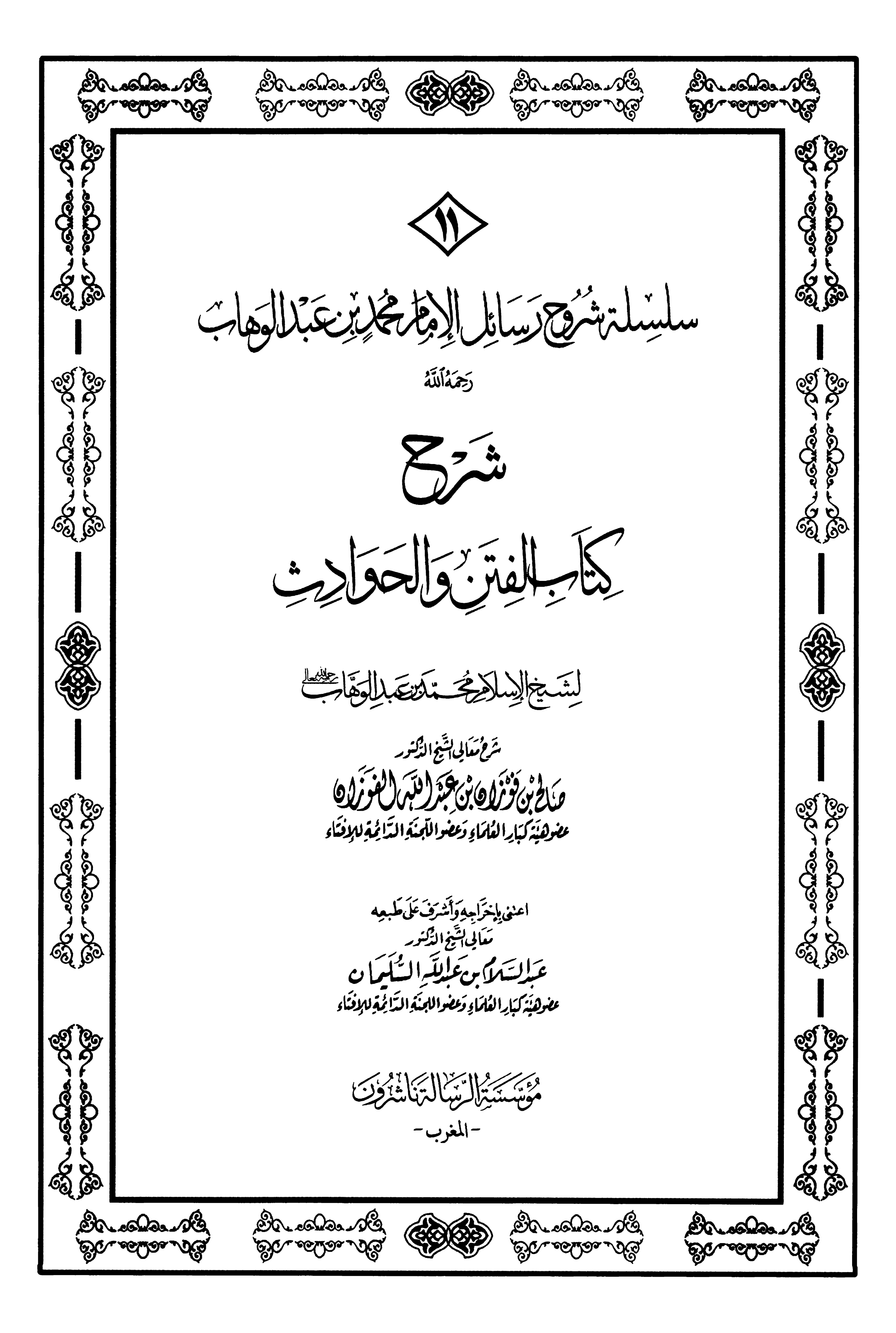
Dépôt légal : 2020MO4597
ISBN: 978-9920-9037-4-5

دار المأثور للطباعة والنشر والتوزيع

المدينة المنورة: أمام البوابة الجموبية للجامعة الإسلامية - هاتف: ٠١٤٨٤٥٣٨٠٠
الرياض: ص ب: ٢٤٠٦٣٥ - الرمز البريدي: ١١٣٢٢ - جوال: ٠٥٦٦٦٠١٦٢٧
هاتف: ٠١١٤٢٥٣٨٨٣ - فاكس: ٠١١٢٧٧٣٧٩
القاهرة: جوال: ٠١١١٢٣٧١٢٨٠ - www.daralmathour.com

مؤسسة الرسالة ناشرون
- المغرب -

الدار البيضاء _ المغرب
26 شارع ادريس الحريزي
طابق 3 الرقم 6
جوال : 00212630216055
Errissala.nachiroun@gmail.com



١١

سلسلة شروح رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

شرح
كتاب الفتن والحوادث

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

شرح معالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه

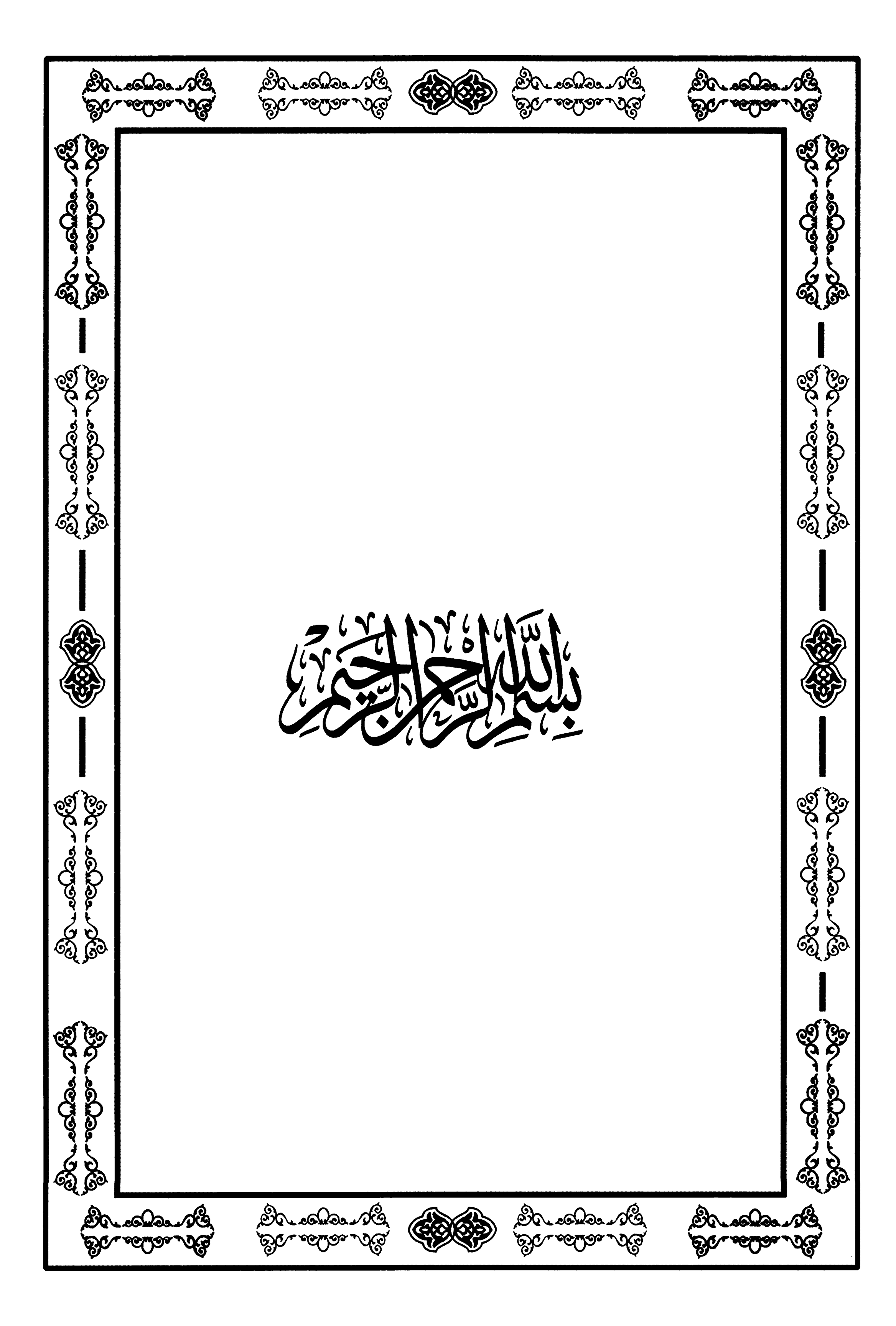
معالي الشيخ الدكتور

عبد السلام بن عبد الله السليمان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

مؤسسة الرسالة ناشرون

- المغرب -


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيمِ

بَابُ الفِتَنِ[١]

[١] بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيمِ، الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، وَصَلَّى اللهُ وَسلَّمَ عَلَى نبيِّنَا محمَّدٍ، وعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِه أَجْمَعِين، أَمَّا بَعْدُ:

قالَ رَحِمَهُ اللهُ: «**بَابُ الفِتَنِ**»؛ أيْ: فِي ذِكرِ مَا وَرَدَ مِن الأحَادِيثِ فِيمَا يَقَعُ مِن الفِتَنِ فِي هَذِه الأمَّةِ، وذَلِك لِأَجلِ التَّحذِيرِ مِنْهَا؛ لِأنَّ النَّبيَّ ﷺ ذَكَرَها؛ لأجلِ التَّحذيرِ مِنْهَا، وأنَّ الإنْسانَ يبتَعِدُ عَن الفِتنِ وَالدُّخولِ فِيهَا، ومِن أَجلِ أنْ يَصْبِرَ على مَا يُصِيبُهُ فِي دِينِه؛ لأنَّ سُنَّةَ اللهِ ﷻ فِي عِبادِه أنَّه يمتَحِنُ النَّاسَ؛ أيْ: يَختَبِرُهم.

والفِتَنُ: جمْعُ فِتنَةٍ، وَهِيَ الاخْتِبَار، اللهُ يَختَبِرُ عِبَادَه؛ لِيَتبيَّنَ الصَّادقَ مِن الكَذَّابِ، والمُؤمِنَ مِن المُنافِقِ.

قالَ تَعالَى: ﴿**الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ**﴾ [العنكبوت: ١- ٣].

اللهُ ﷻ يَعلَمُ فِي الأزَلِ كلَّ مَا يَكُونُ، وَلَكِنَّ هَذَا عِلمٌ خَاصٌّ، العِلمُ العَامُّ هذَا فِي الأزَلِ، عَلِمَ كلَّ شَيءٍ - سُبْحَانَه -، وكتَبَه فِي اللَّوحِ المَحفُوظِ، وإنَّمَا هذَا عِلمٌ عِنْدَ وقُوعِ الشَّيءِ، يَعلَمُ ﷻ وُقُوعَه فِي وَقتِهِ، ويَعلَمُ نَتائِجَه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»(١). رواه مسلم.[٢]

فلَو ترَكَ النَّاسَ مِن غيرِ ابْتلَاءٍ وامْتحَانٍ، لَاشْتَبَه المُؤمِنُ والمُنَافِقُ، والصَّادِقُ والكَاذِبُ، ولَا يُعلَمُ هَذَا مِن هَذَا، وجَرَتْ سُنَّةُ اللهِ ﷻ وَحِكْمَتُه فِي أنَّه يُجرِي الامْتِحَانَاتِ عَلَى النَّاسِ:

فمِنَ النَّاسِ مَن يَصبِرُ ويَتَمسَّكُ بِدِينِه، مَهْمَا نَالَه مِن الفِتَنِ والمشَاقِّ، وتَكُونُ العَاقبَةُ لِلمُتَّقِينِ.

ومِن النَّاسِ مَن يَنحَرِف عِندَ الفِتنِ عِن دِينِهِ؛ لأَنَّهُ مِن الأوَّلِ لَم يَكُنْ عَلَى أسَاسٍ صَحِيحٍ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾؛ يَعنِي: طَرَف، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، تَبيَّن مِن هَذَا مَا للهِ ﷻ مِن الحِكْمةِ فِي إجْرَاءِ الفِتَنِ عَلَى العِبَادِ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[٢] **قَالَ ﷺ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ»**؛ أَيْ: لَا تُؤخِّرُوا الأَعْمَالَ الصَّالحَةَ، بَل بَادِرُوا بِهَا؛ لِأَنَّكُم لَا تَدْرُون مَا يَعرِضُ لَكُم.

ولا يؤَجِّلُ الإنسَانُ العمَلَ الصَّالحَ، بَل يُبَادِرُ إلَيهِ؛ لئَلّا يَفُوتُه؛ لأَنَّها سَتَكُون فِتَنٌ تَصرِفُ النَّاسَ عَن الأَعْمَالِ الصَّالِحةِ، إلَّا مَن ثَبَّته اللهُ ﷻ.

قَولُه: «فِتَنًا» مَنصوبٌ علَى أنَّه مَفعولٌ لِلمُبَادرَةِ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (١١٨).

وهذَا فِيهِ أنَّ الإنسَانَ يَتمسَّكُ بِدِينِهِ عِندَ الفِتَنِ، ويَلجَأُ إِلَى الأعمَالِ الصَّالحَةِ، ويشتَغِلُ بِعبادَةِ ربِّه، ولَا تَصرِفُه الفِتنُ عَن ذَلِك.

قَلِيلٌ مَن يَثبُتُ عِندَ الفِتنِ، إلَّا مَن ثَبّتَه اللهُ، وتَمَسَّكَ بِالأعْمَالِ الصَّالحَةِ.

قولُه ﷺ: «فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ»؛ يَعنِي: عَظِيمَة - والعِيَاذُ بِاللهِ- ، فِتَنٌ مُظلِمَة، لَا يَهتَدِي الإنسَانُ فِيهَا إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ؛ لأنَّها مُلتَبِسَة، إلَّا مَن أعطَاهُ اللهُ عِلمًا وَفِقْهًا وعمَلًا صَالِحًا، يَنجُو بِه مِن هَذِه الفِتَنِ.

هذِه الفتَنُ إذَا جاءَت، فَإِنَّ النَّاسَ يَختَلِفُون فِيهَا؛ فَمِنهُم مَن يَثبُت علَى دِينِه مَع مَا ينالُه مِن المَشَقَّةِ، ومِنْهُم مَن يَنحَرِفُ، وَهُم كَثِيرٌ.

قولُه ﷺ: «يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا»؛ يُصبِحُ مُؤمِنًا - عَلَى الإِيمَانِ -، ثمَّ يَنحَرِفُ فِي آخِرِ النَّهارِ يُمْسِي كَافِرًا، والعَكسُ: يُمسِي مُؤمِنًا، وَيُصبِحُ كَافِرًا، مَا السَّببُ؟ **«يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»**، فهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مِن الفِتنِ الدُّنيَا - **يَعنِي**: زَهْرَةُ الدُّنيَا، وزِينَةُ الدُّنيَا، والأَمْوَال -، فهَذَا مِن الفتَنِ، وقدْ يَأخُذُ الإِنسَان الطمَعُ وحبُّ الدُّنيَا، ويتْرُك دِينَه مِن أَجلِ ذَلِك، واللهُ حذَّرَنا مِن الدُّنيَا وَزِينَتِها والاغتِرَارِ بِهَا، وإنَّما نَأخذُ مِنْهَا قَدْرَ مَا يُعِينُنا علَى طَاعةِ اللهِ ﷻ، أمَّا أنْ نَنْطَلِقَ مَعَ الدُّنيَا، وَنَنْسَى الآخِرَةَ، فهَذَا هُو الهَلَاكُ.

اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ، وَاعْمَلْ لِآخرَتِك؛ لَا تَنْهَمِك مَع الدّنيَا، وتَتْرُك الآخِرَةَ، ولَا تَنْهَمِكُ مَعَ الآخِرةِ، وَتتْرُك الدّنيَا، بَلْ خُذْ مِن هذَا وَمِنْ هَذَا.

وَلِلبُخَارِيِّ: عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»[(١)]. [٣]

والدّنيَا مَطِيّةٌ لِلآخِرَةِ، لَيْسَت مَقصُودَةً لِذَاتِها، وإِنَّمَا هِي مَطِيّةٌ ومَزْرَعةٌ لِلآخِرَةِ، وَلَا يتمتَّع بِهَا وَيَنْشَغِل بِهَا إِلَّا الكفَّارُ وَالمُنَافِقُون.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٣] هذَا حَديثُ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحشٍ رضي الله عنها؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرجَ وعَلَيهِ الفَزَعُ والخَوفُ، ظهَرَ عَلَى وَجهِهِ ﷺ احْمَرَّ وَجهُهُ مِن شِدةِ الخَوفِ عَلَى أُمّتِه وَمَا سَيَحدُثُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَهَذَا مِن نُصْحِه ﷺ لِأُمّتِه، وَلِأَنَّه يُحزِنُه مَا يَسُوؤُها، مِن كمَالِ شَفَقَتِه ﷺ؛ فَهُو ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، يَخَافُ عَلَى أمّتِه مِن الفِتَنِ، ومِن هَذِه الفِتَنِ الّتِي سَتَحدُثُ مَا حصَلَ فِي عَهدِهِ ﷺ فِي سَدِّ يَأجُوجَ ومَأجُوجَ، الّذِي ذَكَرَه اللهُ ﷻ فِي القُرآنِ.

يَأجُوجُ وَمَأْجُوجُ قَبيلٌ مِن بَنِي آدَمَ، لَهُم خِلقَةٌ خَاصَّةٌ، فِيهِم شَرٌّ عَظِيمٌ، يُفْسِدُون فِي الأَرْضِ، ولمَّا جَاءَ ذُو القَرْنَيْنِ المَلِكُ المُسلِمُ، لمَّا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْن، بَين جِبَالِ جِهَةَ شَمَالِ الأَرْضِ؛ لأنَّه ذَهَبَ إِلَى المَشْرِقِ، وذَهَبَ إِلَى المَغرِبِ، وذَهَب إِلَى شمَالِ الأَرْضِ، حتَّى بلَغَ طَرِيقًا بَيْنَ جبَلَيْن عَظِيمَيْن.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٣٣٤٦).

فقَالَ المُسْلِمُون هُنَاكَ لِذِي القَرْنَيْن: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤]؛ سَفكُ الدِّمَاءِ، الفسَادُ، شَعبٌ لَا يُبَالِي بِشَيءٍ.

عَرَضُوا عَلَيهِ أنْ يُعِينُوه بِالمَالِ؛ مِن أَجلِ أنْ يَبنِيَ مَا بَيْنَ الجَبلَيْن؛ حتَّى يَسُدَّ الطَّرِيقَ عَليهِم؛ فلَا يَخْرُجُوا عَلَى النَّاسِ.

قَالَ لهُم: إنِّي لَسْتُ بِحَاجةٍ لِلمُسَاعدَةِ المَاليَّةِ ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥]، عنْدَه استِعْدَادٌ مِن جِهةِ المَالِ، وَلَكنَّه بِحَاجةٍ إِلَى الأيْدِي العَامِلةِ، الَّتِي تَعملُ مَعَه؛ حتَّى يُقِيمَ هَذَا السَّدَّ.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الكهف: ٩٤]؛ يَعْنِي: مَالًا، تَمْوِيل.

﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ﴾ [الكهف: ٩٤]؛ أَيْ: بَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.

﴿سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]؛ يَمنَعُهم مِن الخرُوجِ عَلَى النَّاسِ.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]، هَذَا هُو السَّدُّ، وَلَيْسَ بِسَدٍّ عَادِيٍّ، سَدٌّ عَظِيمٌ.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]؛ أَيْ: نُحَاسًا.

ففَعَلَ هَذا، وَأَعَانُوهُ، وَسَدَّ عَلَيهِم الطَّرِيقَ إِلَى النَّاسِ بِهَذَا السَّدِّ العَظِيمِ.

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧]؛ يَعنِي: يَصْعَدُوا عَلَيهِ؛ لِأَنَّه أَمْلَسُ، لَا يُمْكِنُ صُعُودُه.

﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]؛ أَنْ يَحفُروا فِيهِ؛ لِأَنَّه حَدِيدٌ.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ [الكهف: ٩٨]، هَذَا السَّدُّ رَحمَةٌ مِن اللهِ بِعِبادِه،

لَكنَّه لَا يَدُومُ، يُحَاوِلُون، كلَّ يَومٍ يحَاوِلُون أنْ يَفتَحُوا هَذَا السَّدَّ؛ ليَخْرُجُوا عَلَى النَّاسِ، وخُرُوجُهم عَلَى النَّاسِ مِن عَلَامَاتِ السَّاعةِ الكُبْرَى عنْدَ قِيَام السَّاعةِ.

بَدَأتْ مُحَاولَاتُهُم فِي عَهدِ النّبيِّ ﷺ، وقَد نَقَبُوا فِيهِ: «**فُتِحَ اليَوْمَ مِن رَدْمِ يَأجُوج وَمَأْجُوج مِثْلَ هَذِه، وَحَلَّق بِإصْبَعِه الإِبْهَامِ وَالّتي تَلِيهَا**»[1]، شَيءٌ يَسِير، لكِنَّه شَرُّ مُحَاولَةٍ.

ولِهَذَا إِذَا جَاءَ آخِرُ الزَّمَانِ، وَجَاءَ المَوعِدُ، جَعَلَه دَكًّا.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨] لِلنّاسِ، يَحُولُ، بَينَهُم وَبَيْن هَذا الشَّعبِ المُفْسِد، لكِنَّ كلَّ شَيءٍ لَهُ أَجلٌ، سَيَأتِي عَلَيهِ وَقتٌ يَكونُ دَكًّا؛ يَدُكُّونَه، ويَخْرُجُون عَلَى النَّاسِ.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]، لَا بُدَّ أن يَقعَ هَذَا، هَذَا مِن تَحْذِيرِه ﷺ مِن هَذِه الفِتنَةِ، وأَنَّ النَّاسَ يَحذَرُون مِنْهَا، وَيَدعُونَ رَبَّهم يَطلُبُونَ السَّلامَةَ منْهَا.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٨ - ٩٩]؛ يَعنِي: النَّاس مَعَ يَأجُوجَ ومَأْجُوج.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩] - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، وهَذَا حِينَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأجُوجَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَعِيسَى عليه السلام مَعَ النَّاسِ، فَيَعِيثُون فِي الأَرضِ فَسَادًا، وَيَتحصَّنُ المُسلِمُون مَعَ عِيسَى عليه السلام

(١) أخرجه: البخاري رقم (٣٣٤٦).

فِي مَكانٍ - فِي الطُّورِ -؛ يَتحرَّزُون مِنْهُم، ولَا يَخرُجُ أَحدٌ، مَن خَرَجَ قَتَلُوه وآذُوه.

بَينَمَا هُم كَذَلِك فِي الضِّيقِ والشّدَّةِ، إذْ أَرْسَلَ اللهُ مَرَضًا عَلَى هَذَا الجُندِ الخَبِيثِ، فهَلَكُوا عَن آخِرِهِم، أَرسَلَ اللهُ عَلَيهِم مَرَضًا - يُسَمَّى النَّغَف - فِي رِقَابِهِم، فيَهْلَكُون عَن آخِرِهم.

يَستَرِيحُ المُسلِمُون، لَكنْ بَعدَ الفِتنِ وَالشَّرِّ، وبَعْدَ مَا يهْلَكُ مَن يَهلَك على أَيدِيهِم، فيخْرُجُ المُسلِمُون مِن الحِصَارِ حِينَذاكَ، هذِه قِصّةُ يَأجُوج وَمَأْجُوج.

لمَّا ذَكَرَ النّبيُّ ﷺ هَذِه الحَادِثَةَ العَظِيمةَ المُفْزِعَة، وأَنَّها يَهلَكُ فيهَا مَن يَهْلَكُ مِن النَّاسِ عَلَى أَيْدِي يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ، قَالَتْ زَينَبُ رضي الله عنها لِلرَّسُولِ ﷺ: «**أَنَهْلَكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟!**»(١)؛ الصَّالِحُون مِن العُلَمَاءِ والعِبَادِ والأتقِيَاءِ؛ لأنَّ العَادَةَ أنَّ الصَّالِحِين يقُومُون بِالإِصْلَاحِ، ويَنْهَون النَّاسَ عَن الفَسَادِ؛ يَأمُرُون بِالمَعرُوفِ، ويَنْهَون عَن المُنكَرِ، فيَدفَعُ اللهُ الشَّرَّ، فَوُجُودُ الصَّالِحِين فِي المُجتَمَعِ عَلَامَةُ نجَاةٍ، وخلُوُّ المُجتَمعِ مِن الصَّالِحِين عَلامَةُ هَلاكٍ، هَذَا فِي فَضلِ الصَّالِحِين ووُجُودِ الصَّالِحِين.

والعَادَةُ أنَّ الصَّالحِين يَكُون لَهُم دَورٌ فِي الإِصْلاحِ والأَمرِ بالمَعرُوفِ والنَّهيِ عَن المُنكَرِ، والقِيَام فِي وَجهِ الفِتَنِ.

لكِنْ قَالَ: نَعَمْ، تَهلَكُون وَفِيكُم الصَّالِحُون فِي ذَاكَ الوَقتِ؛ لأنَّ الخبَثَ يَكثُرُ، الفَسَادُ يَكثُرُ، ولَا يَستَطِيعُ الصَّالِحُونَ مُقَاومَته، أَوْ لَا يَقُومُون بِمُقَاوَمَتِه، يَكسَلُونَ.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٣٣٤٦).

وَلَه عَن أُسَامَةَ ﷺ، قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ القَطْرِ»(١).[٤]

عِنْدَ ذَلِكَ يَحصُلُ الهَلاكُ علَى الجَمِيعِ - علَى الصَّالحِ وَالطَّالحِ -؛ فيَهْلَكُون جَمِيعًا، ويهْلَكُ الصَّالِحُون مَعهُم.

لكنَّ اللهَ يَبعَثُ الصَّالِحِين عَلَى نِيَّاتِهِم يومَ القِيامَةِ - كَمَا فِي الحَدِيثِ(٢) -، يَهلَكُونَ معَ الهَالِكِين، ولكنَّ اللهَ يَبعَثُهُم يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى نِيَّاتِهِم.

فَهَذَا فِيهِ: التَّحذِيرُ مِن الفِتَنِ، وَمِنْهَا فِتنَةُ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ.

وفِيهِ: أنَّه إِذَا كَثُرَ الشَّرُّ، فإنَّهُ مُؤذِنٌ بِحُصُولِ الهَلَاكِ عَلَى الجَمِيعِ، وأنَّ الصَّالِحِين وَالمُصْلِحِين والعُلَمَاءَ عليهِم أنْ يَقُومُوا بمُقَاوَمَةِ المُنكَرَاتِ والشرُورِ، وَلَا يَستَسْلِمُوا؛ فإِذَا اسْتَسْلَمُوا، وَتَرَكُوا الإِنْكَارَ، جَاءَتِ العُقُوبَةُ عَلَى الجَمِيعِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٤] النَّبيُّ ﷺ لَه مُعجِزَاتٌ، وَمِن ذَلِكَ هَذِه المُعجِزَةُ: «**أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُطُمٍ**»؛ **يَعنِي**: عَلَى قَصْرٍ مُرتَفعٍ مِن آطَامِ المَدِينَةِ، كانَتْ فِيهَا آطَامٌ، وَهِي أَبْرَاجٌ قَوِيّةٌ؛ يَرقُبُون فِيهَا أَحوَالَ العَدُوِّ، يَصعَدُون عَلَيهَا، ويَرتَفِعُونَ عَلَيْهَا؛ يَنظُرُونَ العَدُوَّ المُقبِلَ عَلَيهِم.

صَعدَ ﷺ عَلَى وَاحدٍ مِنْهَا، فَقَال: «**هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟**»، قَالُوا: لَا. لِأَنَّهُم لَا يَرَوْنَ مَا يَرَاهُ الرَّسُولُ ﷺ، هَذاَ مِن خَصَائِصِه ومُعجِزَاتِه، وَهَذَا مِن بَابِ التَّحذِيرِ لِلأُمَّةِ.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (١٨٧٨)، ومسلم رقم (٢٨٨٥).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٨٤).

قَالَ: «**إِنِّي لأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ**»؛ عِندَ أَوْ قَرِيبًا مِن بُيُوتِكُم؛ لأنَّ الفِتنَةَ سَتَغْشَى النَّاسَ فِي بُيُوتِهم، وَهَذا تَحذِيرٌ مِنْهُ ﷺ؛ أَنَّه سَيَكُونُ هنَاكَ فِتَنٌ تَصِلُ إِلَى النَّاسِ.

العَادَةُ أنَّ النَّاسَ إِذَا بَقُوا فِي بُيُوتِهِم، يَسلَمُون مِن الفِتَنِ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهَا وتَعَرَّضُوا لِلفتَنِ، تُصِيبُهُم، لَكنَّ هَذِه لَا تَقِي مِنْهَا البُيُوتُ، هَذِه فِتَنٌ تَصِلُ إِلَى النَّاسِ فِي بُيُوتِهم، وهُم سَاكِنُونَ فِيهَا، وهَذَا - واللهُ أَعلَمُ - فِي آخِرِ الزَّمَانِ، إِذَا تَطَوَّرَ وَسَائِلُ الإِعلَامِ وَالبَثُّ الفَضَائِيُّ والأَقْمَارُ الصِّنَاعِيّةُ - كمَا يَقُولُونَ -، فَإِنَّ الشرَّ يَنتَقِلُ مَعَهَا بِسُهُولَةٍ، وَيَصلُ إِلَى البيُوتِ بِوَاسِطَةِ الشَّاشَاتِ، بوَاسِطةِ المُعِدّاتِ التِي تَنقُلُ الأَحْدَاثَ، ينْظُرُ إِلَيهَا الإِنسَانُ وهُوَ فِي بَيتِهِ، وهِيَ فِي أَقصَى الأَرْضِ؛ كأَنَّهُ مَوجُودٌ عِنْدَهَا.

والرَّسُولُ ﷺ لَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، وإِنَّ هَذَا شَيءٌ سَيَحصُلُ، وإِنَّ الفِتنَ سَتَغزُو البُيُوتَ، تَدخُلُ عَلَيهَا، وَهَذَا مِن بَابِ التَّحذِيرِ، هذَا إِخبَارٌ مِنْهُ ﷺ؛ يُحذِّرُ النَّاسَ، وعِندَ وُجُودِ هذِهِ الفِتنِ المُنتَشِرَة يَأخُذُ الإِنسَانُ حِذْرَه، ويَصُونُ بَيتَهُ مِن وُصُولِ هَذِه الفِتَنِ إِلَيهِ، وهَذَا فِيهِ صُعُوبَةٌ، وَلَكنْ مَعَ الصَّبْرِ والاحتِسَابِ يُعِينُهُ اللهُ ﷻ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

ولِمسلِمٍ: عَن سَالِمِ بنِ عبْدِ اللهِ قَالَ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا أَسْأَلَكُمْ عَنِ الصَّغِيرَةِ، وَأَرْكَبَكُمْ لِلْكَبِيرَةِ، سَمِعْتُ أَبِي عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا - وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ - مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ، وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ، مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، خَطَأً. فَقَالَ اللهُ ﷻ لَه: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]»(١). [٥]

---

[٥] هذَا سَالِمُ بنُ عَبدِ اللهِ بن عُمَر بن الخَطَّاب ﷺ يُنكِرُ عَلَى أَهلِ العِرَاقِ مَا يَحدُثُ مِنْهُم مِن الفِتنِ والشُّرُورِ فِيمَا بينَهُم، وَقَتلِ بَعضِهِم لِبَعضٍ وسَفْكِ الدِّمَاءِ.

قَولُه: «مَا أَسْأَلَكُمْ عَن الصَّغِيرَةِ، وأَرْكَبَكُم لِلكَبِيرَةِ»، طَبِيعَةُ بَعضِ النَّاسِ المُتَحَذْلِقِين وَالمُتَشَدِّدِين أَنَّهُم يَسْأَلُونَ عَن الأُمورِ الصَّغِيرَةِ، وَيَترُكُونَ الكَبَائِرَ؛ لِجَهْلِهِم، وَلِمَحَبَّتِهم لِلفِتنَةِ.

كانَ الأَوْلَى العَكسُ؛ أَنَّ الإِنْسَانَ يَسأَلُ عَن الأُمورِ الكَبَائِرِ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَجتَنِبَهَا، أَمَّا الصَّغَائِرُ، فَأَمْرُها سَهلٌ، وهَذَا مِن التَّشَدُّدِ، السُّؤَالُ عَن الصَّغَائرِ هَذَا مِن التشَدُّدِ، والتّشَدّدُ يَجلِبُ إِلَى التَّسَاهُلِ والانْفِلَاتِ - والعِيَاذُ بِاللهِ -.

هَذَا فيه: أَنَّ المُسلِمَ وَطَالِبَ العِلمِ يَعتَنِي بِالأُمُورِ الكَبِيرَةِ الخَطِرَةِ، ويَسأَلُ عَنْهَا، وَلَا يَنشَغِلُ بِالأُمْورِ الصَّغِيرَةِ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٠٥).

أَهْلُ العِرَاقِ يَتشدَّدُونَ لِمَاذَا؟ لأنَّ أَكْثَرَهُم مِن الحَرُورِيَّةِ وَمِنَ الخَوَارِجِ، فَهُم يَسأَلُونَ عَن الأمُورِ الصَّغِيرَةِ، ويَترُكُونَ الأمُورَ الكبِيرَةَ الخَطِيرَةَ، لَا يَسألُونَ عَنْهَا، ويَرتكِبُونَهَا.

فِي رِوَايةٍ يَقُولُ ابنُ عُمَر ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى هَذَا، يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ البَعُوضِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ**»[1]، الّذِي قَتَلُوه هُم أَهلُ العِرَاقِ، قتَلُوا سِبْطَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

انْتَبِهْ! يَسأَلُونَ عَن الصَّغِيرَةِ؛ عَن دَمِ البَعُوضِ، يَقُولُونَ: هَل هُو نَجسٌ دَمُ البَعُوضِ؟! يَسأَلُونَ: هَلْ دَمُ البَعُوضِ نَجِسٌ؛ يَحتَاجُ إِلَى غُسْلٍ؟ وهُم يَرتَكِبُون الكَبِيرةَ؛ يَسفِكُونَ دَمَ الحُسَيْنِ بنِ عَليٍّ ﷺ سِبْطَ الرَّسُولِ ﷺ، اسْتَدْعُوهُ مِن المَدِينَةِ، وَخَرَجَ إِلَيهِم، فَخَذَلُوه، وَتَرَكُوه حتَّى قُتِلَ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، ولَم يُسَاعِدُوه، هَذِه طَبِيعَتُهُم.

ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ الرَّسُولِ ﷺ، وأَنَّ الفِتنَ تَأتِي مِن قِبَلِهِم، مِن قِبَلِ المَشْرِقِ؛ مَشْرِقِ المَدِينَةِ.

مَشْرِقُ المَدِينَةِ مَا هُو؟ العِرَاقُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! الّذِي يَقعُ شَرقَ المَدِينَةِ هُو العِرَاقُ.

أَشَارَ ﷺ إِلَى المَشرِقِ، «**إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَهُنَا**»، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيطَانِ[2]، وهُو المَشرِقُ، فَالفِتنُ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - تَأتِي مِن المَشرِقِ؛ مَشرِقِ المَدِينَةِ.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٥٩٩٤).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٠٥).

فهَذَا فِيهِ: الإِنْكَارُ عَلَى التّشَدُّدِ فِي الأُمُورِ الصَّغِيرَةِ، والتّسَاهُلِ فِي الأُمُورِ الكَبِيرَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ: القَتلُ، قَتْلُ النُّفُوسِ هَذِه كَبِيرَةٌ؛ فَأَكثَرُ مَا وَقَعَ القَتلُ فِي العِرَاقِ؛ حَيثُ خَرَجَ الخَوَارِجُ يَقتُلُونَ المُسلِمِين.

ومِن ذَلِكَ وَقعَةُ النَّهْرَوَانِ بَيْنَ المُسلِمِين بِقِيَادةِ أَمِيرِ المُؤمِنِين عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالبٍ ﷺ وبين الخوارج، قُتِلَ مِنهُم مَقتلةٌ عَظِيمَة؛ سِتّة آلافٍ أَوْ أكثَر مِن الخَوَارِجِ قَتلَهُم أَمِيرُ المُؤمِنين ﷺ، كفَّ اللهُ بِذَلِك شَرَّهم عَنْ المُسلِمِين.

فهُم مَعَ أَنَّهُم يَسأَلُونَ عَن الصَّغَائِرِ، لَا يُبَالُونَ بِالكبَائِرِ؛ فيَسْأَلُون عَن دَمِ البَعُوضِ، وَيَستَحِلّونَ دَمَ المُسلِمِ؛ كمَا فَعَلُوا مَعَ الحُسَيْنِ وغَيْرِه.

فهَذَا فِيهِ: التَّحذِيرُ مِن التّشدُّدِ، وأنَّه مِن الفِتَنِ، وأنّه عَلامَةٌ عَلَى الخَوَارِجِ، هَذَا دَأْبُهُم؛ يَسأَلُونَ عَن الصَّغَائِرِ، ويَنْتَهِكُون الكبَائِرَ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، هذَا مِن الفِتَنِ الّتِي تَحصُلُ فِي المسلِمِين مِن بَعضِهِم مَعَ بَعضٍ.

بَيَّن ﷺ شِدّةَ قتلِ النفُوسِ بِغَيرِ حَقٍّ، هَذَا شَيءٌ حَصَلَ لِمُوسَى ﷺ؛ كمَا ذَكَرَ اللهُ فِي قِصتِهِ، مُوسَى ﷺ تربَّى فِي بَيتِ فِرعَونَ، وكَانَ رَجُلًا قَوِيًّا مُهَابًا، هَيَّأَهُ اللهُ ﷻ لحَمْلِ الرِّسَالَةَ، فَنَشَأَ نَشْأَةً قَوِيَّةً.

فِي ذَاتِ يَومٍ جَاءَ يَمْشِي، فَوَجَد فِي المَدِينَةِ رَجُلَيْن يَقتَتِلَان - يَتَضَارَبَان -؛ وَاحدٌ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن جَمَاعةِ مُوسَى ﷺ، والثّانِي مِن القِبْطِ جَمَاعةِ فِرْعَونَ.

﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [القصص: ١٥]؛ أَيْ: مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ.

﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]؛ **يَعنِي**: مِن آلِ فِرْعَونَ.

﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [القصص: ١٥]؛ اسْتَغَاثَ بِمُوسَى، وهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أنَّ الاستِغَاثَةَ بِالمَخلُوقِ فِيمَا يَقدِرُ عَلَيهِ جَائِزةٌ.

والاسْتِغَاثَةُ: طَلبُ الغَوثِ عِندَ الشِّدَّةِ.

مِن عَادةِ مُوسَى عليه السلام وَكرَمِه وَرُجُولتِه أنّه يُسَاعِدُ المُحتَاجَ، ويُفرِّجُ عَن المَكرُوبِ فهذا مِن شَمَائلِه عليه السلام، فمُوسَى عليه السلام تدَخَّلَ، وَوكَزَ الرَّجلَ العدُوَّ بِيَدِه، ضَرَبَه بِيدِه، لَم يَتعمَّدْ قَتلَهُ، إنّمَا أرَادَ رَدْعَه، وَكَزه مُوسَى عليه السلام، لكنَّه كَانَ قَوِيًا، تَسبَّبَ عَن هَذِه الوَكزَةِ أنَّ القِبطِيَّ مَاتَ، قَضَى عَليْهِ، لَم يَقصِدْ هَذَا، هذَا قَتَلٌ خَطأٌ، ثُمَّ اعتَرَفَ عليه السلام أنَّ هَذَا خَطَأٌ، وأنَّه مِن عَمَلِ الشَّيطَانِ، فاسْتَغفَرَ رَبَّه، فَغَفَرَ لَه، لكنْ أَصَابَ مُوسَى عليه السلام بَعْدَ ذَلِك عُقوبَةٌ؛ ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

أَصبَحَ خَائِفًا فِي المَدِينَةِ يَترقَّبُ، وَخرَجَ هَارِبًا، ذَهَب إِلَى أَرضِ مَدْيَن مِن مِصْرَ، وبَقِيَ فِي مَدَين عشْرَ سَنوَاتٍ، يَرعَى الغَنَمَ - كمَا ذَكَرَ اللهُ القصَّةَ فِي ذَلِك -، كلُّ هَذَا مِن التَّربِيَةِ لِمُوسَى عليه السلام، وأيضًا ليَذُوقَ شَيئًا مِن عُقُوبَةِ قَتلِ النَّفسِ بِغَيرِ حَقٍّ، معَ أَنَّه خَطأٌ، فَكَيفَ بِالتَّعمُّدِ - والعِيَاذُ باللهِ - ؟!

قَتْلُ النَّفسِ تَعمُّدًا: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]، وَحتَّى الكَافِر لَا يَجُوزُ قَتلُهُ، إذَا كَانَ لَه عَهدٌ أوْ مُستَأمَن؛ لأنَّه مِن النَّفسِ الّتِي حَرَّمَ اللهُ.

فمَا حَصَلَ مِن مُوسَى عليه السلام فِيهِ عِبرَةٌ، وفِيهِ تَعظِيمُ خَطرِ قَتلِ النّفُوسِ بغَيرِ حَقٍّ، هَذَا فِيهِ التَّحذِيرُ مِن سَفكِ الدّماءِ؛ سَفك دِمَاءِ المُسلِمِين،

وَلَه عَن مَعْقِلِ بنِ يَسَارٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»[1].[٦]

وَسَفكِ دِمَاءِ الّذِين لَهُم عَهدٌ عِنْدَ المُسلِمِين، أَوْ حُرمَةٌ، أَوْ أَمَانٌ عِند المُسلِمِين؛ إِنَّه أَمرٌ خَطِيرٌ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٦] **قَولُه ﷺ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ»؛ يَعنِي**: وَقت الفِتَنِ وَسَفكِ الدِّمَاءِ الإنسَانُ يَعتَزِلُها، وَيشتَغِلُ بِالعِبادَةِ؛ عِبَادَةِ رَبِّه.

فَهَذا فِيهِ الحَثّ لِلمُسلم عِندَمَا تَحدُثُ فِتنٌ بَيْنَ المُسلِمِين أَلَّا يَدخُلُ فِيهَا، وَأَنْ يَشتَغِلَ بِعبَادةِ رَبِّه، وهَذِه هِجرَةٌ.

الهِجرَةُ فِي اللّغَةِ: هِي التَّركُ وَالانْتِقَالُ مِن حَالةٍ إِلَى حَالةٍ، فَهُو يَترُكُ الدّخُولَ فِي الهَرْجِ وَالقَتلِ، وَيَشتَغلُ بِعبَادةِ رَبِّه، هَذِه هِجرَةٌ كَالهِجرَةِ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، الهِجرَةُ مِن الهَرْجِ إِلَى العِبَادةِ كَالهِجرَةِ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ فِي حيَاتِهِ؛ الهِجرَةُ المَعرُوفَةُ العَظِيمَةُ، لَمَّا هَاجَرَ الصَّحَابَةُ ﷺ معَهُ إِلَى المَدِينةِ؛ لنُصرَةِ دِينِ اللهِ ﷻ.

والهِجرَةُ فِي الاصْطلَاحِ: التَّركُ، مِنهَا تَركُ الوَطنِ فِرَارًا بِالدِّينِ، وَمِنْهَا تَركُ الفِتنِ إِلَى السّنَّةِ، فَتَركُ القَتلِ بينَ النَّاسِ إِلَى العِبَادةِ، هَذَا نَوعٌ مِن الهِجرَةِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٤٨).

وَلِمُسلم عَنِ ابْنِ عَمرِو بنِ العَاصِ ﷺ، عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّه قَالَ: «إِذاَ فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِس وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»[1].[٧]

---

[٧] مِن الأخبَارِ الّتِي أَخبَرَ بِهَا النّبيُّ ﷺ فِي المُستقبَلِ أنَّ اللهَ ﷻ يَنشُرُ هَذَا الدِّينَ فِي مَشارِقِ الأَرضِ وَمَغَارِبِها، وَأَنَّه يَتوَسَّعُ مُلكُ المُسلِمين.

وكَانَتْ فِي عَهدِ النَّبِيِّ ﷺ دولَتَانِ عَظِيمَتَانِ:

دَولةُ الفُرسِ فِي المَشرِقِ، تُسَمَّى دَولةُ فَارِسٍ، وَهُم المَجُوسُ.

ودَولَةُ الرُّومِ فِي المَغرِبِ، وَهُم أهلُ الكِتَابِ مِن النَّصَارَى.

دَولتَانِ عَظِيمَتَان، مَن الّذِي يُفكرُ أنَّ المُسلِمين سَيتَغَلّبُون عَلَى هَاتَيْن الدَّولَتَيْن، إلَّا أنَّ اللهَ ﷻ يَنصُرُ دِينَه، وَيُعلِي كَلِمتَه، وَيُظهِرُ دِينَه عَلَى الدِّينِ كُلِّه، هَذَا وَعدُ اللهِ ﷻ بِه، وَعْدُ الحقِّ، حصَلَ هَذَا، فَجَاهَدَ المُسلِمُون بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ، فَغَزُوا فَارِسَ، حتَّى أَسقَطُوهَا، وَغَزُوا الرُّومَ، حَتَّى أَسقَطُوهُم، اسْتَولُوا عَلَى بِلَادِهِم وَعَلَى أَموَالِهِم.

لكِنْ سَأَلَ النّبيُّ ﷺ أَصحَابَه: كَيْفَ تكُونُونَ فِي هَذَا الوَقتِ؟

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٦٢).

وهَذَا فِيهِ التَّحذِيرُ مِن انْفِتاحِ الدّنيَا؛ لأنَّه جَاءَ عَلَى أثَرِ هَذِه الفتُوحِ أنْ كَثُرَت الأموَالُ عِنْدَ المُسلِمِين؛ إذ فَاضَ عَلَيهِم المَالُ مِن كنُوزِ كِسْرَى مَلِكِ الفُرسِ وكُنُوزِ قَيْصَرَ مَلكِ الرُّومِ، ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

كيْفَ تكُونُونَ فِي هَذَا الوَقتِ؟ يَسأَلُ المُسلِمِين؛ **يَعنِي**: هَلْ تَبقُونَ عَلَى دِينِكُم، أَمْ تنْحَرِفُونَ عَنهُ مَعَ الدّنيَا.

قالَ عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ ﷺ **-يحسِنُ الظّنَّ-**: نَكُونُ عَلَى خَيرٍ.

يَعنِي: نَستَعِينُ بِهَذِه الأمْوَالِ عَلَى طَاعةِ اللهِ وَعَلَى الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، هَذَا الّذِي كَانَ يُؤَمِّلُه عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ.

«**قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: **أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ**»؛ أيْ: الأَمْرُ سَيَكُونُ غَيرَ مَا تَقُولُ، مَا هُوَ؟ أنَّه سَيَكُونُ هُنَاكَ فِتنَةٌ بَيْنَ المُسلِمِين، يَتَنَافَسُونَ الدّنيَا، فَإذَا فُتِحَتْ علَيْهِم الدّنيَا يَتَنَافَسُونَهَا؛ كلٌّ يُرِيدُ أنْ يَأخُذَها عَن الآخَرِ، يَستَوْلِي عَلَيهَا، ثمَّ يَنشَأُ عَن هَذَا التَّحاسُدُ والقَطِيعَةُ بَيْن المُسلِمِينَ مِن أجْلِ الدّنيَا، ثمَّ يَتَطوَّرُ الأمْرُ إلَى القَتلِ، تَتَقَاتَلُونَ عَلَى الدّنيَا، فَهَذَا فِيهِ التَّحذِيرُ مِن الرَّسُولِ ﷺ.

وفِيهِ: عَلَمٌ مِن أَعْلَامِ نُبُوَّتِه ﷺ؛ أنَّها سَتَسْقُطُ دَولةُ الفُرسِ ودَولَةُ الرُّومِ بِيَدِ المُسلِمِين، مَن الّذِي كَانَ يُؤَمِّلُ هَذَا - المُسلِمُون كَانُوا أَقَلِّيَّةً مُستَضعَفِينَ فِي الأَرضِ -؛ إنَّهُم فِي وَقتٍ سَيظْهَرُون، مَن يُؤَمِّلُ هَذَا؟! أَخبَرَ ﷺ أنَّه سَيَكُونُ، وَكَانَ، وَهَذَا مِن عَلَامَاتِ نُبُوتِهِ ﷺ.

لَكنَّه حَذَّرَ مِمَّا يَحدُثُ عِنْدَ ذَلِك مِن الفِتَنِ: مِن التَّحَاسُدِ، مِن التنافُسِ

عَلَى الدّنيَا، مِن الانْشِغَالِ بِهَا، مِن التَّحاسُدِ فِيمَا بَيْنَهم، حتَّى يؤُولُ الأمْرُ إِلَى سَفكِ الدِّمَاءِ فِيمَا بَينَهُم.

الرَّسُولُ ﷺ حَذَّرَ أُمتَه عِنْدَ ذَلِك، حَذَّرَهم مِن هَذَا الخطَرِ فِي المُستَقبَلِ، وَقَد حَصَلَ مَا توقَّعه ﷺ؛ لأنَّه لَا يَنطِقُ عَن الهَوَى.

وقَد بَيَّن لأُمتِهِ كلَّ شَيءٍ - كمَا يَأتِي فِي الحَدِيثِ -، لَم يَترُكْ شَيئًا إِلَّا بَيَّنَه؛ الشرّ حَذَّرَهم مِنْه، والخَير رَغَّبَهُم فِيهِ، مَا كَانَ مِن نَبيٍّ إِلَّا دَلَّ أُمتَه عَلَى خَيرٍ يَعْلَمُهُ لَهُم، وحَذَّرَهم مِن شَرٍّ مَا يَعلَمُه لَهُم، وَهَذَا مِن النُّصحِ لِلأمَّةِ، مِن نُصْحِهِ ﷺ.

فَفِيهِ أَوَّلًا: الإِخبَارُ بِشَيءٍ مِن المُغَيَّبَاتِ، وهَذَا مِن مُعجِزَاتِه ﷺ.

وَفِيهِ ثَانِيًا: التَّحذِيرُ مِن الفِتنَةِ؛ فِتنَةُ تَوسُّعِ الدّنيَا عَلَى النَّاسِ، وَأَنَّها خَطرٌ عَلَى الدِّينِ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ولَه: عن عَمْرُو بن عَوْفٍ ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟» فَقَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»(١). وَفِي رِوايَةٍ: «فَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ»(٢).[٨]

---

[٨] فهَذَا الحَديثُ فِيهِ ذِكرُ شَيءٍ مِن الفِتنِ، وهِيَ فِتنَةُ الدّنيا، فِتنَةُ بَسطِ الدّنيَا عَلَى النّاسِ.

وقَدْ أَرسَلَ النّبيُّ ﷺ أَبَا عُبيدَةَ عَامِرَ بنِ الجَرَّاحِ ﵁ إِلَى البَحرَيْنِ بَعْدَما صَالَحَ أَهْلَها علَى الجِزيَةِ.

والجِزيَةُ: هِي مِقدَارٌ مِن المَالِ يَدفَعُه الكِتَابِيّ لِلمُسلِمين علَى أنْ يَترُكُوهُ، وَيَكُفُّوا عَنْه القِتَالَ.

فبَعَثَ النَّبيُّ ﷺ هَذَا الصَّحَابِيُّ الجَليلُ الأَمِينُ - أَمِينُ الأَمَّةِ - أَبَا عُبيدَةَ بنَ الجَرَّاحِ ﵁؛ لِيَأتِي بِهَذَا المَالِ الّذِي يَدفَعُونَه إِلَى المُسلِمِين بِمُوجِبِ الصُّلحِ، وَأَمَّرَ عليهَا العَلاءَ بنَ الحَضْرَمِيِّ ﵁.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٤٠١٥)، ومسلم رقم (٢٩٦١).

(٢) أخرجه: البخاري رقم (٦٤٢٥)، ومسلم رقم (٢٩٦١).

والبَحْرَيْن: يُرَادُ بِهَا الإِحْسَاء، جِهَة الإِحْسَاءِ، كَانَتْ فِي الأَوَّلِ تُسَمَّى البَحْرَيْن، أمَّا الآنَ، فَصَارَ اسْمُ البَحْرَيْن خَاصًّا بِمملكَةِ البَحْرَيْن بِدَاخلِ البَحْرِ.

الشَّاهِدُ مِن هَذَا: أنَّه أَرسَلَ أَبَا عُبيدَةَ ﷺ؛ لِاستِلَامِ الجِزيَةِ الَّتِي يَدفعُهَا أَهلُ البَحْرَيْنِ، اسْتلَمَها ﷺ، وَجَاءَ بِهَا.

لمَّا سَمِعَ الأَنْصَارُ ﷺ بِمَقدمِهِ، كَانُوا فِي حَاجةٍ، فَرِحُوا بِذَلِك، وَبَادَرُوا إِلَى الحضُورِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَصَلُّوا مَعَهُ الفَجْرَ.

ولمَّا رَآهُم ﷺ تَبَسَّمَ؛ تَعَجُّبًا مِنْهُ ﷺ لسُرعَةِ النَّاسِ فِي طَلبِ الدُّنيَا، وحِرْصِ النَّاسِ عَلَى طَلبِ الدُّنيَا، مَعَ فَضلِهِم وَشَرَفِهم، لكنَّ المَالَ فِتنَةٌ، وَهُم بِحَاجةٍ - أَيْضًا - إِلَى المَالِ.

فقَالَ: «أَظُنُّكُم سَمِعْتُم أنَّ أَبَا عُبَيدَةَ قَدِمَ بِشيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟»، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ؛ سَمِعنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَتَيْنَا مِن أَجلِ هَذَا.

قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُم»، هَذَا مِن كرَم أَخْلَاقِه ﷺ معَ النَّاسِ عُمُومًا، وَمَعَ أَصحَابِه خُصُوصًا. **«وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُم»**؛ الرَّسُولُ ﷺ لَن يَدَّخِرَ شَيئًا عَنهُم، لَا تَخافُوا مِن أَلَّا يَصِلُكُم شَيءٌ، أَمِّلُوا مَا يَسُرُّكم، وَلَا تَأمَلُوا غيْرَ ذَلِكَ.

ثمَّ قَالَ ﷺ وَهَذا مَوضِعُ الشَّاهِدِ مِن الحَدِيثِ: «مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُم»؛ لأنَّ الفَقرَ لَيسَ مَعَه مُنَافَسةٌ، ولَيْس مَعهُ تحَاسُدٌ، ولَيْس معَهُ شَيءٌ مِن الحَزازَاتِ فِي النفُوسِ، الفُقَرَاءُ لَيْس بَينَهُم شَيءٌ؛ لأنَّه لَيْسَ هنَاكَ بِمُوجِبٍ لِلتَّحَاسدِ ولِلتَّنافُسِ؛ لِعَدَمِ المَالِ، المَالُ هُو الفِتنَةُ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

«مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُم»؛ أيْ: لَا أخَافُ عَليكُم مِن الفَقرِ؛ لأنَّ الفَقْرَ لَا يَحصُلُ مَعَهُ شَيءٌ مِمَّا يَحصُلُ مَعَ الغِنَى.

«وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُم أَنْ تُبْسَطَ الدُّنيَا عَلَيكُم»: يُيَسَّرُ عَليكُم المَالَ وَالغِنَى والثَّروَة، فَحِينَئِذٍ يَحصُلُ تنَافسٌ عَليْهَا، كلٌّ يُرِيدُ أنْ يَحُوزَها عَن الآخَرِ، فيَحْصُلُ تنَافُسٌ بينَكُم، يُؤدِّي إِلَى تَحَاسُدٍ، يُؤدِّي إِلَى البَغْضَاءِ، يُؤدِّي إِلَى أمُورٍ لَا تُحمَدُ.

طَبِيعةُ الإِنْسَانِ هَكَذَا، حتَّى وَلَو كَانَ مِن أَهلِ الفَضلِ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠].

المَالُ يَدفَعُهُ إِلَى المُنافَسَةِ مَعَ أَخِيهِ، وَإِذَا تَنَافَسَا صَارَ فِي النُّفُوسِ شَيءٌ بَعْضُها عَلَى بَعضٍ، وَالمَفرُوضُ فِي المُسلِمِين التَّوَاصُلُ، والمَحبَّةُ فِيمَا بَينَهُم وَالتَّعاوُنُ، وَلكنَّ المَالَ يَحمِلُهُم عَلَى شَيءٍ مِن التَّنافُسِ.

«فَتَنَافَسُوها كَمَا تَنَافَسُوهَا»؛ **يَعنِي**: مَن كَانَ قَبلَكُم مِن الأُمَمِ، تَتنافَسُون فِيهَا، وتَتَسَابقُون إِليهَا، كلٌّ يُرِيدُ أنْ يَحُوزَها عَن الآخَرِ.

وفِي رِوَايةٍ: **«وَتُلْهِيكُم»**؛ تُلْهِيكُم عَن الآخِرَةِ وَعَن العمَلِ الصَّالحِ، شَيءٌ مُجرَّبٌ هذَا أنَّ الأثْرِيَاءَ يَنشَغِلُون بِأَموَالِهِم، وتَنمِيَةِ ثَروَاتِهِم، يَنشَغِلُون عَن العمَلِ لِلآخِرَةِ، يَعجِزُون عَن الجَمْعِ بَيْنَ العمَلِ لِلدُّنيَا والعَمَلِ لِلآخِرَةِ عَلَى الوَجهِ المَطلُوبِ، وإِلَّا يُمكِنُ الجَمعُ، لَكِنْ عَلَى الوَجْهِ المَطلُوبِ، لَا يُمْكِنُ هَذَا.

همَا ضُرَّتَان، الدُّنيَا وَالآخِرَةُ ضرَّتَانِ؛ **يَعنِي**: مِثْلُ الزَّوْجتَين، ضَرَّتَان؛ إذَا مِلْتَ إِلَى إِحْدَاهُما، أَغْضَبْتَ الأُخْرَى، فَمَن مَالَ مَعَ دُنيَاه أَضَرَّ بِآخِرَتِه، وَمَن مَالَ مَعَ آخِرَتِه أَضَرَّ بِدُنْيَاه.

وَلَهُما عن أُسَامَةَ بن زَيْدٍ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»(١).[٩]

قَولُه ﷺ: «وَتُلْهِيكُم»؛ قَالَ ﷻ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]. لَا تُلهِيكُم الدُنيا وَلَا أَوْلَادُكم، فَدلَّ عَلَى أنَّ المَالَ يُلهِي، والأَوْلَاد يُلهُونَ عَن ذِكْرِ اللهِ.

«وَتُهْلِكَكُمْ»: هَذِه النَّتِيجَةُ، فِي النِّهَايةِ يَحصُلُ الهَلاكُ لِلأُمَّةِ، إِذَا وَصَلتْ إِلَى هَذَا الحَدِّ، فإِنَّها تُعَاقَبُ؛ فصَارَ المَالُ سَبَبًا، فالانْشِغَالُ بِالمَالِ وَالتَّلَهِّي بِه والتَّنافسُ فِيهِ سَببٌ لِهَلَاكِ الأمَّةِ وَحُلُولِ العُقُوبةِ فِيهَا، وهَذَا مَا حَصَلَ، هَذَا مَا تَخَوَّفَه الرَّسُولُ ﷺ.

فدَلَّ عَلَى أنَّ المَالَ فِتنةٌ، يُخَافُ مِنهُ حَتَّى عَلَى أَصْلَحِ النَّاسِ، الأَنْصَارُ هُم أَصْلَحُ الأمَّةِ بَعْدَ المُهَاجِرِينَ، وَمَعَ هَذَا خَافَ عَلَيْهِم الرَّسُولُ ﷺ مِن فِتنَةِ المَالِ.

* * * * *

[٩] وَهَذا نَوعٌ مِن أَنوَاعِ الفِتنِ، وَهِي فِتنَةُ النِّسَاءِ: **«مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»**، النِّسَاءُ إِذَا لَم تُضبَطْ بِضَوَابطِ الشَّرعِ وَالآدَابِ الشَّرعِيّةِ، فإِنَّهَا تَكُونُ فِتنَةً؛ تَفتِنُ الرِّجَالَ بِجَمَالِهَا، بِزِينَتِهَا، بِتَبَرُّجِها، بِسُفُورِها، بِكَلَامِهَا، اخْتِلَاطِهَا بِالرِّجَالِ؛ فَلَا بُدَّ أن تُضْبَطَ النِّسَاءُ.

لَا بُدَّ أَوَّلًا: يَكُونُ عندَ النِّسَاءِ إِيمَانٌ يُجيزُهُنَّ مِن هَذِه الأمُورِ.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٥٠٩٦)، ومسلم رقم (٢٧٤٠).

ولَا بُدَّ - أيْضًا -: أنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَن يَضْبِطُها مِن أوْلِيَائِها؛ زَوْجُها وأوْلِيَائُها، فتُضْبَطُ المَرأةُ، وإلّا فإنَّها تكُونُ سَببًا فِي هَلَاكِ الأمَّةِ؛ لأنَّ المَرأَةَ فتْنَةٌ، وهِيَ أضَرُّ على الرِّجَالِ مِن غَيرِهَا؛ فِتنَةُ الشَّهوَةِ.

فالمَرْأةُ لَا بُدَّ أنْ تُضْبَطَ، وتَلتَزِمَ بِالآدَابِ الشَّرعِيّةِ، الّتِي فِيهَا حِفْظُها - حِفْظُ عِفَّتِها، وَحِفْظُ كَرَامَتِهَا -، وَإلَّا إذَا تُرِكَتْ بِدُونِ رَقَابَةٍ، فَإنَّ المَرأَةَ ضَعِيفَةٌ، والشَّيْطَانُ حَرِيصٌ عَلَيْهَا؛ يَؤُزُّها، وتُرِيدُ أنْ تَكُونَ أحسَنَ مِن غَيرِهَا، وَتُرِيدُ أنْ تَكُونَ مَحَطَّ أنْظَارِ الرِّجَالِ، وَأنْ يَمْدَحُوها، وأَنْ يَتَعَلَّقُوا بِهَا، هَذَا مِن طَبِيعَةِ المَرأَةِ، فَهَذَا فِيهِ التَّحذِيرُ مِن فِتنَةِ النِّسَاءِ.

إذَا لَم تُضْبَطْ فَإنَّها تَكُونُ سَببًا لِهَلَاكِ المُجتَمَعِ؛ لأنَّ الزِّنَا - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - هُو سبَبُ دَمَارِ المُجتَمَعِ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، يُفسِدُ الأخلَاقَ، يُضَيِّعُ النَّسلَ، يُذهِبُ الحَيَاءَ، يَنشُرُ الأمْرَاضَ فِي المُجتَمَعِ، يُسَبِّبُ غَضَبَ اللهِ ﷻ وَحُلُولُ النِّقْمَاتِ، فَلَا بُدَّ أنْ تُضبَطَ المَرأَةُ، لَا بُدَّ مِن هَذَا.

وهنَاكَ الآنَ مَن يُنَادِي بِحُرِّيَّةِ المَرأةِ؛ حُرِّيَّةُ المَرأَةِ بِمَعنَى خُرُوجِها عَلَى الآدَابِ الشَّرعِيَّةِ، هَذِه حُرِّيّتُها عِنْدَهم، مَعَ أنَّ حُرِّيَتَها الصَّحِيحَةَ هِيَ فِي الْتِزَامِ الآدَابِ الشَّرعِيّةِ؛ تتَخَلَّصُ مِن رِقِّ الشَّهَوَاتِ، وَتَتَخَلَّصُ مِنْ رَغبَةِ الفُسَّاقِ فِيهَا، فَهِي ذَلِيلَةٌ، يَستَعْبِدُها أَصْحَابُ الشَّهوَاتِ، فَلَا تَكُونُ حُرَّةً إلَّا بِالتِزَامِ الأحكَامِ الشَّرعِيّةِ، الشَّرعُ حرَّرَها مِن الهَوَانِ، حَرَّرَهَا مِن الفَسَادِ، حَرَّرَهَا مِن كلِّ رَذِيلَةٍ، ضَبَطَهَا، كَرَّمَها، عَزَّزَها، صَانَهَا، المَرأَةُ المُسلِمَةُ عَزَّزَها اللهُ ﷻ، حَفِظَهَا، وَضَبَطَها، وَلِهَذَا وُضِعَتْ ضَوَابِطُ

لِلمَرأَةِ: لَا تُسَافِرُ بِدُونِ مَحرَمٍ، لَا تَختَلِطُ مَعَ الرِّجَالِ، لَا تَخلُو مَعَ الرَّجُلِ الَّذِي لَيْسَ زَوْجًا أَوْ مَحْرَمًا لَهَا، لَا تُبدِي زِينَتَها، لَا تُسْفِرُ عَن وَجْهِهَا ومَحَاسِنِها، لَا تَتَطَيَّبُ عِنْدَ الخُرُوجِ، إِلَى غَيرِ ذَلِك، هَذِه ضَوَابِطُ شَرعِيَّةٌ تَحْمِيهَا، هِيَ مِن صَالِحِها؛ لِأَنَّها تَحْمِيهَا وَتَحْفَظُهَا، فَإِذَا انْفَلَتَتْ مِن هَذِه الآدَابِ الشَّرعِيَّةِ، حَصَلَ الفَسَادُ فِي المُجتَمَعِ، حَصَلَ السِّفَاحُ الكثِيرُ فِي المُجتَمَعِ، أَوْلَادُ الزِّنَا يَكثُرُونَ فِي المُجتَمَعِ، إِلَى غَيرِ ذَلِك مِن الأَضْرَارِ.

فَالمَرأَةُ تَحْتَاجُ إِلَى عِنَايَةٍ، تَحتَاجُ إِلَى التِزَامٍ وَإِلْزَامٍ بِالآدَابِ، الَّتِي تَصُونُها وتُجَنِّبُها هِيَ أَوَّلًا، وَتُجَنِّبُ المُجتمَعَ مِن خَطَرِهَا.

مَا بَالُكُم إِذَا تَضَافَرَتِ النِّسَاءُ عَلَى عَدمِ الحيَاءِ وَعَدَمِ العِفَّةِ؟! إِذَا اجْتَمَعْنَ وتَضَافَرْنَ يَنفَلِتُ الأَمْرُ، المَرأَةُ الوَاحِدَةُ إِذَا تُرِكَتْ أَفْسَدَتْ، فَكَيْفَ إِذَا تُرِكَتِ النِّسَاءُ بِالمُجتَمَعِ والشَّابَّاتُ بِدُونِ ضَوَابِطَ، ويَفْعَلنَ مَا يُملِي عَلَيهِنَّ شَيْطَانُهُنَّ؛ مِن التَّزَيُّنِ، والتَّصَنُّعِ، والتَّبرُّجِ، وَالاخْتِلَاطِ بِالرِّجَالِ، وَالجُلُوسِ بِجَانبِ الرِّجَالِ كَأَنَّها رَجلٌ مِثلُهُ فِي الحَفَلَاتِ، فِي اللِّقَاءَاتِ، فِي التَّعلِيمِ، فِي العمَلِ؟! هَذَا فَسَادٌ فِي المُجتمَعِ.

* * * * *

ولمُسلِم مِن حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»[1]. [١٠]

---

[١٠] **قَالَ ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ»**، هذِه - أيضًا - فِتنَةٌ، مِن أَنْوَاعِ الفِتَنِ فِتنَةُ الدّنيَا، الدُّنيَا بِمَا فِيهَا مِن الزِّينَةِ، بِمَا فِيهَا مِن الأَمْوَالِ، بِمَا فِيهَا مِن الجَاهِ فِتنَةٌ، خَطَرٌ عَلَى الدِّينِ.

قَولُه ﷺ: «حُلْوَةٌ»: حُلوَةُ المَذَاقِ.

قَولُه ﷺ: «خَضِرَةٌ»: حُلوَةٌ فِي طَعْمِهَا، وَخَضِرَةٌ فِي لَوْنِها؛ فَهِي تَجذِبُ الإنسَانَ فِي طَعْمِها وحَلَاوَتِها، تَجذِبُه فِي مَنْظَرِها، وَخُضْرَتِها تَجذِبُ الإِنْسَانَ، هَذَا سَبَبُ الفِتنَةِ.

قَولُه ﷺ: «وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا»: الخِطَابُ هَذَا لِلمُسلِمِين.

قَولُه ﷺ: «وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ»: **الاسْتِخْلَافُ**: أَنْ يَجعَلَكُم بَعْدَ قَوم مَضُوا؛ لِأَنَّ البَقَاءَ للهِ ﷻ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، فَيَذهَبُ جِيلٌ، وَيَأتِي جِيلٌ، مَا مِن أَحدٍ يَستَمِرُّ فِي هَذِه الحيَاةِ، إِنَّمَا يَأخُذُ مِن الحَيَاةِ مَا قُدِّرَ لَه مِن العُمرِ فَقَطْ، وَتَذهَبُ الأجيَالُ، وَتَأتِي بَعدَهَا أَجيَالٌ، إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، تَنْتَهِي الدُّنيَا، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]؛ يَخلُفُ بَعْضُكُم بَعْضًا.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٧٤٢).

الرَّسُولُ ﷺ يُخَاطِبُ هَذِه الأُمَّةَ، فَيَقُولُ: «وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟»، اللهُ ﷻ رَقِيبٌ عَلَيكُم، يُعطِيكُم الدّنيَا، وَيَنظُرُ مَاذَا تَعمَلُون فِيهَا، يَنظُرُ مَاذَا تَتَصرَّفُونَ، لَسْتُم مُهْمَلِين؛ بَل اللهُ ﷻ هُو الّذِي يَنظُرُ إلَيكُم، ويَرقُبُكم فِي تَصَرُّفَاتِكم مَعَ الدّنيَا: هَلْ تَنْسَاقُونَ مَعَهَا، وَتُقدِّمُونَها عَلَى الآخِرَةِ، أَوْ أَنَّكُم تَأخُذُون مِنْهَا مَا يَكْفِيكُم، وتَنْصَرِفُونَ إلَى الآخِرَةِ؛ تُحسِنُونَ التَّصَرُّفَ فِي هَذِه الدّنيَا؟

لَا يُطْلَبُ مِن الإنْسَانِ أنْ يَترُكَ الدّنيَا، لَا، لَكِنْ يَأخُذُ مِنهَا بِقَدْرِ حَاجَتِه، بِقَدْرِ مَا يَحتَاجُ لِنَفقَتِه لِحَاجَتِه، بِقَدْرِ مَا يَحتَاجُ لِتَصَدُّقِه وَإِحْسَانِه.

المَالُ خيرٌ، إذَا أَحْسَنَ الإِنْسَانُ فِيهِ، صَارَ خَيْرًا وَعَوْنًا عَلَى طَاعَةِ اللهِ ﷻ، وَلَكِنْ قَلَّ مَن يُحسِنُ التَّصَرُّفَ فِيهِ.

قَولُه ﷺ: «فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»: هَلْ تُحسِنُونَ تَصَرُّفَكم فِي هَذِه الدّنيَا؛ تَأخُذُونَها مِن حَلَالٍ، وَتُنفِقُونَها فِي حَلَالٍ، أَمْ العَكْسُ؛ تَأخُذُونها مِن كَسْبٍ حرَامٍ - مِن رِبَا، مِن رِشْوَةٍ، مِن خَدِيعَةٍ، مِن سَرِقَةٍ، مِن غِشٍّ، قُمَارٍ، إلَى غيرِ ذَلِك - أَوْ تَأخُذُونَها بِتِجَارةٍ مُبَاحَةٍ عَن تَرَاضٍ مِنْكُم، وَعَنْ عُقُودٍ شَرْعِيّةٍ؟ هذَا مِن جِهَةِ اكتِسَابِها.

مِن جِهَةِ التَّصَرُّفِ فِيهَا: إذَا حَصُلْتَ عَلَيهَا، مَاذَا تَعمَلُ فِيهَا؟ أَتُفْسِدُ فِيهَا، تَتْبَعُ شَهَوَاتِكَ، تُسَافِرُ فِيهَا إلَى البِلَادِ الإبَاحِيّةِ أَنْتَ وَأَهْلُك وأَوْلَادُكَ، فتَغرَقُونَ فِي مُستَنقَعَاتِ الغَربِ، تَتَكَبَّرُ فِيهَا عَلَى النَّاسِ، تمنَعُ الزَّكَاةَ، تَمنَعُ النَّفقَةَ الوَاجِبَةَ علَيْكَ؟

إِنْفَاقُك مَا نَوعِيّتُه؟ انْظُر إِلَى إِنْفَاقِكَ؛ فَإِنّكَ مَسؤُولٌ عَن هَذَا المَالِ، مَسْؤُولٌ: مِن أَيْنَ جَاءَكَ هَذَا المَالُ؟ وَمَسؤُولٌ: فِيمَ أَنْفَقْتَه؟ كَمَا فِي الحَدِيثِ[1]، فَلَا شَكَّ أَنَّ المَالَ مَسؤُولِيَّةٌ؛ المَالُ فتنَةٌ.

وكذَلِكَ النِّسَاءُ؛ كَمَا سبَقَ فِي الحَدِيثِ الّذِي قَبْلَه، فَذَكَرَ فِي هَذَا الحَدِيثِ فِتْنَتَيْن خَطِيرَتَيْن: فِتنَةُ الدّنيَا، وفِتنَةُ النِّسَاءِ، فَعَلَى المُسلِمِين أَنْ يَحذَرُوا مِن هَاتَيْنِ الفِتنَتَيْن.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) أخرجه: الترمذي رقم (٢٤١٦)، والطبراني في الكبير رقم (٩٧٧٢).

ولَهُ عَن حُذَيْفَةَ ﷺ أنَّه قَالَ: وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ، فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا، لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي، وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ: «مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ» قَالَ حُذَيْفَةُ: فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي[1].[١١]

---

[١١] هَذَا حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ﷺ صَاحِبُ سِرِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، يقُولُ عَن الفِتنِ؛ لأنَّه كَانَ أَحرَصَ النَّاسِ عَلَى السُّؤَالِ عَن الفِتَنِ؛ خَوْفًا مِنْها، خَوْفًا مِن الفِتَنِ.

يقُولُ ﷺ: «**كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُون رَسُولَ اللهِ ﷺ عَن الخَيرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُه عَن الشَّرِّ مَخَافَةَ أنْ يُدْرِكَنِي**»[2]، الإنْسَانُ لَا بُدَّ أنْ يَعرِفَ الخَيْرَ، وَلَا بُدَّ أنْ يَعرِفَ الشَّرَّ، لَا بُدَّ أنْ يَعرِفَ الخَيرَ مِن أجلِ أنْ يَأتِيَهُ، ويَعرِفَ الشَّرَّ مِن أَجلِ أنْ يَجتَنِبَه.

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ لَكِن لِتَوَقِّيهِ   وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ مِن النَّاسِ يَقَعُ فِيهِ

الَّذِي لَا يَدرِي عَنْ الشرِّ يَقعُ فِيهِ، يَعتقِدُ أَنَّه خَيرٌ، يَظُنّ أَنَّه خَيرٌ؛ فلَا بُدَّ لِلإنْسَانِ أنْ يَتَفقَّهَ فِي دِينِ اللهِ، ويَعرِفُ مَا هُو خَيرٌ وَمَا هُو شَرٌّ، ولَا يَقُل: أنَا لَيسَ لِي شَأنٌ بِالشَّرِّ، أنَا أَتَعَلَّمُ الخَيْرَ فَقَطْ. مِثلَمَا يَقُولُه بَعضُ الجهَّالِ. لَا بُدَّ تَعرِفُ الشِّرْكَ مَا هُو؛ مِن أَجلِ أنْ تَتَجَنَّبَه، لَا بُدَّ أنْ تَعرِفَ المُحرَّمَاتِ؛ مِن أَجلِ أنْ تَتجَنَّبَها، بَعْدَ مَعرِفَةِ الخَيرِ؛ مِن

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٩١).

(٢) أخرجه: البخاري رقم (٣٦٠٦)، ومسلم رقم (١٨٤٧).

أَجلِ أنْ تفَعَلَه، فَلَا بُدَّ مِن تَعلُّمِ الخَيرِ، وتَعلُّم ضِدّ الخَيرِ. تَعلَّم الخَيْرَ؛ لِتَفْعَلَهُ، وتَعَلَّم الشّرَّ؛ لَتَتَجنَّبَه، وإلَّا مَن لَا يَعْرِف الشّرَّ، يَقعُ فِيهِ، وَهُو لَا يَدرِي، وكَانَ حُذَيفَةُ ﷺ يسَأَلُ النّبيَّ ﷺ.

وفِي هذَا الحَدِيثِ: أنَّ هَذَا لَيسَ مِمَّا أَسرَّهُ النّبيُّ ﷺ إِلَيهِ، وإنَّمَا هُو شَيءٌ قَالَه فِي مَجلِسٍ، أَخبَرَ عَن الفِتنِ، وأَخْبَرَ عَن تَفَاوُتِها، وأنَّ بَعْضَها أشدُّ مِن بَعضٍ؛ بَعضُها يَمُرُّ سَرِيعًا، وَبَعضُها يَتأخَّرُ فِي النَّاسِ، وَيُؤثِّرُ فِيهِم، وَيضُرُّ بِالنَّاسِ؛ الفِتنُ تَتفَاوَتُ، بَعضُهَا أَشَدُّ مِن بَعضٍ، وهَذَا الحَدِيثُ مِن بَابِ التَّحذِيرِ مِنْهَا.

ثُمَّ قَالَ: إنَّ هَذَا المَجلِسَ كلُّهم مَاتُوا، وَلَم يَبْقَ إلَّا أنَا، وَلِذَلِكَ هُو الّذِي حَدَّثَ عَن هَذَا المَجلِسِ؛ لأنَّه لَم يَبْقَ مِمّنْ حَضرَه غَيرُه، وَهُو كَانَ ﷺ لَا يَكتُمُ العِلمَ، بَلْ يُبيّنُ لِلنّاسِ.

قَولُه ﷺ: «**لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا**»: يَعنِي ثَلاثٌ مِن الفِتَنِ لَا يَذَرْنَ شَيْئًا؛ يَعنِي لَا يَتْرُكْنَ شَيْئًا مِن الشّرِّ وَمِن الفِتنَةِ.

قَولُه ﷺ: «**وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ**»، وَمِنهُنَّ فِتنٌ سَرِيعَةٌ، لَا تُؤثِّرُ كَثِيرًا.

قَولُه ﷺ: «**مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ**»؛ مِنهَا فِتنٌ صِغَارٌ خَفِيفَةٌ، وَمِنْهَا فِتنٌ كِبَارٌ ثَقِيلَةٌ، لَكِنَّهَا سَرِيعَةٌ، تَمُرُّ، تَنْتَهِي، لكنْ هُنَاكَ فِتَنًا لَا تَنْتَهِي.

قَولُه ﷺ: «**فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي**»؛ الّذِينَ حَضَرُوا فِي المَجلِسِ.

وَهَذَا فِيهِ: فَضلُ نَشرِ العِلمِ وَعَدمُ كِتْمَانِ العِلمِ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

وَلَه عَنهُ قَالَ: «أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُهُ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ: مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ؟»(١).[١٢]

---

[١٢] **حُذَيفَةُ رضي الله عنه لَه خَاصِّيَّةٌ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ:**

أوَّلًا: لِأنَّه كَانَ أَمِينَ سِرِّ الرَّسُولِ ﷺ.

وثَانيًا: لِأنَّ حُذَيفةَ رضي الله عنه كَانَ حَرِيصًا على السُّؤالِ؛ يَسْأَلُ الرَّسُولَ ﷺ عَن الفِتَنِ، فكَانَ مِن أكثَرِ النَّاسِ مَعرِفةً بِالفِتَنِ، إلَّا وَاحِدَة لَم يَسألْ الرَّسُولَ عَنهَا، وَهِيَ: مَا سَبَبُ خُرُوجِهم مِن المَدِينَةِ؟ لأنَّه أَخبَرَ ﷺ أنَّهُم سَيَخْرُجُونَ مِن المَدِينَةِ، وَيَسْكُنُونَ غَيْرَها، مَعَ أنَّ المَدِينَةَ مِن أَفْضَلِ البِقَاعِ بَعْدَ مَكَّةَ؛ فهِيَ دَارُ الهِجْرَةِ، وَهِيَ - أَيْضًا - فِيهَا المَسجِدُ النَّبوِيِّ، الصَّلَاةُ فِيهِ بِألفِ صَلاةٍ، دَعَا لهَا النَّبيُّ ﷺ، حَرَّمَها؛ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مكَّةَ، المَدِينةُ لهَا فَضَائِلُ، فَينبَغِي سُكنَاهَا؛ لِمَا فيهَا مِن الخَيرِ، لكِنْ يَخرُجُ النَّاسُ منهَا؟! وقَدْ خَرَجُوا مِنهَا، وَاستَوْطَنُوا بِالأَمْصَارِ: فِي الشَّامِ، فِي مِصْرَ، فِي العِرَاقِ، فِي المَشرِقِ، خَرَجُوا: وَاحِدٌ خَرَجَ لِلمَالِ وَالتِّجَارَةِ، وَوَاحدٌ خَرَجَ لِلجِهَادِ، وَوَاحدٌ خَرَجَ لِلعِلْم، خَرَجُوا مِنهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**»(٢)، فَهُو لَم يَسْأَلْ عَن السَّبَبِ فِي خُرُوجِهِم.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٩١).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (١٣٦٣).

وَلَهُ عَنْ أَبِي زَيْدٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا»(١). [١٣]

---

[١٣] فإنَّ النّبيَّ ﷺ قَد بَيَّن لِأُمّتِه مَا أَرْسَلَه اللهُ بِه؛ كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقَد قَامَ ﷺ بِالبَلَاغِ وَالبيَانِ التَّامِ فِي خُطَبِه، وَفِي أَحَادِيثِه، وَفِي فتَاوَاهُ وَقَضَائِه، وَجَمِيعِ مَا قَامَ بِه ﷺ مِن أَنْوَاعِ البيَانِ؛ فَلَم يَتْرُكْ شَيْئًا، مَا تُوُفِّيَ إلَّا وَقَدْ أكملَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وأتَمَّ بِه النِّعْمةَ، ولَم يَكتُمْ شَيْئًا، أوْ يُقَصِّرُ فِي بَلاغِ شَيءٍ أَنزَلَه اللهُ عَلَيهِ مِن ذَلِكَ.

كَانَ مِن سُنَّتِه ﷺ تَقصِيرُ الخُطبَةِ؛ تَخْفِيفًا عَلَى النَّاسِ، كَانَ هذَا مِن سُنَّتِه ﷺ، وَقَد حَثَّ علَى قِصَرِ الخُطبَةِ، وَإِطَالَةِ الصَّلَاةِ فِي الجُمعَةِ(٢).

وأمَّا هَذِه المَرَّةِ، فَإنَّه ﷺ قَد أَطَالَ الخُطبَةَ؛ خَطَبَ يَوْمًا كَامِلًا، لَا يَقطَعُ الخُطبَةَ إلَّا لِصَلاةٍ مِن الصَّلَوَاتِ الخَمسِ، ثمَّ يَعُودُ، وَيُبيِّنُ، وَلَا يُكَرِّرُ شَيْئًا، فمَا تَرَكَ شَيْئًا مِمَّا كَانَ فِي الزَّمَانِ المَاضِي وقِصَصِ الزَّمَانِ المَاضِي، وَلَا شَيْئًا يَحدُثُ فِي المُستَقبَلِ، إلَّا بيَّنَه ﷺ فِي خطْبَتِه هَذِه، عَلِمَ هَذَا مَن عَلِمَه، وَجَهِلَهُ مَن جَهِلَهُ، ذَكَرَ لِلنَّاسِ كُلَّ شَيءٍ هُم بِحَاجةٍ إِلَيهِ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٩٢).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٨٦٩).

وله عَنْ عَبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بْن العَاصِ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ»[1].[١٤]

هذِه الخُطبَةُ فِيهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّه ﷺ لمْ يَترُكْ شَيئًا لَم يُبيِّنْه، وَمِن ذَلِكَ بَيَانُ مَا يَحدُثُ مِن الفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، قَد بيَّنَه ﷺ فِي هَذِه الخُطبَةِ.

قولُه ﷺ: «فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا»؛ فَأعلمُنَا أَحفظُنَا لِهَذه الخُطبَةِ، الّذِينَ حَفِظُوهَا صَارَ عِندَهُم عِلمٌ أَكثَرُ مِن غَيرِهِم.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[١٤] هَذَا الحَدِيثُ فِيهِ فَوَائدُ عَظِيمةٌ وجَوَامِعُ مِن كَلِمِه ﷺ:

أولًا: بيَّنَ ﷺ أنَّه مَا مِن نَبِيٍّ مِن الأَنبِيَاءِ - عَلَيْهِم الصَّلاةُ والسَّلامُ -، إِلَّا دَلَّ أمَّتَه عَلَى خَيرِ مَا يَعلَمُه لَهُم، وَحذَّرَها مِن شَرِّ مَا يَعلَمُه لَهُم، هَذَا مِن النُّصحِ لِلأمَمِ مِن الأَنْبِيَاءِ - عَليهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ -، وأَنَّ الأَنبِيَاءَ لَم يَكتُمُوا شَيئًا ممَّا أَرسَلَهُم اللهُ بِه، وَلَم يُقصِّرُوا فِي شَيءٍ من البلاغِ، هذه سُنَّةُ الأنبياءِ - عليهم الصلاة والسلام -.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٨٤٤).

وَكَذلِكَ يَتبعهُم العُلمَاءُ الّذِين هُم وَرَثَةُ الأنبِيَاءِ، يَجِبُ عَلَى العَالِمِ أنْ يبيِّنَ لِلنَّاسِ مَا حَمَّلَه اللهُ مِن العِلمِ، وَلَا يَكتمُ مِنهُ شَيئًا؛ فيَتَحمَّلُ الوَعِيدَ المَذكُورَ فِي قَولِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠]، فمسْؤُولِيّةُ العلمَاءِ تَابِعةٌ لِمَسؤُولِيّةِ الأنْبِيَاءِ.

ولَيْسَ المَقصُودُ مِن العِلمِ أن الإنسَانَ يَكُونُ عَالِمًا فِي نَفسِهِ، وَلَا يُبيِّنُ لِلنَّاسِ؛ العِلمُ مَشتَرَكٌ؛ مَن حَمَلَهُ، صَارَ حُجَّةً عليهِ أنْ يُبلِّغَه، وَأنْ يَعمَلَ بِه، هَذِه مَسألَةٌ أُولَى.

المسْألَةُ الثَّانِيةُ: فإذَا كَانَ الأنْبِيَاءُ - عَليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ - قَد بيَّنُوا لِأُمَمِهم الخيرَ ليَسْلُكُوه، والشَّرَّ ليَجْتَنِبُوه، فإنَّ أكمَلَهم بَيَانًا وَبَلَاغًا وَنُصْحًا هُو نَبِيُّنَا مُحمّدٌ ﷺ.

والنَّبيُّ مِن الأنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ يُبعَثُ إلَى قَومِهِ خَاصَّةً، أمَّا هَذَا النّبيُّ ﷺ، فَإنَّه بُعِثَ إلَى النَّاسِ كَافَّةً، إلَى أنْ تَقُومَ السَّاعةُ، وَحمَّلَهُ اللهُ أنْ يُبلِّغَ، فَبلَّغ ﷺ البَلَاغَ المُبِينَ، ولَم يُخفِ شَيئًا لِمَن بَحثَ عَن الحَقِّ وأَرَادَ الحَقَّ، لَم يَترُكْ ﷺ شيئًا، إلَّا بيّنَه، دلَّ الأمَّةَ عَلَى خَيرِ مَا يَعلَمُه لَهُم، وحَذَّرَهم مِن شَرِّ مَا يَعلَمُه لَهُم.

المَسألَةُ الثَّالِثَةُ: بيَانُ حَالِ هَذِه الأمَّةِ؛ أَنَّ خَيرَهَا فِي أوَّلِها، وَهَذَا فِي السَّلفِ الصَّالحِ مِن الصَّحَابةِ وَالتَّابِعين وأَتبَاعِ التَّابِعِين - القُرونُ المُفضَّلةُ التِي أثْنَى عَلَيهَا رَسُول اللهِ ﷺ بِالعِلمِ والعَمَلِ -، وكذَلِكَ مَن تَبِعَهُم مِمَّن جَاءَ بَعْدَهُم.

خَيرُها فِي أوَّلِها؛ لأنَّه وَقتُ القُرُونِ المُفضَّلةِ؛ صَدْرُ هَذِه الأمَّةِ، سَلَفُ هَذِه الأمَّةِ، وخَيرُ هَذِه الأمَّةِ سَلَفُها أوَّلُها.

وهُنَاكَ الآنَ بَعضُ المُثقَّفِينَ أوْ المُفكِّرِينَ - كمَا يُسَمُّونَ أنفُسَهم - مَن يَتَنَقَّصُ السَّلفَ، يَتنقَّصُ عِلمَهُم، ويَتنَقَّصُ مَكَانتَهُم، وهَذَا إمَّا مِن جَهلِهِ بِحَالةِ السَّلفِ، وَإمَّا مِن ضَلَالِه - والعِيَاذُ بِاللهِ -.

السَّلفُ لَهُم قِيمَتُهم، ولَهُم مَكَانتُهُم، قَد أُمِرْنَا بِالاقْتِدَاءِ بِهِم واتِّبَاعِهِم، وَأمَّا مَن يَدَّعِي أنَّ الخَلَفَ أدركُوا شَيْئًا لَم يُدرِكْهُ السَّلفُ، فهَذَا إمَّا جَاهِلٌ، وإمَّا مُغَالِطٌ، ولَا يتَنَقَّصُ السَّلفَ فِي عِلمِهِم، ولَا فِي عَمَلِهِم، ولَا فِي جِهَادِهِم، لَا يَتَنَقَّصُهم إلَّا مَن فِي قَلبِهِ شَكٌّ وَرَيبُ نِفَاقٍ.

وخَيرُ هَذِه الأمَّةِ أوَّلُها، عَافِيتُها فِي أوَّلِها؛ بقُرْبِهِم مِن زَمنِ الرَّسُولِ ﷺ. وأمَّا فِي آخِرِها، فَيأتِيهِم بَلاءٌ وَفِتنُ شُرُورٍ، قَلَّ مَن يَسلَمُ مِنهُم - مُقِلٌّ ومُستَكثِرٌ -، والفِتنُ تَكُونُ فِي الدِّينِ، وتَكُونُ فِي الدّنيَا، الفِتنُ كَثِيرةٌ ومُتنَوّعةٌ، مِنهَا مَا هُو فِي الدِّينِ - كَفِتنَةِ الخَوَارجِ، والقَدَرِيّةِ، وغَيرِ ذَلِك مِن الفِرَقِ -، هذِهِ فِتنةٌ بِلَا شَكٍّ، والاخْتِلَافُ شَرٌّ، والاجْتِمَاعُ رَحمَةٌ.

تَأتِي علَى المُتَأخِّرين فِتنٌ مُتفَاوِتةٌ ومُتتَابِعةٌ، مُتفَاوِتَةٌ فِي الخطُورَةِ ومُتَابِعةٌ - أيْضًا -، يَردُفُ بَعضُهَا بَعْضًا، كُلَّما تَحدُثُ فِتنةٌ، يقُولُ المُؤمِنُ: هَذِه مُهلِكَةٌ. عِندَهُ خَوفٌ مِن اللهِ ﷻ؛ فيَخَافُ مِن الفِتنِ، أمَّا مَن أَمِنَ الفِتنَةَ، فإنَّهَا تَأخُذُه، لَكنْ مَن خَافَ مِنهَا، فَإنَّه - بِإذْنِ اللهِ -

يَنجُو مِنْهَا، هَذَا فِيهِ التَّحذِيرُ مِن الفِتَنِ، وأَنَّ الإِنْسَانَ يَخَافُ مِنْهَا، وَيبتَعِدُ عَنْهَا.

قَولُه ﷺ: «**فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا**»؛ **يَعنِي**: يُهَوِّنُ بعضُها بَعْضًا، كلُّ فِتنَةٍ أَشَدُّ مِن الَّتِي قَبْلَها، تُنسِي الفِتنَةَ الَّتِي قَبْلَها، تَتَعَاظَمُ الفِتنُ، وَيَتَعَاظَمُ الخَطرُ، ويَتَعَاظَمُ الخَوفُ عِنْدَ المُؤمِنِين.

وهذَا تَعلِيمٌ لنَا فِي أَنْ نَستَعِدَّ وَنَحذَرَ مِن هَذِه الفِتَنِ، وَلَا يُمكِنُ ذَلِك إِلَّا بِالاعْتِصَام بِثَلاثَةِ أُمُورٍ:

* الاعْتِصَامُ بِكِتَابِ اللهِ ﷻ.
* الاعْتِصَامُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).
* الاعْتِصَامُ بِجَمَاعَةِ المُسلِمِين وَإِمَامِ المُسلِمِين؛ يَكُونُ مَعَ الجمَاعَةِ، مَعَ إِمَامِ المُسلِمِين، وَلَا يَشُذُّ عَنهُم؛ فَيَهلَكُ مَعَ الهَالِكِينَ.

فهَذِه هِي ضَوَابِطُ النَّجَاةِ - بِإِذْنِ اللهِ - مِن الفِتَنِ.

قَولُه ﷺ: «**فَمَنْ أَحَبَّ**»، وكلٌّ يُحِبُّ هَذَا، لَكِنْ لَيْسَ كلٌّ يَعرِفُ مَا هُو السَّبِيلُ الصَّحِيحُ، كَثِيرٌ يُزَيِّنُ لَهُم سُبلُ السُّوءِ وَسُبُلُ الضَّلَالِ.

قَولُه ﷺ: «**فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ**»؛ **يَعنِي**: يَبْعُدُ عَنهَا، وَيَنجُو مِنهَا، وَيَدخُلُ الجَنَّةَ، كلٌّ يُرِيدُ هَذَا، لكِنَّ الشَّأنَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي يَسلُكُهُ الإِنسَانُ لَيسَ هَذَا مَوكُولًا إِلَى اجْتِهَادِهِ وَإِلَى رَأيِهِ.

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٦٠٧)، وابن ماجه رقم (٤٢)، وأحمد رقم (١٧١٤٤).

مَن أرَادَ أنْ يُزَحزَحَ عَن النَّارِ، ويَدخُلُ الجنّة، فإنَّه لَا بُدَّ أنْ يَأخُذ بِمَا أوصَى بِه الرَّسُولُ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، لَا يَفُوزُ إلَّا هَذَا فَقَطْ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾، وَمَن لَم يُزَحْزَحْ عَن النَّارِ، وَلَم يَدخُلْ الجَنّةَ، فَقَدْ هَلَكَ.

لكِنْ مَا الطَّرِيقُ إلَى هَذَا؟

قالَ ﷺ: «**فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُه**»؛ **يَعني**: يَأتِيهِ المَوتُ، وَهُو مُتمسِّكٌ بِدِينِه.

قَوْلُه ﷺ: «فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ»؛ يَتمسَّكُ بِدِينِه وَالإيمَانِ بِاللهِ وَاليَومِ الآخرِ إلَى أنْ يَمُوتَ، أمَّا إذَا زَاغ، وَضَلَّ، وانْحَرف، وَمَاتَ عَلَى غَيرِ الإيمَانِ، فَإنَّه يَهلَكُ - وَالعِيَاذُ باللهِ -.

والإيمَانُ لَيسَ بِالتَّحلِّي، ولَا بِالتَّمنِّي؛ كَمَا يَقُولُ الحَسَنُ البَصرِيّ رَحِمَهُ اللهُ، كلٌّ يَقُولُ أنَا مُؤمِنٌ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، لَيسَ كلُّ مَن قَالَ: أنَا مُؤمنٌ. يَكُونُ مُؤمِنًا، حتَّى يُحقّقَ ذَلِك، حتَّى يُحقّقَ هذَا الإيمَانَ.

والإيمَانُ - كَمَا بَيَّنَه عُلَمَاءُ الأمَّةِ وَالأئِمَّةُ -: «قَولٌ بِاللسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالقَلبِ وَعَمَلٌ بِالجَوارِحِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعصِيَةِ».

دَعكَ مِن قَولِ المُرجِئَةِ وَقَولِ الضُّلَّالِ، اتْرُكْهُم، خُذْ هَذَا التَّعرِيفَ، وَامشِ عَلَيهِ، وَلَا تَنظُرْ إلَى أقوَالِ الآخَرِينَ؛ نَحنُ نَسِيرُ عَلَى جَادَّةٍ وَاضِحةٍ، عِنْدَنَا كتُبٌ سَلِيمَةٌ مَدرُوسَةٌ مُتَدَاوَلةٌ مِن قَدِيم، سَارَ عَلَيهَا مَن قَبلَنَا فِي الإيمَانِ وَفِي غَيرِهِ. لمَاذَا لَا نَأخُذُ «قَالَ فُلَانٌ» وَ«قَالَ عِلَّانٌ»،

« قَالَ »، « قَالَ »؟ لَم نُكلَّفْ بِهَذَا، لَخَّصَهُ عُلمَاءُ الأمَّةِ بِهَذِه الكَلِمَاتِ: « قَولٌ بِاللسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالقَلبِ وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعصِيَةِ ».

وشَرْحُ ذَلِكَ موجُودٌ فِي كتَابِ اللهِ، وَفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَفِي كَلَامِ أَهلِ العِلمِ الثِّقَاتِ، فَلِمَاذَا نَأخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَ« قَالَ فُلَانٌ »، وَ« قَالَ عِلَّانٌ »، ونَتْرُكُ « قَالَ اللهُ » وَ« قَالَ الرَّسُولُ »، وَمَا قَالَه سَلَفُ هَذِه الأمَّةِ وَالإِيمَانُ بِاللهِ ﷻ؟!

بَعضُ النَّاسِ انْشَغَلُوا بِالجِدَالِ - والعِيَاذُ بِاللهِ -، انْشَغَلُوا بِالجِدَالِ فِي المَسَائلِ المُهِمَّةِ، وَلَيْسَتَ بِالمَسَائلِ الخَفِيفَةِ، انْشَغَلُوا بِالجِدَالِ فِي المَسَائلِ المُهِمَّةِ وَالقَضَايَا المُسلَّمَةِ، انْشَغَلُوا بِهَا وتَركُوا العَملَ، تَعَادُوا، تَقَاطَعُوا، تَدَابَرُوا.

يَا عِبَادَ اللهِ! لَا يَجُوزُ لنَا هَذَا، إنْ كنْتَ تُرِيدُ أنْ تُزَحْزَحَ عَن النَّارِ وَتَدخُلَ الجَنَّةَ، فكُن مُؤمِنًا، لَيسَ هُنَاكَ طَرِيقٌ إِلَّا هَذَا، كيْفَ تَكُونُ مُؤمِنًا؟ هذَا مَوجُودٌ - وَالحَمدُ للهِ -، مَوجُودٌ ومُوضَّحٌ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى جِدَالٍ، وَلَا البَحثِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَانْشِغَال الوَقتِ إمَّا يُورِثُ العدَاوَةَ، وتَقَطُّع المُسلِمين بَينَهُم، هَذَا الّذِي يُرِيدُهُ شَيَاطِينُ الإِنْسِ وَالجِنِّ، يُرِيدُونَ الفِتنَةَ، وَيُؤَجِّجُونَ الخِلَافَ.

الخِلَافُ مَوجُودٌ طَبِيعَةٌ فِي البَشَرِ، لَكنَّ - الحَمدُ للهِ - هنَاكَ طَرِيقٌ نَنْجُو بِه مِن الخِلَافِ، وَهُو التَّمسُّكُ بِكِتَابِ اللهِ وَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وبِمَا كَانَ عَلَيهِ سَلَفُ الأمَّةِ، هَذَا هُو النَّجَاةُ مِن الخِلَافِ وَمَا يَتَّبِعُه

مِن ضَلَالٍ وَانْحِرَافٍ. ثُمَّ لَا طَائِلَ تَحْتَ الجِدالِ أبدًا، لَيْس هُنَاكَ طَائِلٌ، بَل هُنَاكَ شَرٌّ، فَالجِدَالُ لَا يُجدِي شَيْئًا.

والأمر الثاني: «**وَلْيأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**»؛ **يَعني**: يَتعاملُ مَع النَّاسِ بِمَا يُحِبُّ أنْ يَتعَامَلُوا بِه مَعَه؛ «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١).

أنْتَ تُحِبّ أنَّك تُكرَمُ، أنَّكَ لَا تُؤذَى، ولَا يُعتَدَى عَليْكَ، وَلَا تُسَبُّ، أنْتَ تُحِبُّ هَذَا، فَأَحِبَّه لِلنَّاسِ؛ لَا يَصدُرُ مِنكَ شَيءٌ مِمّا لَا تَرضَى أنْ يَصدُرَ إِلَيكَ - هذَا مِقيَاسٌ وَاضِحٌ -، عَامِلِ النَّاسَ بِمَا تُحِبّ أنْ تُعامَلَ بِه، إنْ كُنْتَ تُرِيدُ النَّجَاةَ، أمَّا الإنسَانُ الّذِي يُرِيدُ الخَيْرَ لِنَفسِهِ، وَلَكنْ لَا يَرْضَاهُ لِلآخَرِينَ، فَهَذا غِشٌّ - والعِيَاذُ بِاللهِ -، وَلَا يُوفَّقُ صَاحِبُه.

فَالكَلِمَتَان هَاتَانِ مِن الرَّسُولِ ﷺ فِيهِمَا وَصفُ النَّجاةِ مِن الفِتنِ؛ أنْ تُؤمِنَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، تَعرِفُ الإيمَانَ، وَتَدرُسُ الإيمَانَ دِراسةً صَحِيحةً، وتَتَمَسَّكُ بِه مَأخُوذًا مِن كِتَابِ اللهِ وَسُنةِ رَسُولِهِ، لَا مِن كَلَامِ فُلَانٍ وَعِلَّان، تَترُكُ الجِدَالَ والنِّقَاشَ وَالأمُورَ الّتِي لَستَ بِحَاجةٍ إِلَيهَا، وَلَيْسَ النَّاسُ بِحَاجةٍ إِلَيهَا.

فلَا مِراءَ وَمَا فِي الدِّينِ مِن جَدَلٍ وَهَلْ يُجَادِلُ إِلَّا كلُّ مَن كَفَرَا

الجِدَالُ فِي الدِّينِ وَالجِدَالُ فِي المسَائلِ الدِّينِيّةِ لَا يَجُوزُ؛ الأمُورُ وَاضِحةٌ، لَيْسَ فِيهَا لَبسٌ.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (١٣)، ومسلم رقم (٤٥).

هذَا الأمْرُ الأوَّلُ: الإِيمَانُ بِاللهِ والإيمَانُ بِاليَومِ الآخِرِ؛ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٦٢].

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ الإيمَانَ الصَّحِيحَ بِأسمَائِهِ وَصِفَاتِه، وأَطَاعَه، وَامتَثَلَ أَمرَهُ، وَتَرَكَ نَهيَه، هذَا الإِيمَانُ بِاللهِ ﷻ.

تُؤمِنُ بِاليَومِ الآخِرِ؛ أَنَّه لَا بُدَّ مِن البَعثِ وَالنُّشُورِ وَالحِسَابِ، والجَنَّةِ والنَّارِ؛ فتَعمَلُ لِهَذَا اليَومِ، تَستَعِدُّ لِهَذا اليَومِ.

فإِذَا آمَنَ بِاللهِ الإيمَانَ الصَّحِيحَ، وآمَنَ بِاليَومِ الآخِرِ، وعَمِلَ صَالِحًا نَجا، وَإِذَا تَعَاملَ مَعَ النَّاسِ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يَتَعَامَلُوا بِه مَعَه، قَاسَهُم عَلَى نَفسِهِ، أَنصَفَهُم مِن نَفسِهِ، نَجا - أَيْضًا - مِن شَرِّهِم وَمْن إِثْمِهِم، فَهَذا سَبِيلُ النَّجاةِ لِمَنْ يُرِيدُ النَّجَاةَ.

قَولُه ﷺ: «**فَمَنْ أَحبَّ**»؛ **يَعنِي**: رَغِبَ. مَن رَغِبَ «**أَنْ يُزَحْزَحَ عَن النَّارِ، وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ**»، فَليَأْخُذْ بِهَذَيْن المَبْدَأَين: «**يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤتَى إِلَيهِ**»، فَهَذا مِن جَوَامِعِ الكَلِمِ النَّبوِيّةِ، وَغَيرُ هَذا لَا تَبْحَثُ؛ جِدَالٌ، نِقَاشٌ مَعَ فُلانٍ، مَعَ عِلّانٍ، قَالَ فُلَان، لَا تَبْحَثُ؛ هَذَا يَشغَلُكَ، وَلَا تَحصُلُ على طَائلٍ، تَعِيشُ عَلَى الجَدَلِ.

قَولُه ﷺ: «**وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ استَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ، فَاضرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ**»، كذَلِكَ لُزُومُ الجماعَةِ.

سَبِيلُ النَّجاةِ: يُؤمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، وَيُحِبّ أَنْ يَأتِي إِلَى النَّاسِ مَا يُؤتَى إِلَيهِ، كذَلِك يَلزَمُ جماعَةَ المُسلِمِين وَإِمَامَهم.

مَا دَامَ لَهُم جَمَاعةٌ وإِمَامٌ، ابْقَ معَهُم؛ تَنْجُ مَعَهُم؛ الاجْتِمَاعُ رَحمةٌ، وَلَا جَمَاعةٌ إِلَّا بِإمَامٍ، لَا يُمكِنُ جمَاعَةٌ إِلَّا بِإمَامٍ، جمَاعَة بِدُونِ إِمَامٍ لَا يُمكِنُ هَذَا، وَوُجُودُ الإِمَامِ ضَرُورةٌ لِلأمَّةِ؛ إمَامٌ مِنهُم؛ مِن المُسلِمِين.

ولَا يُشتَرَطُ فِي الإِمَامِ أنْ يَكُونَ كَامِلًا مِثلَ أَبِي بَكرِ الصِّدِّيقِ وعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ، لَا يُشتَرَطُ، هذَا حَسْبُ الإِمكَانِ، ولَو كَانَ عِندَه نَقصٌ، وَلَو كَانَ عِندَه ظلمٌ، لَا يُشتَرَطُ أنْ يَكُونَ مِثلَ الخلفَاءِ الرَّاشِدِينَ، مَا لَم يَصِلْ إِلَى حَدِّ الكفرِ، مَا دَامَ أَنَّه مُسلمٌ ومُؤمنٌ، وإنْ كَانَ عِندَهُ نَقَائِصَ فِي العَملِ، أوْ بِالتَّعدِّي، أوْ بِالظُّلمِ، فالمَصلحَةُ فِي لزُومِ طَاعَتِه أكثَرُ مِن المَصلَحَةِ الّتِي تَحصلُ فِي الشِّقَاقِ والانْشِقَاقِ عَلَيهِ.

فَلُزُومُ طَاعتِه وَالانْضِمَامِ مَعَ الجمَاعَةِ فِيهِ الأَمنُ، فِيهِ الاستِقرَارُ، فِيهِ القُوَّةُ، فِيهِ السَّلامَةُ، وأمَّا الخُرُوجُ عَلَيهِ، فيُسبِّبُ الفَوضَى، والضَّيَاعَ، وسَفكَ الدّماءِ؛ كمَا تَعلَمُون الآنَ مِن الحَوَادثِ، فتَلزَمُ جَمَاعةَ المُؤمِنِين وَإِمَامَهُم، هذَا هُو طرِيقُ النَّجاةِ. ولهَذَا لمَّا سَأَلَ حُذَيفَةُ بنُ اليَمَانِ ﷺ رسُولَ اللهِ ﷺ عَن الفِتنِ وأَخبَرَه عَنهَا قَالَ: مَا المَخرَجُ مِنهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أنْ تَلزَمَ جمَاعَةَ المُسلِمِينَ وَإِمَامَهُم**»، هَذَا هُو سَبِيلُ النَّجاةِ: جَمَاعةُ المسْلِمِين وَإِمَامُ المُسلِمِين.

قالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا**»؛ اعتَزِلْ، ابْقَ وَحْدكَ، لَا تَدخُلْ مَعَهُم فِي صِرَاعٍ وَفِي نِقَاشٍ، وتَقُول: أنَا أُرِيدُ أنْ أَنصُرَ الحقَّ. لَا، اعتَزِلْ الفِتنَ، طَالَمَا لَيسَ هُنَاكَ جمَاعةٌ ولَا إِمَامٌ، لَا تَدخُلْ مَعَ الفَوضَى وَمَع النَّاسِ.

وَلَهُمَا عن ابن عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَمَاتَ، فَمِيْتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ»(١).[١٥]

«فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يَأْتِيكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»(٢)، هَذَا طَرِيقُ النَّجاةِ.

فإِذَا كَانَ لِلمُسلِمِين إمَامٌ مُسلِمٌ، طَالَمَا أَنَّه مُسلِمٌ مِنهُم؛ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿مِنكُمْ﴾؛ مِن المُسلِمِين، طَالَمَا أَنَّه مُسلِمٌ.

جَاءَ وَاحدٌ يُرِيدُ أَنْ يُنَازِعَهُ، يُرِيدُ أَن يَنتَزِعَ المُلكَ مِنْهُ، فَهَذَا صَاحِبُ فِتنَةٍ، هذَا يَشُقُّ عَصَا الطَّاعَةِ؛ فيَجِبُ عَلى المُسلِمِين أَنْ يَردَعُوهُ، أَنْ يَقتُلُوهُ؛ لأَنَّه لَو بَقِيَ سَيُفْسدُ عَلَى المُسلِمِين، يُفرِّقُ جَمَاعتَهُم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[١٥] وهَذَا حَدِيثٌ - أَيْضًا - فِي المَوضُوعِ نَفسِهِ، كرَّرَ الرَّسولُ ﷺ هذا، وأعاد فيه وأبدى؛ لحاجة الناس إليه ولخطورته.

قوله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ»؛ لَا بُدَّ أَنْ يَحصُلَ منْهُ شَيْءٌ يَكرَهُهُ، لَم يَأتِ الأَمِيرُ عَلَى كلِّ مَا تُرِيدُ، لكنْ سَدِّدُوا وقَارِبُوا؛ شَيءٌ أَهوَنُ مِن شَيءٍ، مَا دَامَ هُنَاكَ أَمِيرٌ مُؤمِنٌ، فَالزَمْهُ، ولَو كَرِهْتَ مِنْهُ بَعْضَ التَّصَرُّفَاتِ، فَاصْبِرْ عَلَيهَا؛ لأَنَّ مَا يُفضِي إلَيهِ الشِّقَاقُ وَالنِّزَاعُ أَشَدُّ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ الآنَ مَعَ مَا تكرَهُ مِن الأَمِيرِ؛ فَارْتِكَابُ أَخفِّ الضَّرَرَيْن لِدَفعِ أَعْلَاهُمَا، وَدَرْءِ المَفَاسِدِ مُقَدَّمٌ على جَلبِ المَصَالحِ، اصْبِرْ.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٧٠٥٤)، ومسلم رقم (١٨٤٩).

(٢) أخرجه: البخاري رقم (٣٦٠٦)، ومسلم رقم (١٨٤٧).

«**فَلْيَصْبِرْ**»: يَصْبِرُ عَلَيهِ، وَلَو كَانَ عَليهِ بَعضُ الضَّررِ، فَإنَّ هُنَاكَ ضَرَرًا أَعظَمُ فِي شَقِّ العَصَا.

أَمَّا إذَا لَم يَصْبِرْ عَليْهِ، فهَذَا مَعنَاهُ أَنَّه شَقَّ الجمَاعَةَ، خَرَجَ عَلَيهِم، وَلَم يَلزَمْ جمَاعةَ المُسلِمِين وَإِمَامَهم، فإذَا مَاتَ عَلَى هَذَا، وَلَم يَعتَقِدْ إِمَامةَ المُسلِمِ، المَوجُودِ فِي وَقتِهِ، فَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، مَاتَ عَلَى أَمرٍ مِن أمُورِ الجَاهِلِيَّةِ، مِيتَتُه جَاهِلِيَّةٌ؛ لأنَّ أهْلَ الجَاهِلِيَّةِ هُم الَّذِينَ لَيْسَ لَهُم إمَامٌ.

أَنتُم تَعرِفُونَ العرَبَ قَبلَ البِعثَةِ لَيْس لَهُم إِمَامٌ، ولَا يَخضَعُ بَعْضُهُم لِبَعضٍ، ويَتَغَايَرُون، وَيَضرِبُ بَعضُهُم بَعْضًا، ويَتَقَاتَلُون، فَهذَا يَكُونُ مِثلَهُم، يَمُوتُ عَلَى مَا هُم عليهِ فِي الجَاهِلِيّةِ.

هذَا تَهدِيدٌ ووَعِيدٌ شَدِيدٌ؛ أَنَّ الإِنْسَانَ يَخرُجُ مِن الإِسْلَامِ إِلَى الجَاهِلِيّةِ، وَلَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وَلَيسَ مَعنَى ذَلِك أَنَّه يَكفُرُ، لكنَّ مَعنَاهُ أَنَّه يَكونُ عنْدَه خَصْلَةٌ مِن خِصَالِ الجَاهِلِيّةِ، وهِيَ عَدَمُ الاعْتِرَافِ بِإِمَامِ المُسلِمِين، هِلْ أَنْتَ تَرْضَى أَنَّكَ تَمُوتُ عَلَى شُعبَةٍ جَاهِلِيّةٍ؟! أَتَرْضَى لِنَفْسِكَ هَذَا؟!

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

ولأبي دَاوُدَ عَنِ عبد الله بن مَسْعُود ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «تَدُورُ رَحَى الْإِسْلَام لِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، فَإِنْ يَهْلَكُوا فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ، يَقُمْ لَهُمْ سَبْعِينَ عَامًا»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِمَّا بَقِيَ أَوْ مِمَّا مَضَى؟ قَالَ: «مِمَّا مَضَى»(١).[١٦]

---

[١٦] هَذَا الحَدِيثُ فِيهِ إِشكالٌ فِي مَعنَاهُ، وَقَد اختَلَفَ العُلَماءُ فِي مَعنَاه:

القَولُ الأوَّلُ: هَل هُو مِن بَابِ الوَعدِ بِالخَيرِ، وأنَّ هَذِه الأمُورَ سَتَسْتَمِرّ بَعدَ الرَّسُولِ ﷺ إلَى هَذِه المُدَّةِ، وهِي خِلَافةُ الخُلفَاءِ الرَّاشدِين، ويَستَقِيمُ أمرُهَا، ثمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ اختِلَافٌ، وَيَكُونُ هَلَاكٌ بَعْدَ مُضِيِّ هَذِه الأمَّة ثَلاثينَ أَوْ زِيَادةٌ عَلَيهَا، هَذَا قَولٌ.

والقَولُ الثَّانِي: أنَّه مِن بَابِ الذَّمِّ، وَأَنَّه سَيَكُونُ بَيْنَهم فِتَنٌ وَشُرُورٌ؛ فَيهلَكُونَ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

ولِذَلِك أَورَدَه المُصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ فِي بَابِ الفِتَنِ وَالحَوَادِثِ، وَاللهُ أَعلَمُ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٥٤).

وَلِلتِّرْمِذِيِّ: عَنِ ابْنِ أَخِي عَبدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: لَمَّا أُرِيدَ عُثْمَانُ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ فِي نُصْرَتِكَ، قَالَ: اخْرُجْ إِلَى النَّاسِ فَاطْرُدْهُمْ عَنِّي فَإِنَّكَ خَارِجٌ خَيْرٌ لِي مِنْكَ دَاخِلٌ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ، إِلَى النَّاسِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ كَانَ اسْمِي فِي الجَاهِلِيَّةِ فُلَانٌ فَسَمَّانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ، وَنَزَلَتْ فِيَّ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠] وَنَزَلَت فِيّ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرّعد: ٤٣]، إِنَّ لِلَّهِ سَيْفًا مَغْمُودًا عَنْكُمْ وَإِنَّ المَلَائِكَةَ قَدْ جَاوَرَتْكُمْ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا الَّذِي نَزَلَ فِيهِ نَبِيُّكُمْ، فَاللَّهَ اللَّهَ فِي هَذَا الرَّجُلِ أَنْ تَقْتُلُوهُ، فَوَاللَّهِ إِنْ قَتَلْتُمُوهُ لَتَطْرُدُنَّ جِيرَانَكُمُ المَلَائِكَةَ، وَلَتَسُلُّنَّ سَيْفَ اللَّهِ المَغْمُودَ عَنْكُمْ فَلَا يُغْمَدُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»، قَالَ: فَقَالُوا: اقْتُلُوا اليَهُودِيَّ وَاقْتُلُوا عُثْمَانَ. قال التِّرْمِذِيُّ: حديث غَرِيبٌ[1]. [١٧]

---

[١٧] مِن أعظَمِ الفِتنِ وَأوّلِ الفِتنِ الّتي حَدَثَتْ فِي الإِسْلَامِ مَقتَلُ عُثْمَان رضي الله عنه.

عُثمَانُ بنُ عُفَّانٍ رضي الله عنه الخَليفَةُ الرَّاشِدُ، مِن السَّابِقِينَ الأوَّلِينَ إِلَى الإِسلَامِ، هَاجَرَ الهِجرَتَيْن - إِلَى الحَبَشَةِ وَإِلَى المَدِينَةِ -، وَلَازَمَ رَسُول اللهِ ﷺ، وَجَاهَدَ مَعَه، وَشَهِد لَه رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجَنَّة؛ فَهُو مِن العَشرَةِ المَشهُودِ لَهُم بِالجَنّةِ، وهُو ثَالِثُ الخُلفَاءِ الرَّاشِدِين رضي الله عنهم،

---

(١) أخرجه: الترمذي رقم (٣٢٥٦).

قَائمٌ بكِتَابِ اللهِ ﷻ، يتْلُوهُ، ويَتهجَّدُ بِه مُعظَمَ اللَّيلِ، أوْ كلَّ اللَّيلِ، هُو الّذِي وحَّد كتَابةَ المُصحَفِ بِالرَّسم العُثمَانِيِّ؛ حتَّى لَا يَختَلِفَ النَّاسُ فِي القُرآنِ، فَصَارَ مُصحَفُه هُو المُعتَمَدُ عنْدَ المُسلِمِين، تَوحَّدَتْ القِرَاءةُ عَلَى الرَّسم العُثْمَانِيِّ فِي هَذَا المُصحَفِ، وهَذَا مِن أَعظَم فَضَائِله ﷺ.

زوَّجَه النّبيُّ ﷺ مِن ابنَتَيْهِ: رُقَيَّةَ وَتُوُفِّيَتْ عِنْدَه، وأمَّ كلْثُوم تُوُفِّيَتْ عِنْده أيضًا، وَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**زَوِّجُوا عُثْمَانَ لَو كَانَ لِي ثَالِثَةٌ لَزَوَّجْتُهُ، وَمَا زَوَّجْتُهُ إِلَّا بِالْوَحْيِ مِنَ اللهِ ﷻ**»[1].

تولَّى الخلَافَةَ بَعْدَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ بِإجمَاعِ الصَّحابَةِ ﷺ، لمَّا عَهِدَ عُمَرُ ﷺ، إِلَى السّتَّةِ أَصحَابِ الشُّورَى، اخْتَارُوه مِن بَينِهِم؛ لأَنَّه أَفضَلُ الصَّحَابَةِ ﷺ، بَعدَ عُمَرَ ﷺ؛ فَهُو ثَالِثُ الخُلَفَاءِ فِي الخِلَافةِ، وثَالِثُهم فِي الفَضلِ، فَاخْتَارُوه ﷺ.

سَارَ بِالمُسلِمِين سِيرَةً حَسَنةً، ولكنَّ اليَهُودَ دَسُّوا دَسِيسَةً فِي عَهدِه؛ بِبَثِّ الفِتنَةِ بَيْنَ المُسلِمِين وإِلغَاءِ الخِلَافَةِ، فَدَسُّوا مَاكِرًا خَبِيثًا مِنهُم، يَهُودِيٌّ يُقَالُ لَه: عَبدُ اللهِ بنُ سَبأ، أَظْهَرَ الإِسْلَامَ، يُسمَّى ابنَ السَّودَاءِ؛ لأنَّ أمَّه حَبَشِيَّةٌ، وهُو مِن يَهُودِ اليَمنِ، أَظْهَرَ الإِسلَامَ مِن أَجلِ الخَدِيعَةِ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، وَجَاءَ إِلَى المَدِينَةِ عَلَى أَنَّه مُسلِمٌ، وَهُو لَه مَقصِدٌ خَبِيثٌ، فجَعَلَ يَسُبُّ عُثْمَانَ ﷺ فِي المَجَالسِ، يَذكُرُ مَثَالِبَه، ويَزعُمُ لَه النَّقَائصَ، ويُحرِّضُ عَلَى الخُرُوجِ عَليهِ، حتَّى استَجَابَ لَه أَوبَاشٌ

(١) أخرجه: الطبراني في الكبير رقم (٤٩٠).

مِن النَّاسِ مِن بَعضِ الشَّبَابِ، ثُمَّ طُرِدَ مِن المَدِينَةِ، وَذَهَبَ إِلَى مِصْرَ، فَوَجَدَ فِي مِصرَ طَائِفَةٌ مَشهُورَةٌ بِالشَّغبِ، فَجَاءَ، وَحَضَرَهُم، فَاسْتَجَابُوا لَه، وَكَوَّنَ عِصَابَةً خَبِيثَةً، اقْتَنَعَتْ بِفِكرَتِه بِالطَّعنِ عَلَى عُثمَانَ ﷺ.

ولمَّا كَانَ فِي مَوسِمِ الحَجِّ، خَرَجَ المُسلِمُون، يَحَجُ أَغْلَبُهم، فانْتَهَزُوا الفُرصَةَ، وَجَاؤُوا بِصِفَةِ أَنَّهُم وفْدٌ جَاؤُوا إِلَى الخَلِيفَةِ؛ لِيُرَاجِعُوه فِي بَعضِ الأُمُورِ، فَطوَّقُوا بَيتَهُ ﷺ، ومنَعُوه مِن الخُرُوجِ إِلَى الصَّلاةِ بِالمُسلِمِين؛ عَلَى أَنَّهُم سَيَتَفاوَضُون مَعَهُ، لَم يَأتُوا عَلَى أَنَّهُم ثَائِرُون، ولَكِنْ جَاؤُوا لِيَتَفَاوَضُوا مَعَهُ، هَذَا الَّذِي يُظهِرُونَه، وَهُم يُبطِنُونَ الغَدْرَ.

فلمَّا كَانَ مِن اللَّيلِ، وَرَقَدَ النَّاسُ، تَسوَّرُوا عَليهِ البَيْتَ، فَقَتَلُوه فِي آخِرِ اللَّيلِ ﷺ، وَهُو يَتْلُو القُرْآنَ؛ لأنَّ مِن عَادَتِه أَنَّه يَقُومُ اللَّيلَ، فَقَتلُوه وهُو يَتلُو كِتَابَ اللهِ ﷻ، وبِذَلِك انْفَتَحَ بَابُ الفِتنَةِ عَلَى المُسلِمِين، انفتَح بَابُ القَتْلِ، انْفَتَحَ بَابُ الخِلَافِ، وهَذَا الَّذِي يُرِيدُه اليَهُودُ مِن الإِسْلَامِ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُم سَيَقْضُونَ عَلَى الإِسْلَامِ بِذَلِك.

وقَدْ ذَكَرَ اللهُ عَنْهُم مِن قَبلُ أَنَّهم يُحَاوِلُونَ الكَيْدَ لِلإِسْلَام: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]؛ أَسْلِمُوا، ثُمَّ ارْتَدُّوا فِي يَوم وَاحِدٍ؛ لأَنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْكُم دَخَلتُم فِي الإِسْلَامِ، ثُمَّ خَرَجْتُم مِنْهُ، اقْتَنَعُوا أَنَّ الإِسْلَامَ لَا يَصلُحُ؛ لِأَنَّكُم أَهلُ كِتَابٍ تُعرَفُونَ، وَلمَّا جَرَّبتُم الإِسْلَامَ، وَجَدْتُمُوه لَا يَصلُحُ، وَخَرَجْتُم عَليهِ، فَالنَّاسُ يَقتَدُونَ بِكُم؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عَن دِينِهِم.

فهَذَا مِن ضِمْنِ مَكْرِهِم وَخَدِيعَتِهِم نَحْوَ المُسلِمِين، وَلَكنَّ الإِسْلَامَ ثَابتٌ؛ لأنَّ اللهَ حَفِظَه، وإنْ كانَ يَجْرِي عَلَى المُسلِمِين مَا يَجْرِي مِن المِحَنِ وَالفِتَنِ، وَلكنَّ الإِسْلَامَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ مَحفُوظٌ - وَللهِ الحَمْدُ - وثَابِتٌ إِلَى أنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، لَا أَحدَ يُغَيِّرُهُ أبدًا، وَإِنْ حَاولَ مَن يُحَاوِلُ، فَإِنَّ الإِسْلَامَ ثَابتٌ فِي أُصُولُهُ «الكِتَابُ، وَالسّنَّةُ، وَمَا عَلَيهِ سَلَفُ الأمَّةِ»، لَا يُمكِنُ أنْ تُغَيّرَ أُصولَه وَقَوَاعِدَه.

هذَا مُلَخَّصُ مَا جَرَى فِي أَمْرِ عُثْمَانَ ﷺ.

فِي أَثْنَاءِ تَجَمُّعِهِم حَوْلَ بَيتِه ﷺ، جَاءَ عَبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ ﷺ، وكَانَ مِن أَحبَارِ اليَهُودِ المعظَّمِين فِيهِم، مِن المَوثُوقِينَ.

ولمَّا قَدِمَ النَّبيُ ﷺ المَدِينَةَ، ذَهَبَ إِلَيهِ، وَنَظَرَ فِي وَجهِهِ، وَاستمَعَ إِلَى مَا يَقُولُ، فَعرِفَ أنَّه هُو الرَّسُولُ الّذِي وَعَدَ اللهُ بِه فِي التَّورَاةِ وَالإِنْجِيلِ.

يقُولُ ﷺ: فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»(١).

هَذَا أَوَّلُ مَا سَمِعَ مِن الرَّسُولِ ﷺ، فَعَرِفَ أَنَّه نَبِيٌّ، وأَنَّه المَوعُودُ بِه فِي التَّورَاةِ وَالإِنْجِيلِ، فَأَسْلَمَ، وَحَسُنَ إِسْلَامُه، وَصَارَ مِن أَفضَلِ عُلَمَاءِ المُسلِمِين، وَشَهِدَ لَه الرَّسُولُ ﷺ بِالجَنَّةِ، هَذَا عَبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ ﷺ.

---

(١) أخرجه: الترمذي رقم (٢٤٨٥)، وابن ماجه رقم (١٣٣٤)، والحاكم رقم (٧٢٧٧).

فلمَّا جاءَ اليَهُودُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَسَمِعُوا مِنْهُ، وأَنْكَرُوا رِسَالتَه، وَقَالُوا: «هَذَا لَيْسَ النَّبِيُّ الَّذِي وَعَدَنَا اللهُ بِهِ»؛ مِن بَابِ العِنَادِ والحسَدِ: ﴿بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [البقرة: ٩٠]، فَمَنَعَهُم الحسَدُ وَالبَغيُ مِن اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهُم يَعرِفُونَ أنَّه رَسُولُ اللهِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]؛ يَعرِفُونَه بِمَا عِندَهُم مِن أَوْصَافِهِ.

ولمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا هُو بِالأَوْصَافِ المَذكُورَةِ فِي التَّورَاةِ، فَأَنْكَرُوه، وَهُم يَعرِفُونَه، وَقَالُوا: لَيْسَ هَذَا المَوصُوفُ لنَا.

قِيلَ لَهُم: مَا تَقُولُونَ فِي عَبْدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ؟

قَالُوا: هَذَا عَالِمُنَا وَإِمَامُنَا، وَأَثْنَوا عَلَيهِ. فَاسْتَنطَقَ النَّبيُّ ﷺ عَبدَ اللهِ بنَ سَلَامٍ رضي الله عنه، فقَالَ: أَشْهَدُ أنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، وَأنَّك المَذْكُورُ فِي التَّورَاةِ والإِنْجِيلِ.

فعِنْدَ ذَلِكَ سَبُّوهُ، سَبُّوا عَبدَ اللهِ بنَ سَلَامٍ رضي الله عنه، وَكَذَّبُوه بعْدَمَا مدَحُوهُ، وَأَثْنُوا عَلَيهِ، واعْتَرَفُوا بِفَضلِهِ[1].

فَهَذا مَعْنَى قَولِهِ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠]، هَذَا هُو عَبدُ اللهِ ابنُ سَلَامٍ رضي الله عنه.

والآيَةُ الثَّانِيَةُ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣].

(١) أخرجه: البخاري رقم (٣٣٢٩).

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾: لَو كنتُ كَاذِبًا، هَلْ اللهُ يقِرُّنِي، ويُمْهِلُنِي، وَيُصدِّقُنِي؟، لَو كَانَ كَاذِبًا، فَإِنَّ اللهَ يَأخُذه عَلَى عَجَلٍ، ولَا يَتْرُكه؛ كمَا أَخذَ الكذَّابِينَ.

فكَونُ اللهِ يُقرُّه، وَينصُره، ويُؤَيِّدُه - اللهُ يَطّلَعُ عَلَيهِ وَهو عَلَى مَا يَقُولُ شَهِيدٌ -، هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّه رَسُولُ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ لَا يَتْرُكُ الكذَّابِينَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ النّبُوَّةَ. أَيْنَ هُم الكَذَّابُونَ؟ ادَّعَى النّبوَّةَ كَثِيرٌ، أَيْنَ هُم الآنَ؟ قطَعَ اللهُ دَابِرَهُم: مُسَيْلمَةَ، والأَسْوَدَ العَنْسِي، وَمَن جَاءَ بَعْدَهم، لَم يَصِرْ لَهُم أَتبَاعٌ، قَطَعَ اللهُ دَابِرَهم، وَلَا يُمْهِلُهُم اللهُ ﷻ.

أَمَّا هَذَا الرَّسُولُ، فَإِنَّ اللهَ أَمَدَّه، وَأَعَانَه، وَجَعَلَ لَه أَنْصَارًا وَأَتْبَاعًا، وأَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي يُصَدِّقُه، هَذِه شَهادةُ اللهِ ﷻ لَه بِالنُّبوَّةِ، شهَادَةُ اللهِ لَه بِالرِّسَالةِ؛ إِقرَارُهُ لَه، وهُو يَقُولُ: إِنِّي رَسُولُ اللهِ، لَو كَانَ كَاذِبًا، لَم يَتْرُكْهُ اللهُ يكَذِبُ عَليهِ: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد: ٤٣]، هَذِه وَاحِدةٌ.

الثَّانِيةُ: شهَادَةُ مَن عِنْدَه عِلمُ الكِتَابِ، عُلَمَاءُ اليَهُودِ يعرِفُونَ أَنَّه رَسُولُ اللهِ، أَمَّا عَوامُّهُم، فَلَا عِبْرَة بِهِم، لكنَّ عُلمَاءَهم يَشهَدُون أَنَّه رَسُولُ اللهِ: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، لكِنْ مِنهُم مَن مَنَّ اللهُ عَلَيهِ بِالهِدَايةِ، فَأَسْلَمَ مِثْلَ عبْدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ، ومِنْهُم مَن عَانَدَ وكَابَرَ، مَعَ عِلمِهِ أَنَّه رَسُولُ اللهِ.

قَولُه تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]؛ **يَعنِي**: عَبد اللهِ بْن سَلَامٍ ﷺ، فَهُوَ مِن عُلَمَاءِ اليَهُودِ، وَمَع هَذَا شَهِدَ أَنَّه رَسُولُ اللهِ، وآمَنَ بِه، وَاتَّبَعه، فَهَذَا مَعْنَى الآيَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

جَاءَ عُبْدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ إِلَى هَؤُلَاءِ العِصَابَةِ المُجرِمَةِ الخَوَارِجِ، وَدَخَلَ عَلَى عُثمَانَ ﷺ وَهُو مُحَاصَرٌ، «**جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ فِي نُصْرَتِكَ**»، فَهَذَا مِن فَضَائِلِه ﷺ.

«**قَالَ: اخْرُجْ إِلَى النَّاسِ، فَاطْرُدْهُم عَنِّي**»، اخرُجْ إِلَى هَذِه العِصَابةِ، فَاقْنِعْهَا بِأَنْ تَتَرَاجَعَ عَن جَرِيمَتِها. فخَرَجَ إِلَيْهِم، وَكَلَّمَهم، فَزَادَ شَرُّهُم، وَقَالُوا: اقْتُلُوا اليَهُودِيَّ - نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ -، سمُّوهُ يَهُوديًا، هَذَا دَلِيلٌ عَلَى جُرْمِهِم وَعَلَى خُرُوجِهِم عَلَى دِينِ اللهِ، وأَنَّهُم يُكَفِّرُونَ أَفْضَلَ الصَّحابَةِ ﷺ، فَعَبْدُ اللهِ بنُ سلَامٍ ﷺ مِن أَفضَلِ الصَّحَابَةِ ﷺ، وَمَعَ هَذَا كَفَّرُوه، وَقَالُوا: يَهُودِيٌّ. وقَتَلُوا عُثمَانَ الخَلِيفَةَ الرَّاشِدَ ﷺ.

هَذَا كلُّه بِسَبَبِ الخرُوجِ عَلَى وَلِيِّ أَمرِ المُسلِمِين، وأَنَّ الخَوارِجَ إِذَا دَخَلَتْ فِي رُؤُوسِهِم الفِكرَةَ الخَبِيثَةَ، تَأَصَّلَتْ.

هَذَا فِيهِ التَّحذِيرُ مِن جُلَسَاءِ السُّوءِ، وَمِن الاستِمَاعِ لِمَقَالَاتِ السُّوءِ، فِيهِ التَّحذِيرُ مِن دُعَاةِ الفِتنَةِ، فَهُم لَم يَنفَعْ فِيهِم الحُجَجُ وَالبَيِّنَاتِ، وَأَصَرُّوا عَلَى جَرِيمَتِهِم، «**فَقَالُوا: اقتُلُوا اليَهُودِيَّ، وَاقتُلُوا عُثمَانَ**»، فَهَذا مَا حَصَلَ مِنْهُم.

قَولُه ﷺ: «**إِنَّ للهِ سَيْفًا مَغْمُودًا عَنْكُمْ**»، يَقُولُ عَبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ ﷺ: سَيفُ الفِتنَةِ مَغمُودٌ الآنَ بِالإِسْلَامِ، فَلَا تَسُلُّوه عَلَى المُسلِمِين، إِنْ سَلَلْتُم سَيفَ الفِتنَةِ، فَإِنَّه لَن يُرفَعَ، وَهَذَا كَلَامُ الرَّسُولِ ﷺ: «**وَإِذَا وَقَعَ عَلَيهِم السَّيفُ، لَم يُرْفَعْ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ**»[1]، إِذَا بَدَأَ القَتلُ بَيْنَ المُسلِمِين،

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٥٢)، وابن ماجه رقم (٣٩٥٢)، وأحمد رقم (٢٢٣٩٥).

اسْتَمَرَّ، كُلَّمَا انْطَفَأَ فِي نَاحيَةٍ، اشْتَغَلَ فِي نَاحيةٍ ثَانِيةٍ، فَبَابُ الفِتنَةِ إذَا انْفَتَحَ، صَعُبَ سَدُّه، فَهُو حَذَّرَهم مِن إِشْعَالِ الفِتنَةِ.

لكِنْ لمَّا تَأصَّلَ الشَّرُّ فِي رُؤُوسِهم وَالفِكرُ الخَبِيثُ، انْظُرُوا! الفِكْرَ الخَبِيثَ وَدُعَاةَ الضَّلالِ كَيفَ يُؤَثِّرُون عَلَى بَعضِ النَّاسِ، لَا يَقبَلُونَ النَّصِيحةَ، ولَا يَقبَلُونَ مِن العُلمَاءِ، وَلَا يَعتَقِدُون أنَّ النَّاسَ عَلَى صَوابٍ، إِنَّمَا هُم الَّذِينَ عَلَى الصَّوَابِ فَقَطْ، وَمَن خَالَفَهُم فَهُو كَافِرٌ. هَذِه صِفَةُ الخَوَارِجِ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -؛ أَنَّهُم يُكفِّرُون المُسلِمِين، ويَعتَقِدُونَ أنَّهم هُم المُسلِمُون وَحْدَهُم بِسَبَبِ الفِكرِ الخَبِيثِ وَالدِّعَايَاتِ الضَّالَّةِ وَدُعَاةِ السُّوءِ؛ جُلَسَاءِ السُّوءِ.

فَهَذا فِيهِ أكبَرُ عِبْرَةٍ ومَوعِظَةٍ لِشَبَابِنَا اليَوْمَ هَدَاهُم اللهُ، ووَفَّقَهُم أنْ يَتعلَّمُوا العِلمَ النَّافِعَ، وَيَتَعَلَّمُوا العَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ، وَيَسِيرُوا عَلَيْهَا، وَيَتَمَسَّكُوا بِهَا، وأَلَّا يُصْغُوا إِلَى الأَفْكَارِ المُنحَرِفَةِ والدِّعَايَاتِ الضَّالَّةِ - ومَا أَكْثَرَهَا اليَوْمَ! -، تُرَوَّجُ اليَوْمَ بِوَاسِطةِ وسَائِلِ الإِعْلَامِ، بِوَاسِطةِ دُعَاةِ الضَّلَالِ، بِوَاسِطةِ المَجَالسِ المُنقَطِعةِ عَن المُسلِمِين، بِوَاسِطةِ الانْعِزَالِ عَن المُسلِمِين، والابْتِعَادِ عَن المَسَاجدِ، وعَن صَلاةِ الجمَاعَةِ؛ لأَنَّهُم يُكَفِّرُون المُسلِمِين، وَلَا يُصَلُّون مَعَهُم لَا جُمعَةَ وَلَا جَمَاعَةَ، يَنعَزِلُونَ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، هَذِه سِمَةُ الخَوَارِجِ.

قَولُه ﷺ: «وَإِنَّ المَلَائِكَةَ قَدْ جَاوَرَتْكُم فِي بَلَدِكُمْ»؛ المَدِينَةُ، دَارُ الهِجرَةِ، جَاوَرَتْهُم المَلَائِكةُ، فَإِذَا حَصَلَتْ الفِتنَةُ، تَرحَلُ المَلائِكَةُ مِن عِنْدِهِم، وَتَأْتِي الشَّيَاطِينُ.

قَولُه ﷺ: «**هَذَا الّذِي نَزَلَ فِيهِ نَبِيُّكُم**»، وَهَذا البَلَدُ نَزَلَ فِيهِ نَبِيُّكُم، فَفِيهِ فَضْلُ هَذَا البَلَدِ؛ بِسَببِ نُزُولِ النّبيِّ ﷺ فِيهِ، وَسُكْنَاهُ فِيهِ، فَأَنْتُم فِي خَيرِ بَلدٍ وَفِي خَيرِ جِوَارٍ، وَمَع خَيرِ صُحبَةٍ مِن المُسلِمِين، فَكَيْفَ تَتنَكَّرُون، تَزعُمُون أَنَّكم عَلَى حَقٍّ، وأَنَّ هَذَا هُو الدِّينُ؟!

قَولُه ﷺ: «**فَاللهَ اللهَ فِي هَذَا الرَّجُلِ أَنْ تَقتُلُوهُ**»؛ **يَعنِي**: عُثْمَان ﷺ.

قَولُه ﷺ: «**أَنْ تَقْتُلُوهُ**»؛ **يَعنِي**: لَا تَقتُلُوهُ، فِي تَقدِيرِ حَرفِ لَا: أَنْ لَا تَقتُلُوه.

قَولُه ﷺ: «**فَوَ االلهِ إِنْ قَتَلْتُمُوهُ لَتَطْرُدُنَّ جِيرَانَكُم الْمَلَائكَةَ، وَلَتسلُّنَّ سَيْفَ اللهِ الْمَغْمُودِ عَنْكُمْ**»، إِذَا قَتَلتُمُوه، سَتَرْحَلُ المَلائِكَةُ، وَتَأْتِي الشَّياطِينُ تُصَاحِبُكُم، وأَعظَمُ مِن ذَلِكَ: أَنَّه يَنفَتِحُ بَابُ الفِتنَةِ بَيْنَ المُسلِمِين.

فهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّه يَجِبُ طَاعَةُ وَلِيِّ الأَمْرِ وَالصَّبْرُ مَعَه، وَعَدَمُ التِمَاسِ عُيُوبِه، وعَدَمُ الخُرُوجِ عَلَيهِ؛ لِأَجْلِ بَقَاءِ الإِسْلَامِ، وبَقاءُ جَمَاعَةِ المُسلِمِينَ، وَسَدُّ بَابِ الفِتنَةِ.

قَولُه ﷺ: «**فَلَا يُغْمَدُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، فَإِذَا انفَتَحَ بَابُ الفِتنَةِ، صَعُبَ سَدُّه، فقد كَانَ مُغلَقًا فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ وعهْدِ أَبِي بَكرٍ ﷺ وعَهْدِ عُمَرَ ﷺ، فِي عَهدِ عُمَرَ كَانَ بَابُ الفِتنَةِ مُغْلَقًا - كَمَا يَأْتِي -، فَإِذَا فُتِحَ فَإِنَّه لَا يُسَدُّ.

قَولُه: «**فَقَالُوا: اقْتُلُوا اليَهُودِيَّ واقْتُلُوا عُثْمَانَ**»، لَم يَنْفَعْ فِيهِم الوَعْظُ وَالتَّذْكِيرُ وإِقَامَةُ الحُجَجِ عَلَيهِم.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

وَلَهُمَا أَنَّ عُمَرَ ﷺ قَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، وَكَيْفَ قَالَ؟ قَالَ: قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ، وَالصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» فَقَالَ عُمَرُ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا لَكَ وَلَهَا، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: أَفَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ أَبَدًا، قَالَ: فَقُلْتُ لِحُذَيْفَةَ: هَلْ كَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مَنِ الْبَابُ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ، قَالَ: فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ: مَنِ الْبَابُ؟ فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ: سَلْهُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: عُمَرُ»(1).[١٨]

---

[١٨] هَذَا حُذَيفَةُ بنُ اليَمَانِ ﷺ، سَبَقَ الكَلَامُ عَنهُ، وأنَّه مُتَخصِّصٌ فِي مَعرفَةِ الفِتَنِ الَّتِي سَتَحدُثُ؛ لِأنَّه تلقَّى ذَلك عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَهو أَخَصُّ النَّاسِ بِمعْرِفَةِ النَّاسِ عَن هَذَا البَابِ.

سأَلَهُ عُمَرُ ﷺ عَن الفِتنِ؛ لِأجْلِ تَجنُّبِها وَالابْتِعَادِ عَنْهَا وَالتَّحذِيرِ مِنْهَا، الإِنْسَانُ يَسأَلُ عَن الشَّرِّ لَا لِأَجْلِ الشَّرِّ، وإِنَّمَا لِأَجلِ اجْتِنَابِه.

كمَا قَالَ ﷺ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَن الخَيرِ، وَكُنْتُ أَسأَلُه عَن الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»(2).

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٥٢٥)، ومسلم رقم (١٤٤).
(٢) أخرجه: البخاري رقم (٣٦٠٦)، ومسلم رقم (١٨٤٧).

فيَجِبُ علَى المُسلِمِ أنْ يَحذَرَ، وأنْ يَخَافَ مِن الفِتَنِ، ويَسأَلُ أَهْلَ العِلمِ، فَهَذَا عُمَرُ بنُ الخطَّابِ ﷺ يَسأَلُ حُذَيفَةَ ﷺ، وهَذَا فِيهِ سُؤَالُ العُلَمَاءِ عَن الفِتنَةِ.

قَولُه ﷺ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «فِتنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهلِهِ وَمَالِهِ وَنَفسِهِ وَوَلَدِه وَجَارِهِ يُكَفِّرُها الصِّيَامُ، وَالصَّلاةُ، وَالصَّدَقةُ، والأَمْرُ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيِ عَن المُنْكَرِ»»، ذَكَرَ الفِتَنَ الّتِي تُكفِّرُها الأَعْمَالُ الصَّالِحةُ، الفِتَنُ لَيْسَتْ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، بَعضُهَا أَخَفُّ مِن بَعضِهَا؛ بَعضُهَا تُكفِّرُه الأَعمَالُ الصَّالحَةُ - الصَّلاةُ والصِّيَامُ -، فَفِتنَةُ الرَّجلِ فِي أَهلِهِ، وَفِتنةُ الرَّجُلِ فِي مَالِه تُكَفِّرُها الأَعمالُ الصَّالحَةُ.

قَولُه ﷺ: «فَقَالَ عُمَرُ: لَيسَ هَذَا أُرِيدُ، إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ»، الّذِي يَسأَلُ عَنْهُ عُمَرُ ﷺ الفِتْنَةَ العُظمَى، الَّتِي تَمُوجُ كَموجِ البَحْرِ، تَتَعَاظَمُ - وَالعِياذُ بِاللهِ -، تَزِيدُ حَتَّى تُغطِّي الحَقَّ، الفِتنَةُ الخَطِيرةُ، هَذَا الَّذِي يَسأَلُ عَنْهُ عُمَرُ؛ لِأَجلِ الحَذَرِ مِنهُ وَالحيطَةِ.

قَولُه ﷺ: «فَقُلْتُ: مَا لَكَ وَلَهَا، يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِين؟»؛ يَعنِي: الَّتِي تَمُوجُ كَمَوجِ البَحرِ مَا لَكَ وَمَا لَهَا؛ لِأَنَّ اللهَ - سُبْحَانَه - حَمَاكَ مِنْهُا؟

قَولُه ﷺ: «إنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا»؛ وَذَلِكَ بِخِلَافةِ عُمَرَ ﷺ وَعَدلِهِ، وَحَزْمِهِ، وَأَنَّهُ مُحدَّثٌ، بِمَعنَى أنَّه يُلهَمُ، هُو مُلْهَمٌ ﷺ، فَهُو لَا يُخَافُ عَلَيهِ مِن هَذِه الفِتنَةِ فِي دِينِهِ، قَدْ تَقَعُ عَلَيهِ فِي نَفسِهِ، لَكِنْ لَا يُخَافُ عَلَيهِ مِنهَا فِي دِينِهِ.

قَولُه ﷺ: «أَفَيُكسَرُ البَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، بَلْ يُكسَرُ»، فَهِمَ عمَرُ أنَّه هُو البَابُ؛ أنَّ عُمَرَ هُو البَابُ، فَسأَلَه: هَل هَذَا البَابُ يُفْتَحُ

بِسُهُولةٍ أمْ يُكْسَرُ؟ هذا كِنايةٌ عَن هَلْ يُقتَلُ عُمَرُ ﷺ، هَذَا سِرٌّ بَيْنَ حُذَيفَةَ وَبَيْنَ عُمَرَ؛ «**أَفَيُكْسَرُ البَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟**»؛ **يَعنِي**: يُقتَلُ هَذَا الرَّجُلُ، الّذِي جَعلَه اللهُ بَابًا، سَدًّا عَن الفِتنَةِ، أوْ أنَّ البَابَ يُفتَحُ بِدُونِ قَتلٍ؟

قَولُه ﷺ: «**قُلْتُ: لَا، بَلْ يُكْسَرُ**»، هَذَا فِيهِ إِشَارةٌ إِلَى قَتْلِ عُمَرَ ﷺ، وَقَد حَصَلَ.

قَولُه ﷺ: «**ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ أَبَدًا**»؛ أَيْ: أَقرَبُ أَلَّا يُغْلَقُ؛ لِأنَّ بَابَ الفتنَةِ إذَا فُتِحَ، فَإِنَّه لا يُغْلَقُ، صَعُبَ إِغلَاقُهُ، فَفِيهِ التَّحذِيرُ مِن فَتْحِ بَابِ الفِتنَةِ؛ لِأنَّه لا يُمكِنُ إِغْلَاقُه بَعْدَ ذَلِك، لَكِنْ طَالَمَا أَنَّه مُغْلَقُ فَالأَمْرُ سَهلٌ.

قَولُه: «**قَالَ: فَقُلْنَا لِحُذَيفَةَ: هَلْ كَانَ عُمَرُ يَعلَمُ مَن البَابُ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَة**»؛ **يَعنِي**: عُمَرُ ﷺ يَعلَمُ مَا المُرَادُ بِالبَابِ، هَذَا سِرٌّ بَينَهُ وَبَيْنَ حُذَيفَةَ، يَعلَمُ أنه هُو البَابُ، وأنَّ كَسرَهُ قَتْلُ عُمَرَ ﷺ.

قَولُه: «**إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ، قَالَ: فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيفَةَ: مَن البَابُ؟**»؛ هَابُوا أَنْ يَسأَلُوا حُذَيفَةَ ﷺ: مَن البَابُ؛ لِأنَّ هَذَا مُوحِشٌ، فَأَمَرُوا مَسْرُوقًا - مِن التَّابِعِينَ -: أَنْ يَسْأَلَ حُذَيفَةَ ﷺ عَن هَذَا البَابِ.

قَولُه: «**فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ: سَلْهُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: عُمَرُ**»؛ البَابُ عُمَرُ ﷺ، وكَسْرُهُ قَتْلُهُ ﷺ، وَقَد حَصَلَ مَا تَخوَّفَه، قَتَلَهُ أَبو لُؤْلُؤَةَ المَجُوسِيّ.

الحَمدُ للهِ أنَّ قَتْلَهُ لَم يكُنْ بِيَدِ مُسلِم، وإِنَّمَا كَانَ بِيَدِ مَجُوسِيٍّ، ولَكِنَّ قَتْلَ عُثْمَانَ ﷺ كَانَ بِيَدِ مُسلِمِين - مَعَ الأَسَفِ -؛ خَوَارِجُ مِن المُسلِمِين.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

وَلأَبِي دَاوُدَ عَنْ نَصْرِ بْنِ عَاصِمِ اللَّيْثِيِّ. قَالَ: أَتَيْنَا الْيَشْكُرِيَّ فِي رَهْطٍ مِنْ بَنِي لَيْثٍ، فَقَالَ: مَنِ الْقَوْمُ؟ فَقُلْنَا: بَنُو لَيْثٍ، أَتَيْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ أَبِي مُوسَى قَافِلِيْنَ، وَغَلَتِ الدَّوَابُّ بِالكُوفَةِ. قَالَ: فَسَأَلْتُ أبا مُوسَى أَنَا وَصَاحِبٌ لِي، فَأَذِنَ لَنَا، فَقَدِمْنَا الْكُوفَةَ. فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: إِنِّي دَاخِلُ الْمَسْجِدَ، إِذَا قَامَتِ السُّوقُ خَرَجْتُ إِلَيْكَ، فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا فِيهِ حَلَقَةٌ، كَأَنَّمَا قُطِعَتْ رُؤُوسُهُم، يَسْتَمِعُونَ لِحَدِيثِ رَجُلٍ. قَالَ: فَقُمْتُ عَلَيْهِم، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَقَامَ إِلَى جَنْبِي. قَالَ. فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَبَصْرِيٌّ أَنْتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: قَدْ عَرَفْتُ وَلَوْ كُنْتَ كُوفِيًّا لَمْ تَسْأَلْ عَنْ هَذَا. فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَسَمِعْتُ حُذَيْفَةَ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ. وَعَرَفْتُ أَنَّ الْخَيْرَ يَسْبِقُنِي. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَبَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ فَقَالَ: «يَا حُذَيْفَةُ: تَعَلَّم كِتَابَ اللهِ، واتَّبِعْ مَا فِيهِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «فِتْنَةٌ وَشَرٌّ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ خَيرٌ؟ قَالَ: «يَا حُذَيْفَةُ، تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ» ثَلاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ خَيرٌ؟ قَالَ: «هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ، وَجَمَاعَةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ، فِيهَا» - أَوْ فِيهِم - قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الهُدْنَةُ عَلَى الدَّخَنِ مَا هِيَ؟ قَالَ: «لَا تَرْجِعُ قُلُوبُ أَقوامٍ عَلَى الَّذِي كَانَتْ عَلَيهِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَبَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ:

«فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ، صَمَّاءُ، عَلَيْهَا دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ النَّارِ؛ فَإِنْ تَمُتْ يَا حُذَيْفَةُ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلٍ، خَيْرٌ لَّكَ مِنْ أَنْ تَتْبَعَ أَحَدًا مِنْهُم»(١). [١٩]

---

[١٩] **قَولُه: «أَتَيْنَا الْيَشْكُرِيَّ فِي رَهْطٍ مِنْ بَنِي لَيْثٍ، فَقَالَ: مَنِ الْقَوْمُ؟ فَقُلْنَا: بَنُو لَيْثٍ: أَتَيْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ أَبِي مُوسَى قَافِلِينَ، وَغَلَتِ الدَّوَابُّ بِالكُوفَةِ. قَالَ: فَسَأَلْتُ أَبا مُوسَى أَنَا وَصَاحِبٌ لِي، فَأَذِنَ لَنَا»**، أَبُو مُوسَى الأَشعَرِيّ ﷺ هُو أَمِيرُ الكُوفَةِ، اسْتَأْذَنَه هَذَا الوَفدُ أَنْ يَقدُمُوا عَلَى الكُوفَةِ، فَأَذِنَ لَهُم.

قَولُه: «قَالَ: فَقُمْتُ عَلَيْهِم، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَقَامَ إِلَى جَنْبِي. قَالَ: فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَبَصْرِيٌّ أَنْتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: قَدْ عَرَفْتُ، وَلَوْ كُنْتَ كُوفِيًّا لَمْ تَسْأَلْ عَنْ هَذَا»؛ يَعنِي: هَلْ أَنْتَ مِن هَذَا البَلدِ، وَتَجهَلُ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي يَتَحَدَّثُ؟ قَالَ: لَا، أَنَا مِن البَصْرَةِ.

البَصرَةُ مَدِينَةٌ أُخْرَى مِن مُدنِ العِرَاقِ، أَشهَرُ مَدِينَتَانِ فِي العِرَاقِ: الكُوفَةُ والبَصْرَة.

هذَا الرَّجلُ الَّذِي يَتحَدَّثُ كَانَ مَن هُو؟ كَانَ حُذَيفَةُ بنُ اليَمَانِ ﷺ.

قَولُه: «فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَسَمِعْتُ حُذَيْفَةَ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ»، هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الإِنْسَانَ لَا يَقتَصِرُ عَلى تَعلُّمِ الخَيرِ، بَلْ يَتعَلَّمُ الشَّرَّ - أَيضًا -، يَعرِفُ الشَّرَّ مِن أَيْنَ يَأتِي، مَا أَسْبَابُه، ومَا أَنْوَاعُه، وَمَن الَّذِي يَقُومُ بِه؛ مِن أَجلِ أَنْ يَحذَرَ مِنْهُ، وَيُحَذِّرَ النَّاسَ.

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٤٦)، وأحمد رقم (٢٣٢٨٢).

قَوْلُه: «**وَعَرَفْتُ أَنَّ الْخَيْرَ يَسْبِقُنِي**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ فَقَالَ: «**يَا حُذَيْفَةُ: تَعَلَّم كِتَابَ اللهِ، واتَّبِعْ مَا فِيهِ**»؛ لِأَنَّ كِتَابَ اللهِ وَاتِّبَاعَ مَا فِيهِ يَقِي مِن الفِتنَةِ، لَا يَقِي مِن الفِتنَةِ إِلَّا العِلمُ الصَّحِيحُ، تَعَلَّمْ، أَيْضًا التَّعلُّمُ يَكُونُ عَلَى عُلَمَاءٍ.

انْتَبِهُوا إِلى قَوْله: «**تَعَلَّم كِتَابَ اللهِ، واتَّبِعْ مَا فِيهِ**»، التَّعَلُّمُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى عُلمَاءٍ، وَلَا يُمكِنُ تَعرُّفُ الشَّرِّ وَالفِتنِ إِلَّا بِالتَّعَلُّم، لَا تَتَعَلَّمْ عَلَى الجُهَّالِ، أَوْ عَلَى الكُتبِ والمُطَالعَاتِ، أَوْ عَلَى الفَضَائِيَّاتِ، أَوْ عَلَى الأَشْرِطَةِ؛ لَا بُدَّ أَنْ تَتَّصِلَ بِالعُلَمَاءِ، وَتَجْلِسَ مَعَهُم، وَتَسْأَلَهُم، هَذَا هِوَ طَرِيقُ العِلم الصَّحِيح.

قَوْلُه: «**قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «فِتْنَةٌ وَشَرٌّ**»»، هَذَا فِتنَةٌ، يَكُونُ بَعْدَ الخَيرِ فِتنَةٌ وَشَرٌّ.

قَوْلُه: «**قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ خيرٌ؟ قَالَ: «يَا حُذَيْفَةُ، تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**»؛ يَحُثُّ حُذَيفَةَ عَلَى تَعَلُّم كِتَابِ اللهِ؛ لِأَنَّه لَا مَنْجَى مِن الفِتَنِ - إِذَا حَدَثَتْ -، إِلَّا بِكِتَابِ اللهِ ﷻ.

انْتَبِه! الحَثُّ عَلَى التَّعَلُّم، الرَّسُولُ ﷺ يَحُثُّ عَلَى تَعَلُّم كِتَابِ اللهِ. وَسُنَّة رَسُولِ اللهِ ﷺ دَاخِلَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ؛ لِأَنَّه لَا يُنجِي مِن الفِتَنِ إِلَّا الاعْتِصَامُ بِكتَابِ اللهِ ﷻ، تَعلُّمُ كِتَابِ اللهِ لَا يَكُونُ عَفوِيًّا، لَا بُدَّ مِن تَلَقِّيهِ عَن العُلَمَاءِ العَالِمِين بِه.

قَوله: «**قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرِّ خَيرٌ؟ قَالَ: «هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ، وَجَمَاعَةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ، فِيهَا - أَوْ فِيهِم -**»»، يكُونُ بَعْدَ هذَا الشَّرِّ خَيرٌ، لَكِنَّه لَيْسَ خَالِصًا، يكُونُ خَيرٌ، لَكِنَّه فِيهِ دَخَنٌ؛ **يَعنِي**: فِيهِ شَيءٌ مِن الشَّرِّ؛ مَخْلُوطٌ.

قَوله: «**قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الهُدْنَةُ عَلَى الدَّخَنِ مَا هِيَ؟ قَالَ: «لَا تَرْجِعُ قُلُوبُ أَقوَام عَلَى الَّذِي كَانَتْ عَلَيهِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَبَعْدَ هَذَا الْخَيرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ، صَمَّاءُ**»»؛ عَميَاءُ لَا تُبصِرُ، صَمَّاءُ لَا تَسمَعُ، بِمَعْنَى أَنَّها مُتغَلْغِلةٌ، لَا يَرُدُّهَا رَادٌّ، إِذَا حَدَثَتْ الفِتَنُ، صَعُبَ دَفْعُها، لَكنْ قَبْلَ أَنْ تَحدُثُ، فَإِنَّه يَجتَهِدُ فِي إِغْلَاقِهَا، وَإِبْعَادِ النَّاسِ عَنْهَا، وإِلَّا إِذَا حَدَثَت، كثِيرٌ مِن النَّاسِ يُرِيدُونَ الفِتنَ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، كثِيرٌ مِن النَّاسِ يُرِيدُونَ الفِتنَ، وَيَعْشَقُونَهَا، وَيستَمِعُونَ لِأَهْلِهَا؛ فَلَا يُفتَحُ هَذَا البَابُ.

قَوله: «**عَلَيْهَا دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ النَّارِ**»، لَيْسَت فِتنةٌ عَمْيَاءُ صَمَّاءُ فَقَطْ، وَأَيضًا عَلَيْهَا دُعَاةٌ يَدْعُون لَهَا، وَيُرَغِّبُون فِيهَا، وَفِي حَدِيثٍ آخَر: «**دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَن أَجَابَهُم إِلَيْهَا، قَذَفُوهُ فِيهَا**»[1].

الفِتنَةُ لَا تَأْتِي بِنَفْسِها فَقَطْ، بَل لَهَا مُرَوِّجُون، لَهَا دُعَاةٌ يُرَوِّجُونَها، وَيُزَيِّنُونَها لِلنَّاسِ، فَتَدْخُلُ أَفكَارُ كَثِيرٍ مِن المَغْرُورِينَ، هِي فِي نَفْسِها فِتنَةٌ شَدِيدةٌ، وَأَيضًا لَهَا حَمَلَةٌ يَدْعُونَ إِلَيهَا.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٣٦٠٦)، ومسلم رقم (١٨٤٧).

فَالخَطرُ شَدِيدٌ فِي وَقْتِنَا هَذَا - كَمَا تَعْلَمُون -، وَالفِتَنُ وَوَسَائلُ الشَّرِّ كَثِيرَةٌ، وَدُعَاةُ الضَّلالِ الَّذِينَ يَأْتُونَ بِاسْمِ الخَيرِ، وَبِاسْمَ الدَّعوَةِ إِلَى اللهِ، وَبِاسْمِ...، وَبِاسْمِ...، وَهُم كَذَبَةٌ. فيَجِبُ الحَذَرُ مِنْهُم، وَيَجِبُ الانْحِيَازُ إِلَى أَهْلِ العِلْمِ، المُتَمَسِّكِينَ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِه، العَالِمِين بكِتَابِ اللهِ وَسُنّةِ رَسُولِهِ، يَجِبُ الانْحِيَازُ إِلَيْهِم، وَالانْضِمَامُ لَهُم، وَالاسْتِمَاعُ لَهُم، وَالحَذَرُ مِن هَؤُلَاءِ الدُّعَاةِ؛ دُعَاةُ الضَّلَالِ.

الفِتنَةُ لَا تَأتِي بِنَفسِها فقَطْ، يَأتِي مَعَهَا نَاسٌ يُرَوِّجُونَها، وَيَدْعُونَ لَهَا، فيَجِبُ الحَذَرُ منْهُم، هُم لَا يَأْتُونَ وَيَقُولُونَ: نَحْنُ دُعَاةُ فِتنَةٍ، لَا، بَل يَقُولُونَ: نَحنُ دُعَاةُ خَيرٍ، وَدُعَاةُ سُنَّةٍ، وَدُعَاةٌ إِلَى اللهِ ... إِلَى آخِرِهِ. وَلَكِنْ مَا هُم عَلَيهِ بَاطِلٌ، يُرَوِّجُونَ هَذَا عَلَى كَثِيرٍ مِن النَّاسِ؛ فَيَجِبُ الحَذَرُ مِن هَؤُلَاءِ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ!

قَولُه: «فَإِنْ تَمُتْ يَا حُذَيْفَةُ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جَذْلٍ، خَيْرٌ لَّكَ مِنْ أَنْ تَتْبَعَ أَحَدًا مِنْهُم»؛ يَعنِي: مَاذَا تَفعَلُ إِذَا جَاءَ هَؤُلَاء الدُّعَاةُ؟ هَل تَسْتَسْلِمُ، وَتَقُولُ: لَيسَ بِيَدِي حِيلَةٌ؟

نَعَمْ، لَيسَ باليَدِ حِيلَةٌ، لَكِنْ ابْتَعِدْ عَنْهُم، لَا تَخْتَلِطْ بِهِم، لَا تَسْتَمِعْ لَهُم، ابْتَعِدْ عنهُم، وَانْعَزِلْ، وَلَو أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى تُدرِكَكَ مَنِيَّتُك، اعْتَزِلْ الفِتَنَ.

هَذَا الحَدِيثُ فِيهِ: اعْتِزَالُ الفِتَنِ وَأَهْلِهَا، وَعَدمُ الاخْتِلَاطِ بِهِم.

بَعضُ النَّاسِ يَقُولُ: أَنَا لَيسَ لِي شَأنٌ بِهِم، أَنَا أَجْلِسُ مَعَهُم، وَلَيْسَ عِنْدِي - إِنْ شَاءَ اللهُ - شَرٌّ، وَلَكِنْ أَجلِسُ مَعَهُم، وَاسْتَمِعْ لَهُم، وَأَنَا عَلَى مَا أَنَا عَلَيهِ.

نَقُولُ: نَعَمْ، أَنْتَ فِي الأَوَّلِ أَنْتَ مَا عَلَيهِ، لَكِنْ إِذَا جَلَسْتَ مَعَهُم، وَمَعَهُم حُجَجٌ شَيْطَانِيَّةٌ، يُؤَثِّرُونَ عَلَيكَ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

اللهُ نَهَانَا عَنِ الجُلُوسِ مَعَ القَومِ الظَّالِمِينَ، وَمِن أَظْلَمِ الظَّالِمِين دُعَاةُ الفِتنَةِ، لَا تَجلِسْ مَعَهُم، لَا تَسْتَمِعْ لَهُم، لَا تَقُلْ: أَنَا أَعْرِفُ، وَلَا يُمْكِنُ لَهُم أَنْ يَخْدَعُونِي. لَا، لَا تُزَكِّ نَفْسَكَ يَا أَخِي.

حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ ﷺ عَلَى عِلمِه وَعَلَى فَضلِهِ يَقُولُ لَه الرَّسُولُ ﷺ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَو أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ**»[1].

لَو لَيْسَ عِندَكَ مَالٌ، وَلَيْسَ عِندَكَ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ، لَو تَعَضُّ عَلَى شَجرَةٍ يَابِسَةٍ، أَفضَلُ لَكَ مِن أَنْ تُجَالِسَ أَهْلَ الفِتَنِ وَأَهْلَ الشَّرِّ؛ فِرَارًا بِدِينِكَ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

(١) أخرجه: البخاري رقم (٣٦٠٦)، ومسلم رقم (١٨٤٧).

وَلَهُمَا، عَن أَبِي إِدْرِيسِ الْخَوْلَانِي: أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلك الشَّرِّ مِن خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَومٌ يَهْدُونَ بِغَيرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُم وَتُنْكِرُ»، قُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَاكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ: دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَن أَجَابَهُم إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُم لَنَا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِيْنَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُم جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[1]. [٢٠]

---

[٢٠] هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ، حُذَيفَةُ ﷺ كانَ مَعْنِيًّا بِالسُّؤَالِ عَن الفِتَنِ؛ خَوْفًا علَى دِينِه، يُرِيدُ أَنْ يَعرِفَ الحُكمَ الشَّرْعِيَّ إِذَا وَقَعَتْ، لَم يَكنْ يَسأَلُ عَن الفِتَنِ مَحبَّةً لَهَا، وإِنَّما كَانَ يَسأَلُ عنهَا خَوْفًا مِنْهَا عَلَيهِ وَعَلَى الأُمَّةِ.

قَالَ ﷺ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ»؛ يَعنِي: عَن الخَيرِ فَقَطْ.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٣٦٠٦)، ومسلم رقم (١٨٤٧).

قَالَ ﷺ: «وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»؛ فَهَذَا فِيهِ فَائِدةٌ عظِيمَةٌ، وَهِي أَنَّ الإِنسَانَ لَا يَقتَصِرُ عَلَى تَعلُّمِ الخَيرِ، وَلَكِنَّهُ يَجمَعُ بَيْنَ تعلُّمِ الخَيرِ وَتَعلُّمِ مَاذَا سَيَكُونُ ضِدَّ الخَيرِ؛ حتَّى يَستَعِدَّ لَه؛ لِأَنَّ الخَيرَ لَا يَدُومُ - هَكَذَا الدُّنيَا -، الخَيرُ لَا يَدُومُ، وَالشَّرُّ - أَيْضًا - لَا يَدُومُ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وَلَو كَانَ الخَيرُ يَدُومُ، لَم نَحْتَجْ إِلَى السُّؤَالِ عَن الشَّرِّ، وَلَكِنْ نَعْلَمْ أَنَّ الخَيْرَ لَا يَدُومُ، فنَسْأَلُ: مَاذَا نَعمَلُ إِذَا جَاءَ الشَّرُّ؟ هَذَا فِقهٌ عَظِيمٌ.

الآنَ هُنَاكَ مِن النَّاسِ مِن الجُهَلَاءِ أَوْ مِن المُغرِضِين مَن يَقُولُونَ: «لَا تَدْرُسُوا مَذَاهِبَ الفِرقِ، وَالخَوَارِجِ، وَالمُعتَزِلَة، وَالجَهْمِيّةِ، هَؤُلَاءِ مَاتُوا، ذَهَبُوا، يَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ مَاتُوا، وَذَهَبُوا، فَلَا تَدْرُسُوا هَذَا». يَقُولُ هَذَا مِن الجَهلِ أَوْ مِن الغِشِّ لِلأُمَّةِ.

لَا بُدَّ مِن دِراسَةِ هَذَا؛ لِأَنَّ لَهم وَرَثَةٌ، فَمَا مِن قَومٍ إِلَّا وَلَهُم وَارِثٌ، الجَهْمِيّةُ بَاقِيةٌ للآنَ، والمُعتزِلَةُ بَاقِيةٌ للآنَ، وسَائِرُ الفِرَقِ بَاقِيَةٌ.

وأَيْضًا لَو فَرَضْنَا أَنَّهم انْقَرَضُوا هُم بِأَشْخَاصِهِم، فَكُتُبُهم مَوجُودَةٌ مَطْبُوعَةٌ، ويَطْبَعُونَهَا، وَيَنْشُرُونَهَا، وَيُحَقِّقُونَها، وَيَعْتَنُونَ بِهَا للآنَ، فَأَتْبَاعُهُم يَعْتَنُونَ بِهَا جِدًّا، والدُّوَلُ الكَافِرةُ - أيضًا - تَعْتَنِي بِها مِن أَجْلِ أَنْ تَدُسَّها عَلَى المُسلِمِين، فَلَا بُدَّ مِن دِرَاسةِ هذِهِ الأُمُورِ مِن أَجلِ أَنْ نَعْملَ لَهَا مُضَادًّا، وإِلَّا فَإِنَّها سَتَضُرُّ النَّاسَ.

فهَذَا وَجهُ كَونِ حُذَيفَةَ ﷺ يَسأَلُ عَن الشَّرِّ، لِمَاذَا يَسأَلُ عَنْهُ؟ قَد بيَّنَ هَذَا، فَقَالَ ﷺ: «مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»، فَإِذَا أَدرَكَنِي، يَكُونُ عِندِي

مَا أُعَالِجُ بِه هَذِه الحَوَادِثَ، وأَبْتَعِدُ عَن شَرِّهَا، وَهَذَا مِن فِقْهِهِ ﷺ وَنُصْحِهِ لِلأُمَّةِ.

قَالَ ﷺ: «**فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ**»، هَذَا قَبْلَ بِعثَةِ النَّبيِّ ﷺ، كَانُوا يَعبُدونَ الأَصنَامَ، وَيَعبُدُون الأَشجَارَ والأَحْجَارَ، وينَهَبُ بَعضُهُم بَعْضًا، وَيَقتُلُ بَعضُهُم بَعْضًا، كَانُوا لَا يَتَقَيَّدُون بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ؛ يَأكُلُونَ الرِّبَا، يَأكُلُون المَيْتَاتِ - الجِيَفَ -، يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَغَيرَ ذَلِكَ مِن المُوبِقَاتِ، هَذَا فِي الجَاهِلِيَّةِ.

ثُمَّ جَاءَ اللهُ بِالخَيرِ، فَبَعَثَ رَسُولَه ﷺ، وَجَاءَ الإِسْلَامُ، وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِه، فَهَلْ يَستَمِرُّ هَذَا الخَيْرُ؟ سَأَلَ حُذَيفَةُ ﷺ رَسُولَ اللهِ ﷺ: فَهَلْ بَعْدَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلك الشَّرِّ مِن خَيرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَومٌ يَهْدُونَ بِغَيرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنهُم وَتُنْكِرُ**»؛ يكُونُ عِندَهُم مَا تَعرِفُ مِنهُم وتُنكِرُ، يَكُونُ مِنْهُم تَغَيُّرَاتٌ، يُشِيرُ بِذَلِك إِلَى وُلَاةِ الأمُورِ، يَكُونُ عِنْدَهم بَعضُ الأُمُورِ، بَعْضُ الأَفكَارِ، بَعضُ الشَّهَوَاتِ وَالانْحِرَافَاتِ، إِلَّا أَنَّها لَا تَصِلُ إِلَى حَدِّ الكُفرِ، فَعِندَ ذلِكَ يَجبُ مُعَالجَةُ هَذَا الشَّرِّ.

ولَا يَسُوغُ هَذَا الخُرُوجَ عَلَى وُلَاةِ الأُمُورِ؛ فَتَلزَمُ طَاعَتُهُم؛ جَمْعًا لِلكَلِمَةِ، وَلِئَلَّا يَزِيدَ الشَّرُّ، وَتَزِيدُ الفِتنَةُ فِتنَةً، فَبَقَاءُ وُلَاةِ الأُمُورِ - وإِنْ كَانُوا عَلَى غَيرِ المَطلُوبِ مِن كلِّ جِهةٍ - مَا لَم يَصِلُوا إِلَى حَدِّ الكُفرِ، فَبَقَاؤُهُم خَيرٌ لِلنَّاسِ، وَمُمَارَسَاتُهُم عَلَيهِم هُم، وَبَقَاؤُهُم خَيرٌ لِلأُمَّةِ؛ يَدْرَؤُونَ بِهِم الشَّرَّ ويَلتَفُّونَ حولَهُم، فَهَذَا مِن فِقهِهِ ﷺ.

قَالَ ﷺ: «**قُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلكَ الشَّرِّ مِن خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**»»؛ **يَعنِي**: فِيهِ خَلْطٌ، لَيْسَ خَيْرًا خَالِصًا، بَل فِيهِ خَلطٌ مِن الشَّرِّ - كَمَا ذَكَرْنَا -؛ قومٌ يَستَنُّونَ بِغَيرِ سُنَّةِ الرَّسُولِ، وَيَهتَدُونَ بِغَيرِ هَديِهِ ويَكُونُ عِندَهُم شَهَوَاتٌ، وَيَكُونُ عِندَهُم بَعضُ الأَفْكَارِ؛ مِثلَمَا حَدَثَ مِن المَأْمُونِ، وَمِثلَمَا حَدَثَ مِن غَيرِه، مِثْلَمَا يَحدُثُ مِن بَنِي العبَّاسِ، فِيهِ خَيرٌ وَفِيهِ شَرٌّ.

وفِي هَذَا - كَمَا سَبَقَ - أَنَّ الإِنسَانَ يَلزَمُ السَّمعَ وَالطَّاعَةَ؛ لُزُومَ الجَمَاعَةِ، وَيَصبِرُ عَلَى مَا يَكُونُ مِن النَّقصِ؛ لأَنَّهُ عِنْدَ الاخْتِيَارِ بين النَّقصِ والعَدَمِ، النَّقْصُ خَيرٌ مِن العَدمِ المَحْضِ.

فهَذَا المَنهَجُ الَّذِي أَوْصَانَا بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ البيَانِ وَمَعَ النُّصحِ؛ فَلَا يَسكُتُ الإِنسَانُ، وَلَا العُلَمَاءُ يَسْكُتُونَ؛ بَل يُبَيِّنُون، وَيُنَاصِحُون الوُلَاةَ، هَذَا وَاجِبٌ، وَلَا يَسْكُتُونَ عَلَى ذَلِك، وَيَقُولُون: نَرْضَى بِهَذَا. لَا، مَعَ المُنَاصَحَةِ وَالمُعَالجَةِ.

قَالَ ﷺ: «**قُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَاكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟**»؛ **يَعنِي**: هَذَا الخَيرُ الَّذِي فِيهِ دَخَنٌ هَلْ بَعْدَه شَرٌّ؟

قَالَ ﷺ: قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَهُنَا تَأتِي المُصِيبَةُ: «**دعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ**»؛ دَعَاةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ؛ كمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ﴾ [البقرة: ٢٢١]، والشَّيْطَانُ ﴿يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

كَمَا أَنَّ هُنَاكَ دُعَاةٌ لِلخَيرِ هُنَاكَ دُعَاةٌ لِلشَّرِّ، والنَّاسُ أَقربُ إِلَى دُعَاةِ الشَّرِّ مِنهُم إِلَى دُعَاةِ الخَيرِ؛ لأَنَّ النُّفُوسِ تَمِيلُ إِلَى الفِتَنِ، وتَمِيلُ إِلَى الشُّبُهَاتِ، إِلَّا مَن رَحِمَ اللهُ ﷻ.

قَالَ ﷺ: «دَعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ»؛ مَن اتَّبَعَهُم يؤُولُ أمرُهُ إلَى جَهَنَّمَ؛ لِأَنَّهُم يُضِلُّونَه، وَيُغَيِّرُون دِينَه وَعَقِيدَتَه وَأَخلَاقَه؛ فيعمَلُ بِأعمَالِ أَهلِ النَّارِ؛ فيَكُونُ مِن أَهلِ النَّارِ بِسَبَبِ دُعَاةِ الضَّلَالِ، دُعَاةِ الفِتنَةِ، دُعَاةِ الشَّهَوَاتِ، وَمَا أَكثَرَهُم الآنَ! يَدْعُونَ إِلَى جَهَنَّم فِي كتُبِهِم، فِي قَنَوَاتِهِم، فِي فَضَائِيَّاتِهِم يَدْعُون إِلَى جهَنَّمَ، يُشَكِّكُونَ فِي الدِّينِ، يَسُبُّونَ أَهْلَ الخَيرِ، يَسُبّونَ الصَّحَابَةَ وَمَن بَعْدَهُم، يَسُبُّونَ السَّلفَ الصَّالِحَ، وَيزْهَدُون فِيهِمْ - كَمَا لَا يَخْفَاكُم -، فَهُم عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ.

قَالَ ﷺ: «مَن أَجَابَهُم إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»؛ مَن أَطَاعَهُم، قَذَفُوه فِيهَا؛ فِي النَّارِ.

«مَنْ أَطَاعَهُمْ»، هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّه تَجِبُ مَعصِيَتُهم، وَلَا تَجُوزُ طَاعتُهم، وَيَجِبُ الحَذرُ مِنْهُم.

قَالَ ﷺ: «فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدرَكْني ذَلِكَ؟»، انْظُر إِلَى الفِقْهِ، إِذَا وُجِدَ الشَّرُّ، مَا تَأمُرُنِي أنْ أَعمَلَ؛ حتَّى أَنْجُو مِن هَذَا الشّرِّ؟

قَالَ : «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»؛ طَالَمَا أَنَّه لَا يزَالُ لِلمُسلِمِين جَمَاعةٌ وإِمَامٌ، وَلِيّ أمرٍ - عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مَن تَساهل، ومِن نَقصٍ -، فَالإِمَامَةُ لَا تَبطُلُ فِي الإِسْلَامِ بِسَبَبِ مُمَارَسَاتِ بَعضِ الأَئِمَّةِ، مَا دَامُوا لَم يَكفُرُوا، فإِنَّه تَلزَمُ طَاعَتُهم، وَلُزُومُ الجمَاعَةِ مَعَهُم؛ لِأَنَّ هَذا عِصْمَةٌ وَنَجاةٌ مِن الشُّرُورِ، وَارتِكَابِ أَخَفِّ الضَّرَرَيْن لِدَفْعِ أَعلَاهُمَا مَعْلُومٌ.

- فَوُجُودُ الخَيرِ - وَلَو كَانَ فِيهِ نَقْصٌ - خَيرٌ مِن الشَّرِّ المَحْضِ، فَتَلزَمُ جَمَاعَةَ المُسلِمِين وَإِمَامَهم، وإِنْ كَانَ هُنَاكَ أَشياءُ غَيرُ مَرغُوبَةٍ فِي المُجتَمَعِ وَفِي

الوُلَاةِ، لكِنْ مَعَ هَذَا تَلزَمُ جَمَاعَةَ المُسلِمِين وَإِمَامَهُم؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِن النَّجاةِ وَالسَّلَامَةِ مِن الفِتَنِ.

فَهَذَا يَدلُّ عَلَى أنَّه لَا بُدَّ مِن لزُومِ الجَمَاعَةِ وَلُزُومِ الإمَامِ فِي كُلِّ الأَحْوَالِ؛ فِي حَالةِ الخَيرِ، وَفِي حَالَةِ وُجُودِ الشَّرِّ، لَا بُدَّ مِن لُزُومِ الجَمَاعَةِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِن الخَيرِ والصَّلَاحِ وَدَفْعِ العَدُوِّ، تَلزَمُ جَمَاعَةَ المُسلِمِين وَإِمَامَهُم.

لَا زَالَ حُذَيفَةُ عِنْدَه أَسئِلَةٌ -أَيْضًا-، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُم جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟»؛ يَأتِي حَالةٌ، يَنْحَلُّ الأَمرُ، وَلَا يَكُونُ هُنَاكَ جَمَاعَةٌ لِلمُسلِمِين، وَلَا يَكُونُ هُنَاكَ إِمَامٌ لَهُم؛ لِأَنَّه مَعلُومٌ أَنَّه إِذَا لَم يُوجَدْ إِمَامٌ، لَن تُوجَدَ جَمَاعةٌ أَبَدًا، لَا تُوجَدُ جَمَاعَةٌ بِدُونِ إِمَامٍ، لَا جَمَاعَةَ إِلَّا بِإِمَامٍ، وَلَا إِمَامٌ إِلَّا بِسَمعٍ وَطَاعَةٍ، لَكِنْ قَدْ يَنْحَلُّ -وَالعِيَاذُ بِاللهِ- الأَمرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَلَا يَكُونُ هُنَاكَ إِمَامٌ وَلَا جَمَاعَةٌ، فَمَاذَا يَعمَلُ المُسلِمُ؟ هَل يَسْتَسْلِمُ مَعَ النَّاسِ؟!

«قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا»: لَا تَدخُلُ مَعَهُم، اعْتَزِلْ الفِتَنَ وَأَهلَ الفِتَنِ، ابْقَ عَلَى حِدَةٍ، وَالْزَمْ الحَقَّ وَلَو بِنَفْسِكَ، وَلَو أَنْتَ وَحدَكَ، الْزَمْ طَرِيقَ الحَقِّ.

ولَا بُدَّ إِذَا بَلَغَ هَذِه الحَالةَ، وبَقِيَ وَاحدٌ عَلَى الحَقِّ، والبَقِيةُ كُلُّهُم عَلَى خِلَافِه، يَجِبُ أَنْ يَنالَه شَيءٌ مِن المَشَاقِّ والمَكَارِهِ؛ لِأَنَّ مُخَالَفَةَ النَّاسِ وَالانْفِرَادَ عَنْهُم صَعْبٌ، لَكِنَّ هَذَا لَا بُدَّ مِنه، إِذَا كَانَ النَّاسُ عَلَى بَاطِلٍ، فَلَا تَكُنْ مَعَهُم، وَلَو بَقِيتَ وَحدَكَ، إِذَا بَقِيتَ وَحْدَكَ، يَنالُكَ ضَرَرٌ، فاصْبِرْ عَلَى هَذَا.

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»(١).[٢١]

«وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»؛ يَعْنِي: عَلَى دِينِكَ، مُتَمَسِّكًا بِدِينِكَ، مُعْتَزِلًا لِلفِتَنِ وَلِلدُّعَاةِ الَّذِين عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، يُدرِكُكَ المَوتُ وَأَنْتَ كَذَلِكَ، فتَمُوتُ عَلَى الإِسْلَامِ.

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَغَيرُهُ، وَفِيهِ مَنهَجٌ وَاضِحٌ لِلمُسلِم عِنْدَ وُجُودِ الفِتَنِ، عِنْدَ وُجُودِ دُعَاةِ جَهَنَّم مَاذَا يَعمَلُ؟ هَذَا يَرْسِمُ لَكَ الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ الَّذِي تَنْجُو بِهِ مِن الفِتَنِ وَالشُّرُورِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٢١] وَهَذَا - أَيْضًا - حَدِيثٌ عَظِيمٌ، أَنَّه سَيَكُونُ هُنَاكَ أَئِمَّةٌ عِنْدَهُم انْحِرَافَاتٌ؛ تَغَيُّرَاتٌ وأَفكَارٌ، لَكِنْ طَالَمَا لَم يَبْلُغُوا إِلَى حدِّ الكُفْرِ، ويُقِيمُونَ الصَّلَاةَ فَإِنَّه يَصبِرُ عَلَى مَا عِنْدَهم، حَتَّى وَلَو كَانَ فِيهِم ظُلمٌ: **«وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ»**، اصْبِرْ عَلَيهِ، وَلَو ضُرِبَ ظَهرُكَ بِالعِصِيِّ، وَأُخِذَ مَالُكَ؛ لأنَّ الدِّينَ لَا يُعَوَّضُ، أَمَّا الضَّربُ، وَأَمَّا المَالُ، فيُعَوَّضُ لَكنَّ الدِّينَ لَا يُعوَّضُ، اصْبِر عَلَى دِينِكَ، وَاصبِرْ عَلَى طَاعَةِ وَلِيِّ الأَمرِ، وَلَو ظَلَمَكَ وَلَو كَانَ الوُلَاةُ ظَلَمَةً.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٨٤٧).

لَيْسَ مِن اللَّازِمِ أنْ يَكُونَ الوَالِي عَادِلًا مِثلَ عُمَرَ وَمِثلَ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ، لَيْسَ بِلَازمٍ هَذَا، وَالدّنيَا تَتَغَيّر، والعِلمُ يَضعُفُ، وَالدِّينُ يَضعُفُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَلَا بُدَّ أنْ تَلزَمَ جَمَاعةَ المُسلِمِين عَلَى مَا فِيهِم، تَلزَمُ إِمَامَ المُسلِمِين علَى مَا فِيهِ مِن ظُلمٍ لِلنَّاسِ أَوْ فِسْقٍ فِي دِينِهِ، دُونَ الكُفْرِ.

حَنَانَيْكَ! بَعْضُ الشّرِّ أَهوَنُ مِن بَعضٍ فتَلزَمُ جمَاعَةَ المُسلِمِين وَإِمَامَهُم، وَإِنْ ظَلَمَكَ الوَالِي، أَوْ ظَلَمَ غَيرَكَ، فَالَّذِينَ يَثُورُونَ على الحُكَّامِ الآنَ، وَيَقُولُونَ: ظَلَمَةٌ، أَكَلُوا المَالَ، فَعَلُوا! لَيْسَ هَذَا هَدْيَ الإِسلَامِ، هَدْيُ الإِسْلَامِ: الصَّبْرُ مَعَ السَّعْيِ بِالإِصْلَاحِ مَا اسْتَطَاعُوا، وَالصَّبْرُ عَلَى مَا يكُونُ مِن المَشَاقِّ، الصّبْرُ عَلَى ذَلِك.

وَلَا تَنْسُوا قَاعِدَةَ ارتِكَابِ أَخَفِّ الضَّرَرَيْن لِدَفعِ أَعلَاهُمَا، وَدَرْءِ المَفَاسِدِ، هَذِه قَاعِدَةٌ - أَيْضًا -: دَرْءُ المَفَاسِدِ مُقَدَّمٌ عَلَى جَلْبِ المَصَالِحِ، فَهَذِه قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الإِسْلَامِ.

الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِمَامُ أَهلِ السّنَّةِ مَاذَا عُمِلَ مَعَه لِيَقُولَ بِخَلقِ القُرْآنِ؟ ضُرِبَ، وسُجِنَ، وعُذِّبَ، وَوَصَلَ الأَمرُ إِلَى التَّهْدِيدِ بِقَتلِهِ، فَحُمِلَ إِلَى المَأمُونِ لِيَقْتُلَه، ولَكِنْ صَبَر، وَلَم يَخرُجْ عَلَى وَلِيِّ الأَمْرِ.

لَاحِظْ! لَم يَخْرُجْ عَلَى وَلِيِّ الأَمرِ؛ صَبَرَ عَلَى التَّعذِيبِ، صَبَر عَلَى الفِتنَةِ، وَلَم يَخْرُجِ، حَاوَلُوا مَعَهُ أَنَّه يَخرُجُ، فَأَبَى، يَقُولُ: «الدِّمَاءُ، الدِّمَاءَ»، فَيُحَذِّرُهُم مِن ذَلِكَ؛ مِن فِقْهِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَشَفَقَتُه عَلَى الأُمَّةِ، فَهَذَا مِثَالٌ.

شَيخُ الإِسْلَامِ ابنُ تَيْمِيَةَ مَاذَا جَرَى علَيهِ مِن وُلَاةِ عَصْرِهِ وَعُلَمَاءِ عَصرِه؟

وَلِمُسْلِم وأَبِي دَاوُدَ: «إِنْ كَانَ لِلَّهِ خَلِيفَةٌ فِي الْأَرْضِ فَضَرَبَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَأَطِعْهُ، وَإِلَّا فَمُتْ، وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ، فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ، وَجَبَ أَجْرُهُ، وَحُطَّ وِزْرُهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ، وَجَبَ وِزْرُهُ، وَحُطَّ أَجْرُهُ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ»(١). [٢٢]

العُلَمَاءُ صَارُوا ضِدَّه، وَالوُلَاةُ ضِدُّهُ، وَسُجِنَ، وَمَاتَ فِي السِّجْنِ، وَمَعَ هَذَا صَبَرَ، وهُو لَه أَتْبَاعٌ لَو يُرِيدُ كَانُوا خَرَجُوا عَلَى وَلِيِّ الأَمْرِ. لَكِنْ لَيسَ هَذَا هَدْيُ الإِسْلَام، هَدْيُ الإِسْلَام الصَّبْرُ عَلَى وَلِيِّ الأَمْرِ المُسلِمُ، وَلَو كَانَ ظَالِمًا، وَلَو كَانَ فَاسِقًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَخفُّ مِن ضَيَاعِ الكَلِمَةِ وَتَفْرِيقِ الجَمَاعَةِ.

فهَذِه قَوَاعِدُ عَظِيمَةٌ تُعطِيكُم دَفْعَةً قَوِيّةً فِي مِثْلِ هَذِه الفِتَنِ وَالشُّرُورِ، وتُعطِيكُمْ مُضَادًّا ضِدَّ دُعَاةِ الضَّلَالِ الآنَ، الَّذِينَ تَعْلَمُون مَكَايِدَهُم وَشَرَّهُم عَلَى المُسلِمِين، وَلَا يَرُدُّ كَيْدَهم إِلَّا الصَّبْرُ على الجَمَاعَةِ وَلُزُومُ الطَّاعَةِ، هَذَا يَرُدُّ كَيدَهُم، وَهَذَا هُو الّذِي أَوْصَانَا بِه رَسُولُ اللهِ ﷺ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٢٢] **قَولُه ﷺ: «إِنْ كَانَ للهِ خَلِيفَةٌ فِي الأَرْضِ»**؛ يعني: ولي الأمر، خليفة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

المُرَادُ بِالخَلِيفَةِ: الَّذِي يَخْلُفُ مَن قَبْلَه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، **فَالمُرَادُ بِالخَلِيفَةِ**: الَّذِي يَخلُفُ مَن قَبلَهُ، وَلَيْسَ الخَلِيفةُ خَلِيفَةُ اللهِ، هَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: خَلِيفَةُ اللهِ؛ اللهُ لَيْسَ

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٨٤٧)، وأبو داود رقم (٤٢٤٤).

لَه خَلِيفَةٌ ﷻ، الخَلِيفَةُ إِنَّمَا يَكُونُ عَن المَخْلُوقِ، الَّذِي يَنُوبُ عَنهُ، مَن يَنُوبُ فِي تَصْرِيفِ الأُمُورِ، يَخلُفُه بَعْدَه، فَالخَلِيفَةُ تَكُونُ بَيْنَ الخَلقِ بَعضُهُم مَعَ بَعضٍ، أَمَّا اللهُ ﷻ، فَلَيْسَ لَه خَلِيفَةٌ؛ بَلِ اللهُ هُوَ الخَلِيفَةُ - سُبْحَانَه -؛ كَمَا يَقُولُ المُسَافِرُ عِنْدَمَا يَرْكَبُ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ**»، اللهُ هُوَ الخَلِيفَةُ عَلَى أَهلِكَ؛ يَتَوَلَّاهُم، وَيَحفَظُهُم لَكَ فِي غِيَابِك؛ فَاللهُ هُو الخَلِيفَةُ.

والنَّبِي ﷺ قَالَ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»[1]؛ يَعنِي: أَنَّ اللهَ يَحفَظُ كلَّ مُسلِمٍ وَقتَ ظهُورِ الدَّجَّالِ، يَكُونُ خَلِيفةً لِلرَّسُولِ ﷺ.

فَلَا يُقَالُ: «**خَلِيفَةُ اللهِ**»؛ هَذَا غَلطٌ، **وَإِنَّمَا الخَلِيفَةُ مَعْنَاهُ**: مَن يَخْلُفُ مَن قَبْلَه مِن السَّلَاطِينِ وَمِن الوُلَاةِ، فَإِذَا كَانَ فِي الأَرضِ خَلِيفَةٌ، يَسَّرَه اللهُ ﷻ.

فقَولُه ﷺ: «**إِنْ كَانَ للهِ خَلِيفَةٌ**»؛ **يَعنِي**: أَنَّ اللهَ جَعَلَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ عَلَى مَا كَانَ مِن حَالِه - كَمَا سَبَقَ -، فَاسْمَعْ، وَأَطِعْ، وَإِنْ أَخَذَ مَالَك؛ سَلَبَ مَالَكَ، وَضَرَبَ ظَهْرَكَ، مَا دَامَ أَنَّه خَلِيفَةٌ لِلمُسلِمِين وَلِيُّ أَمرٍ، فَعَلَيكَ السَّمعُ وَالطَّاعَةُ، ولَا تَقُلْ: إِنْ أَعْطَانِي شَيْئًا، وَأَعْطَانِي مَالًا، أَوْ إِنْ كَفَّ الظُّلْمَ عَنِّي، وَإِلَّا سَأَخْرُجُ عَلَيهِ. لَا يَجُوزُ، هَذَا لَيسَ مِن هَديِ الإِسْلَام: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]؛ هَؤُلَاءِ المُنَافِقُون.

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٧).

فَالإِنْسَانُ لَا يُطِيعُ الخَلِيفَةَ أَوْ وَلِيَّ الأَمرِ مِن أَجْلِ الطَّمَعِ؛ هَذِه طَرِيقَةُ المُنَافِقِينَ، أَمَّا المُؤمِنُ، فَهُو يَصبِرُ، وَيَسمَعُ، وَيُطِيعُ، وَلَو كَانَ الخَلِيفَةُ يَأخُذُ مِنهُ، وَلَا يُعطِيهِ، وَلَو كَانَ الخَلِيفَةُ يَضرِبُ ظَهْرَه، وَيَسجُنُه، يَصبِرُ عَلَى ذَلِكَ.

إِذَا كَانَ للهِ خَلِيفَةٌ فِي الأَرْضِ، أَوْصَى ﷺ بِأَنْ يَسمَعَ لَه، وَيُطَاعَ، وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا لِلنَّاسِ؛ لِأَنَّ ظُلمَهُ أَخَفُّ مِن الخُرُوجِ عَلَيهِ وَشَقِّ عَصَا الطَّاعَةِ. وكَونُه يَصبِرُ عَلَى ضَرَرٍ جُزئِيٍّ - يَقَعُ عَلَيهِ - أَخَفُّ مِن الضَّرَرِ الكُلِّيِّ، الَّذِي يَكُونُ عَلَى الأُمَّةِ فِي الخُرُوجِ عَلَى وَلِيِّ الأَمْرِ.

فهَذَا أَمرٌ عَظِيمٌ، وَمَبْدَأٌ عَظِيمٌ، وَأَصْلٌ عَظِيمٌ، وَهُو الانْضِمَامُ مَعَ جمَاعَةِ المُسلِمِينَ، وَلُزُومُ طَاعةِ وَلِيِّ أَمرِهِم، مَهْمَا كَانَ الحَالُ مِن المَشَقَّةِ؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِن المَصَالِحِ العَظِيمَةِ، وَدَفعِ الشَّرِّ، وَدَفعِ العَدُوِّ الأَكبَرِ.

الكفَّارُ يُشَجِّعُون عَلَى شَقِّ عصَا الطَّاعَةِ، وَيَقُولُونَ: «الحُرِّيَّةُ وَالدِّيمُقْرَاطِيَّةُ»، يُشَجِّعُون علَى هَذَا، قَصدُهُم مِن هَذَا حَلُّ جمَاعَةِ المُسلِمِينَ، هَذَا قَصدُهُم مِن الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ وَمِن كَذَا، وَمَا الدِّيمُقرَاطِيّةُ عِنْدَهُم؟ الحُرِّيّةُ البَهِيمِيَّةُ، يَتْرُكُون الإِنْسَانَ عَلَى هَوَاهُ، هَذِه الدِّيمُقْرَاطِيّةُ، حُرِّيَّةٌ بَهِيمِيَّةٌ تَقْتُلُ العَقِيدَةَ وَالأَخْلَاقَ، يُصبِحُ الإِنْسَانُ مِثْلَ الحَيَوَانِ، هَذِه الدِّيمُقْرَاطِيّةُ عِنْدَهم.

أَمَّا الإِسْلَامُ، فَلَا؛ الحُرِّيّةُ شَرْعِيَّةٌ، لَيْست حُرِّيَّةً دِيمُقْرَاطِيّةً، الحُرِّيّةُ فِي الشَّرِيعَةِ؛ الإِنْسَانُ حُرٌّ فِي مَالِهِ؛ يَتَصَرَّفُ فِيهِ، وَلَا يُحجَرُ عَلَيهِ، إِلَّا لِسَبَبٍ، الإِنْسَانُ حُرٌّ فِي تَصَرُّفَاتِه فِي حُدُودِ الشَّرعِ بِانْضِبَاطٍ؛ لِأَنَّ

حُدُودَ الشَّرعِ هَذِه مِن مَصْلَحَتِه، لَيْسَت حِجْرًا عَلَيهِ، وإنَّمَا هِيَ لِمَصْلَحَتِه، وَمُحَافظَةً عَلَى مَصَالِحِه.

فَالحُرّيّةُ البَهِيمِيّةُ هَذِه عِندَ الكُفَّارِ، أَمَّا الحُرّيَّةُ الشَّرْعِيّةُ، فَهَذِه عِنْدَ المُسلِمِين هِيَ الحُرّيّة الصَّحِيحَةُ.

المَرأَةُ تُعْطَى حُرِّيّتَهَا، بِمَعْنَى: أنَّها لَا تُسْأَلُ عَن عِرْضِهَا، لَا تُسْأَلُ عَن تَصَرُّفَاتِهَا، وَعَن تَبذُّلِها، هَذِه حُرّيَّتُها عِنْدَهم، أَمَّا الإِسلَامُ، فَلَا؛ المَرأَةُ حُرَّةٌ مِن الشّرِّ، حُرَّةٌ مِمَّا كَانَتْ عَلَيهِ فِي الجَاهِلِيّةِ؛ مِن الابْتِذَالِ، وَمِن الإِهَانَةِ، وَمِنْ... وَمِن، المَرْأَةُ عِنْدَنَا حُرَّةٌ - وَللهِ الحَمْدُ -، لَكِنَّها حُرّيَّةٌ شَرْعِيّةٌ لِصَالِحِها، فَيَجِبُ أَنْ نَعرِفَ هَذِه الأُمورَ، فَلَا تَنْطَلِ عَلَينَا دَغْدَغَاتُ الكفَّارِ وَشَقْشَقَاتُ عُمَلَائِهِم.

الدِّينُ الإِسْلَامِيُّ فِيهِ كلُّ خَيرٍ، كُلُّ خَيرٍ لِلبَشَرِيّةِ فَهُو فِي الدِّينِ الإِسْلَامِيّ، وَكُلُّ شَرٍّ فهُوَ فِي خِلَافِ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ، لَا يَصِيرُ عِندَنَا شَكٌّ فِي هَذَا أَبَدًا.

قَولُه ﷺ: «**فَضَرَبَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَأَطِعْهُ، وَإِلَّا فَمُتْ، وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجَذْلِ شَجَرَةٍ**»؛ مِثْلَمَا سَبَقَ، إِذَا لَم تَجِدْ خَلِيفَةً للهِ فِي الأَرضِ، فَاعْتَزِلْ، وَلَو أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، وَلَو أَصَابَكَ فَقْرٌ وَفَاقَةٌ -حَاجَةٌ-، اصْبِرْ؛ لِأَنَّ دِينَكَ أَلْزَمُ عَلَيْكَ مِن أمُورِ الدُّنيَا.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

بَابُ أَمَارَاتِ السَّاعَةِ[٢٣]

[٢٣] **الفِتَنُ**: جمعُ فِتنَةٍ، **وَالمُرَادُ بِهَا**: الابْتِلَاءُ وَالامْتحَانُ.

يُفْتَنُ المَرءُ يَعنِي: يُختَبَرُ ويُبْتَلَى؛ لِيَتَمَيَّزَ المُؤمِنُ الصَّادِقُ فِي إيمَانِه الثَّابِتِ مِن المُنَافقِ، الّذِي يُظهِرُ الإِيمَانَ، وَيُبطِنُ خِلَافَه.

إذَا جَاءَتْ الفِتَنُ، يَتميَّزُ هَذَا مِن هَذَا، يَتميَّزُ الصَّادِقُ فِي إيمَانِهِ مِن الكَاذِبِ والمُنَافِقُ، وَأَيضًا يَتمَيَّزُ المُؤمِنُ قَوِيُّ الإِيمَانِ مِن المُؤمِنِ ضَعِيفِ الإِيمَانِ.

الفِتَنُ يُجرِيهَا اللهُ ﷻ لِاختِبَارِ النَّاسِ؛ مِثْلَمَا يُجْرَى الاخْتِبارُ علَى الطَّلبَةِ، فَيَتَبيَّنُ المُجِدُّ فِي طلَبِ العِلمِ مِن المُتَكَاسِلِ، هَذَا مِثَالٌ، وإِلَّا فَالفِتنَةُ فِي الدِّينِ أَشَدُّ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -.

قَالَ ﷻ: ﴿الٓمٓ ① أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العَنكبوت: ١-٢]؛ **يَعنِي**: يُختَبَرُونَ هَل هُم صَادِقُون فِي قَولِهِم: ﴿ءَامَنَّا﴾.

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٣]، هَذِه سُنَّةُ اللهِ ﷻ فِي عِبَادِهِ؛ أَنَّه لَا يَتْرُكُ النَّاسَ عَلَى مَا هُم عَلَيهِ، وَلَكنْ يَجرِي الاخْتِبارُ وَالامْتِحَانُ؛ لِيَتَمَيَّزُ الصَّادِقُ مِن غَيرِ الصَّادِقِ.

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٣]؛ مِن الأُمَمِ.

﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]؛ هَذِه الحِكْمَةُ، اللهُ يَعلمُ كلَّ شَيءٍ، يَعلَمُ هَذَا مِن هَذَا، وَإِنْ لَم يَحصُلْ فِتنَةٌ، وَلَكِنَّه لَا يُعَذِّبُ حَسَبَ عِلمِهِ، وَإِنَّما يُعذِّبُ بِحَسَبِ أَعمَالِ العِبَادِ، لِذَلِكَ يَجْرِي عَلَيهِم الامْتِحَانُ، فَمِنْهُم مَن يَثبُتُ وَيَصلُحُ عَمَلُه، فَيَنجُو، ومِنْهُم مَن يُخْفِقُ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، وَلَا يَصبِرُ.

هَذَا مَعْنَى قَوْلُه: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾؛ **يَعنِي:** يَعلَمُ عِلمَ ظُهُورٍ، وَإِلَّا فَهُو يَعلَمُ ﷻ قَبلَ ذَلِك، يَعلَمُ، لَكِنّه لَا يُعذِّبُ، إلَّا عَلَى فِعلِ العَبدِ، أَو لَا يُنعِمُ إِلَّا عَلَى فِعلِ العَبدِ، فَالثَّوَابُ وَالعِقَابُ مُعَلَّقَانِ بِفِعلِ العَبدِ، لَا بِعِلمِ اللهِ ﷻ.

الحَاصِلُ: أنَّ الفِتنَ سُنّةٌ مِن سُننِ اللهِ الكَوْنِيّةِ، وحِكمَتُها أنْ يَمِيزَ الصَّادِقِينَ فِي إِيمَانِهم وقَولِهِم: «**آمَنَّا**» مِن الكَاذِبِينَ، الّذِينَ لَهُم غَرَضٌ أوْ طَمَعٌ دُنيَوِيّ، وَلَيْسَ فِي قُلُوبِهِم إِيمَانٌ صَادِقٌ، هؤُلَاء يَفتَرِقُونَ مِن أوَّلِ الطَّرِيقِ، وَلَا يَثبُتُ إِلَّا أَهلُ الإِيمَانِ الصَّادِقِ.

هذَا مَعنَى الفِتَنِ، وهَذِه هِي الحِكمَةُ فِي إِجْرَائِهَا، وَأَنَّها سُنّةُ اللهِ فِي خَلقِهِ الأَوَّلِينَ وفِي الآخِرِينَ.

والفِتنُ تَتَنوَّعُ وَتتَجدَّدُ فِي كلِّ زَمانٍ بِحَسَبِه، فِي زَمَانِنَا هَذَا الفِتَنُ كثِيرَةٌ، وَلَا حَوْلَ ولَا قُوّةَ إِلَّا بِاللهِ!

والفِتَنُ فِتَنُ شُبُهَاتٍ فِي العَقِيدَةِ، وَفِتنُ شَهَوَاتٍ فِي الدّنيَا ومَلَذَّاتِهَا، وفِي السُّلُوكِ والأَخْلَاقِ شَهَوَات.

❁ **فَالفِتنُ عَلَى قِسمَيْن:**

الأَوّلُ: فِتَنُ الشُّبُهَاتِ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، وَهَذِه أَشَدُّ.

وَالثَّانِي: فِتَنُ الشَّهَوَاتِ، بَعضُ النَّاسِ يَمْشِ معَ شَهَوَاتِه؛ مِن الزِّنَا، وَالسَّرِقَةِ، وشُربِ الخَمرِ، تُعْرَضُ عَليهِ الشَّهوات وَتَرُوجُ، يُيَسّرُ الحصُولُ عَلَيهَا، فيُفتَنُ فِيهَا، بينَمَا بَعضُ النَّاسِ يَعصِمُه اللهُ، وَيَثبُتُ عَلَى دِينِه، وَيَصبِرُ عَلَى دِينِه، وَلَا يَلتَفِتْ إِلَى الشَّهَوَاتِ؛ لِعِلمِه أَنَّها زَائِلةٌ، وأنَّ

عَذَابَها بَاقٍ، وَأنَّ الطَّاعَات وإنْ حَصَلَ عَليهِ مَشقَّةٌ - تعَبٌ مُؤَقّتٌ -، إلَّا أنَّ عَاقِبَتَها حَمِيدَةٌ، فَيَثبُتُ عَلَى دِينِه وعَلَى أَخلَاقِه الطَّيِّبةِ، وعَلَى الصِّرَاطِ المُستَقِيمِ، فَتَكُونُ العَاقِبةُ لَه.

قَولُه رَحِمَهُ اللهُ: «**بَابُ أَمَارَاتِ السَّاعَةِ**». الرَّسُولُ ﷺ حذَّرَ أمّتَه مِنَ الفِتَنِ، وَذَكَرَ أَنْوَاعَهَا وَأَوْقَاتَها، فَهُو ﷺ لَم يَتْرُكْ أمّتَه فِي أَمرٍ مُشْتَبِهٍ أَوْ مُلتَبِسٍ، بَلْ بَيَّنَ لَهَا ﷺ وَأَخْبَرَهَا عَمَّا يَحدُثُ فِي المُستَقبَلِ؛ مِن أَجلِ أنْ تَأْخُذَ حِذْرَها، وَتَثبُتُ على دِينِهَا، وَتَصبِرُ عَلَى مَا يَنالُها فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، جَاءَ ذَلِكَ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ مَرْوِيّةٍ ومُدَوَّنَةٍ؛ مِن أَجلِ أنْ نَعرِفَها، وَنُحذِّرَ مِنْهَا، ومِن ذَلِك هذَا الكِتَابُ الّذِي مَعَنَا الآنَ، الّذِي أَلّفَه شَيْخُ الإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ، وهَذَا مِن ضِمْنِ الدَّعْوةِ؛ فَمِن أَنْوَاعِ الدَّعْوةِ التَّحذِيرُ مِن الفِتَنِ والشُّرورِ، الّتِي تَعْتَرِضُ طَرِيقَ المُسلِمِ.

فَمِن أَنوَاعِ الدَّعوَةِ إِلَى اللهِ التَّحذِيرُ مِن الفِتَنِ؛ حتَّى يَحذَرَهَا المُسلِمُ؛ لِأنَّه إذَا لَم يَعرِفْهَا، يَقَعُ فِيهَا، لَكِنْ إذَا عَرَفَها، وَبُيِّنَت لَه، تَجَنَّبَها بِتوفِيقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا بُدَّ مِن هَذَا، وَلِهَذا بَيَّنَها الرَّسُولُ ﷺ فِي هَذِه الأَحَادِيثِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

ولِمُسلِم عَن أنَسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» قَالَ: وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى[1].[٢٤]

---

[٢٤] **قَالَ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ»؛ يَعنِي:** قِيامُ السَّاعَةِ؛ لِأَنَّه آخِرُ الرُّسُلِ ﷺ، لَا يَأتِي بَعْدَه نَبِيٌّ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ؛ لِأَنَّ دِينَه كَافٍ لِجَمِيعِ النّاسِ وَجَمِيعِ الأَوقَاتِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وهَذَا مَعنَى قَولِه: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»؛ يَعنِي: أَنَّ وَقْتَ بِعثَتِه مُقَارِبٌ لِقِيَامِ السَّاعةِ كَتَقَارُبِ الأُصْبُعَينِ بَعْضُهُما مِن بَعضٍ.

وهَذَا تَحذِيرٌ مِن الفِتَنِ، وإِخْبَارٌ عَن قِصَرِ الوَقتِ بَيْنَ بِعثَتِه ﷺ وقِيَامِ السَّاعَةِ؛ حتَّى نَحذَرَ، وَنَستَعِدَّ لِلِقَاءِ اللهِ ﷻ سَالِمِين مِن الفِتَنِ.

فَلَا يَقُلِ الإِنْسَانُ: الوَقتُ وَاسِعٌ، وَالوَقتُ بَعِيدٌ. لَا؛ السَّاعةُ قَرِيبٌ، وَسَاعةُ الإِنسَانِ مَوتُه.

السَّاعة عَامَّةٌ، وَهَذِه لِجَمِيعِ الخَلقِ، وَهُنَاكَ سَاعةٌ حَسَبَ الأَفرَادِ، وَهِي المَوتُ والأَجَلُ، فَمَن مَاتَ، فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُه وَانْتَهَى عَمَلُه، وَوَاجَهَ جَزَاءَه.

فَلَا يَقُلْ وَاحِدٌ أَوْ أَحَدُ النَّاسِ: الوَقتُ وَاسِعٌ، والسَّاعةُ بَعِيدَةٌ، إِلَى آخِرِه. بَلْ السَّاعَةُ قَرِيبَةٌ، السَّاعَةُ الخَاصَّةُ والسَّاعة العَامَّةُ قَرِيبةٌ، وكلُّ مَا هُو آتٍ قَرِيبٌ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٥١).

ولِلْبُخَارِيِّ عن أبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ: وَهُوَ القَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي البُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ - يَعْنِي آمَنُوا - أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا»(١).[٢٥]

---

[٢٥] هَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِه، وَفِيهِ أَنواعٌ مِن الفِتَنِ مُخِيفةٌ جِدًّا، قَدْ يَكُونُ بَعضُهَا قَدْ وَقَعَ، وَبَعضُهَا يَقَعُ؛ لِأَنَّه لَا بُدَّ مِن وُقُوعِ مَا أَخبَرَ به ﷺ، فنأْخُذُهَا وَاحِدةً وَاحِدَةً:

أَوَّلًا: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ»؛ مِن الفِتنِ حُدُوثُ الشِّقَاقِ بَيْن فِئَتَينِ مِن المُسلِمِين؛ فَيقْتَتِلَانِ مَقتَلةً عَظِيمةً، وهُم مُسلِمُون، لَكِنْ يَقتَتِلَان عَلَى الاخْتِلَافِ بينَهُم عَلَى

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٧١٢١).

شَيءٍ، كلٌّ مِنهُم يُريدُ هذَا الشَّيءَ؛ إمَّا مُلكٌ، وَإمَّا مَالٌ، وإمَّا...، فَيحصُلُ القِتَالُ بَيْنَ المُسلِمين، وَهَذِه مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ، إذَا اقْتَتَلَ المُسلِمُون بَيْنَهُم، تَسَلَّطَ عَلَيهِم العدُوُّ، وَاسْتَغَلَّ خِلَافَهُم وانْشِغَالَهم بِأَنْفُسِهِم، اسْتَغَلّ ذَلِكَ، فهَجَمَ عَليهِم، وَأَخَذَ بِلَادَهم، وغَيَّر دِينَهُم.

هذَا فِيهِ التَّحذِيرُ مِن الاختلَافِ بَيْنَ المُسلِمين وَالنِّزَاعِ بَيْنَ المُسلِمين، وَأنَّه يَجِبُ عَلَيهِم إذَا حَصَلَ بَيْنَهُم اخْتِلَافٌ أنْ يُصْلِحُوا ذَاتَ بَينِهِم، وَلَا يَتْرُكُوا فُرصَةً لِلعَدُوِّ أن يَتَدَخَّلَ لِمَصَالِحِه هُو، لَا لِمَصَالِحِهِم، فَتَكُونُ الثَّمرَةُ لِلعَدُوِّ الكَافِرِ، وَهُم لَا يَحصُلُونَ على ثَمرَةٍ، بَل يَضِيعُ دِينُهُم وَدُنْيَاهُم.

فَفِيهِ التَّحذِيرُ مِن الاختِلَافِ بيْنَ المُسلِمين وَالقِتَالُ، لَا يَحِلُّ لِمُسلم أنْ يَقتُلَ أخَاهُ المُسلِمَ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء: ٩٢]، فَلَا يَجُوزُ أنْ يَتطوَّرَ الخِلَافُ بَيْنَ المسلِمين إلَى قتَالٍ.

الخِلَافُ يَحصُلُ، ولَكنْ عَلَيهِم أنْ يُصلِحُوا: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ [الحجرات: ٩]؛ كَفًّا لِشَرِّها، وَإطْفَاءً لِلفِتنَةِ، فَلَا بُدَّ مِن التَّدَخُّلِ إذَا حَصَلَ بَيْنَ المُسلِمين شَيءٌ مِن الاخْتِلَافِ، تَدَخَّلَ بِالإصْلَاحِ بَيْن الجِهَتَيْنِ، فَإنْ أَبَتْ إِحْدَاهُمَا قَبُولَ الصُّلحِ، فإنَّها تُقَاتَلُ؛ حتَّى يَخمَدَ شَأنُ الفِتنَةِ، وَلَا تَنتَشِرُ بَيْن النَّاسِ، هَذِه وَاحِدَةٌ.

ثانيًا: وَلَا تَقومُ السَّاعَةُ - أَيْضًا - «**وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِيْنَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ**»؛ يَدَّعُون النّبوَّةَ، مَعَ أَنَّه

لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحـزاب: ٤٠]، آخِرُ النَّبِيِّينَ هو ﷺ، وَقَالَ ﷺ: «**أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»(١)، لَكِنْ مَعَ هَذَا يَظْهَرُ مَن يَدَّعِي النُّبوَّةَ؛ مِن بَابِ الابْتِلَاءِ وَالامْتِحَانِ لِلنَّاسِ، ويَتبَعُه أَتبَاعٌ مَعَ أَنَّه كَذَّابٌ، يَتبَعُه أَتْبَاعٌ مِن النَّاسِ؛ إمَّا رَغبَةً، وَإِمَّا رَهبَةً.

وقَد ظَهَرَ مَا أَخبَرَ بِه ﷺ، وَظَهَر الكذَّابُونَ الَّذِينَ ادَّعُوا النبُوَّةَ، **أَوَّلُهم**: مُسَيْلِمَةُ الكذَّابُ، **وَالثَّانِي**: الأَسْوَدُ العَنْسِيّ.

مُسَيْلِمَةَ هَذَا فِي اليَمَامةِ - فِي بِلَادِ نَجدٍ -، قَاتَلَهُ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ حتَّى قُتِلَ، وَالأَسوَدُ العَنسِيّ فِي اليَمنِ قَتَلَه المُسلِمُون الَّذِين حَوْلَه، اسْتَرَاحَ المُسلِمُون مِن شَرِّ هَذَيْنِ الكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْن ظَهَرَا فِي آخِرِ حَياةِ النَّبيِّ ﷺ.

ثمَّ تَوالَى ظهُورُ المُتَنَبِّئِينَ الكَذَبَة، قَالَ ﷺ: «**كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ**»(٢)؛ ثَلَاثُونَ، وَالعَدَدُ هُنَا لَيسَ لِلحَصرِ، يَظهرُ أَكثَرُ مِنهُم، وَلَكِنَّ الَّذِينَ يَكُونُ لَهُم شَأنٌ هُم بِهَذَا العَدَدِ، وَإِلَّا فَهُم أَكثَرُ مِن هَذَا، وَلَكنْ لَا يُشتَهَرُ أَمرُهم مِثلَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثِينَ.

النَّبيُّ ﷺ أَخبَرَنَا بِذَلِك مِن أَجلِ أَنْ نَأخُذَ حِذْرَنَا مِن الفِتَنِ - ظهُورَ الكَذَّابِينَ -؛ لأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُطِيعُهم، وَيَنقَادُ مَعَهُم، وَيُقَاتِلُ مَعَهَم، وَقَد حَصَلَ هَذَا.

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٥٢)، وابن ماجه رقم (٣٩٥٢)، وأحمد رقم (٢٢٣٩٥).

(٢) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٥٢)، وابن ماجه رقم (٣٩٥٢)، وأحمد رقم (٢٢٣٩٥).

فهَذَا فِيهِ ظهُورُ المُتَنبِّئِينَ، وَفِيهِ أنَّه يَجبُ عَلَى المُسلِمين ألَّا يُصَدِّقُوهم، وأنْ يُقَاتِلُوهم هُم وَأَتْبَاعَهم؛ حَتَّى يَستَرِيحَ النَّاسُ مِن شَرِّهِم، وَيَظهَرُ كَذِبُهُم، وَقَد حَصَلَ - ولِلهِ الحَمدُ - أنَّهُم قُوتِلَ رُؤُوسُهُم، وَأَبطَلَ اللهُ شَرَّهُم.

ثالثًا: «**وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ**»؛ مِن الفتَنِ قَبضُ العِلمِ، هَل: يُقبَضُ بِأَخذِه مِن الكُتُبِ ومِن صُدُورِ النَّاسِ؟ لَا، بيَّنَ ﷺ كَيفَ يقبَضُ العِلمُ، قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[1]، يُقبَضُ العِلمُ بِقَبضِ العُلَمَاءِ؛ لِأَنَّه طَالَمَا العُلَمَاءُ مَوجُودُون، فَالعِلمُ بَاقٍ، فَوُجُودُهم عَلَامةُ خَيرٍ، وَفِي قَبضِهِم عَلَامَةُ شَرٍّ وَفِتنَةٍ؛ لِأَنَّه بِفَقدِهِم يُفقَدُ العِلمُ؛ لِأَنَّهم هُم حَمَلَةُ العِلمِ، وَمَاذَا تُغنِي الكتُبُ الكَثِيرَةُ مَعَ فَقدِ العُلَمَاءِ؟!

وُجُودُ الكتُبِ لَا يَكفِي، هَلَكَ بَنُو إِسرَائِيلَ وَعِندَهُم التَّورَاةُ وَالإِنْجِيلُ، فَلمَّا لَم يَكُنْ عنْدَهُم عُلَمَاءٌ يَقُومُونَ بِالحَقِّ، هَلَكُوا.

فَوُجُودُ الكتُبِ بَيْنَنا وَانتِشَارِ الكتُبِ وَتَنوُّعِها هَذَا لَا شَكَّ أنَّه خَيرٌ، لكِنْ لَا يَكفِي؛ لأنَّه يَأتِي مَن يَقرَأُ هَذِه الكُتبَ عَلَى غَيرِ بَصِيرَةٍ وَيُضِلُّ النَّاسَ وَيُظَنُّ أنَّه عَالِمٌ. قَالَ ﷺ: «**حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»؛ ضَلُّوا هُم، وَأَضَلُّوا غَيْرَهُم.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (١٠٠)، ومسلم رقم (٢٦٧٣).

وهَذَا فِيهِ التَّحذِيرُ مِن التَّعَالُمِ وَالمُتَعَالِمِين، الّذِينَ يَأخُذُون العِلمَ عَن الكتُبِ وَعَنْ الأَشرِطَةِ، وَلَا يَحضُرُونَ عِندَ العُلمَاءِ، وَلَا يَتعَلَّمُون على أَيدِي العُلمَاءِ؛ لأنَّ العِلمَ بِالتّلقِّي، لَيْسَ بِالقِرَاءةِ فَقَطْ، العِلمُ بِالتَّلَقِّي عَن أَهلِ العِلمِ.

قَولُه ﷺ: «**اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا**»؛ لأنَّ العُلمَاءَ فُقِدُوا، والنَّاسُ يَحتَاجُونَ إِلَى مَن يُفتِيهِم، إِلَى مَن يَرجِعُون إِلَيهِ، لَم يَجِدُوا إِلَّا هَؤُلَاءِ المُتَعَالِمِين رُؤُوسَ الجُهَّالِ، فَحَصَل الخَطرُ العَظِيمُ.

فهَذَا فِيهِ الحَثُّ على طَلبِ العِلمِ، مَا دَامَ العُلَمَاءُ مَوجُودِينَ، فَنَسْتَدرِكُ الأَمْرَ، ونَطلُبُ العِلمَ عَلَى أَيدِي العُلمَاءِ، وَلَا نَقتَصِرُ عَلَى الكُتبِ، أَوْ عَلَى المُتَعَالِمِين وَالقُرَّاءِ، وحتَّى لَو حَفِظَ الإِنْسَانُ القُرآنَ، وَحفِظَ المُتُونَ، وَحفِظَ الأَحَادِيثَ وَالصِّحَاحَ، وَلَيْسَ عِندَه فِقهٌ وَفَهمٌ لِهَذَا، وَإِنَّما يَعتَمِدُ علَى الحِفظِ فَقَطْ، وَهُو لَا يَفهَمُ المَعَانِي، فَلَيسَ فِيهِ فَائِدةٌ؛ هَذَا ضَررُه أَكثَرُ مِن نَفعِهِ - إنْ كَانَ فِيهِ نَفْعًا.

رَابِعًا: مِن الفِتَنِ: «**وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ**»؛ جَمعُ زِلزَالٍ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، وَهُو حَرَكةُ الأَرضِ.

الأَرضُ جَعلَها اللهُ قَرارًا وَثَابِتةً، وَأَرْسَاهَا بِالجِبَالِ؛ لِيَعِيشَ النَّاسُ عَلَى ظَهرِهَا، فَفِي آخِرِ الزَّمَانِ يَكثُرُ اضطِرَابُ الأَرضِ وَالزَّلَازِلُ؛ فيَتَدمَّرُ كَثِيرٌ مِن البِلَادِ؛ كَمَا هُو الوَاقِعُ الآنَ، وَكَمَا تَسمَعُونَ عَن هَذِه الزَّلَازِلِ، الّتِي يَتَدمَّرُ فِيهَا خَلقٌ كثِيرٌ وَبِلَادٌ كَثِيرةٌ.

وَهَذِه عُقُوباتٌ يُجرِيهَا اللهُ عَلَى العِبَادِ، إِذَا فَسَدُوا فِي آخِرِ الزَّمَانِ، يُجرِي اللهُ علَيهِم العُقُوباتِ، فَهِي مِن نَاحِيةٍ عُقُوبةٌ، وَمِن نَاحِيةٍ تَذكِرَةٌ لِأَهلِ الإِيمَانِ؛ أَنْ يَستَيْقِظُوا، وَيَتُوبُوا إِلَى اللهِ ﷻ.

وَلَا يُقَالُ: «إِنَّ هَذِه ظَوَاهِرٌ طَبِيعِيَّةٌ»؛ كَمَا يَقُولُه المُتَحَذْلِقُون وَالجُهَّالُ؛ ظَوَاهِرٌ طَبِيعيَّةٌ لَا تَدُلُّ عَلَى شَيءٍ، إِنَّمَا هِي ظَوَاهِرُ طَبِيعِيَّةٌ تَجْرِي، لَا، لَيْسَت ظَوَاهِرَ طَبِيعيَّةً، لمَاذَا لَم تَكُنْ ظَوَاهِرَ طبِيعِيَّةً فِي الأَزْمِنَةِ السَّابقَةِ؟! لِصَلَاحِ النَّاسِ وَاستِقَامَتِهم، إِنَّمَا حَدَثَ هَذَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ نَذِيرُ تَحذِيرٍ لِلنَّاسِ؛ حتَّى يَعتَبِرُوا بِهَا.

خَامِسًا: مِن الفِتَنِ: «**وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ**»؛ يَمضِي بِسُرعَةٍ، يُمضِي الزَّمَانُ بِسُرعةٍ، والنَّاسُ غَافِلُونَ فِي دُنيَاهُم، وَهَذَا ظَاهِرٌ؛ **يَعنِي**: مُرُورُ السِّنِينَ وَالشُّهُورِ وَالأَيَّامِ بِسُرعَةٍ، حتَّى لَا يَكُونَ مَعَ الإِنْسَانِ فُرصةٌ لِلعَمَلِ بِسُرعَةٍ؛ لِسُرعَةِ الزَّمانِ.

تتَقَارَبُ - أَيضًا - البِلَادُ بِوَاسطَةِ وَسَائِلِ الإِعْلَامِ، تَتَقَارَبُ البِلَادُ - كمَا هُو مَعْلُومٌ -، حتَّى يَكُونَ العَالَمُ كَأَنَّه بَلدٌ وَاحِدٌ، وهَذِه لَيْسَت عَلامَةَ خَيرٍ، هَذِه عَلَامةُ ابْتِلَاءٍ وامْتِحَانٍ.

سَادِسًا: «**وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ**»، كَانَتْ فِي الأَوَّلِ الفِتنُ خَفِيّةً عِندَ بَعضِ النَّاسِ أَوْ بَعضِ البِلَادِ، لَكِنَّ فِي آخِرِ الزَّمانِ تَكثُرُ الفِتنُ، وتَنْتَشِرُ بَيْنَ النَّاسِ.

والفِتنُ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا فِتنُ الشُّبُهَاتِ فِي العَقِيدَةِ، وَمِنْهَا فِتنُ الشَّهَوَاتِ فِي مَا يَشتَهِيهِ النَّاسُ مِن المَعَاصِي، وَمِنهَا فِتنُ الأَمرَاضِ الفتَّاكَةِ،

ومِنْهَا فِتنُ الأَمْوَالِ وَالأَولَادِ. فِتنٌ كَثِيرَةٌ تَظهَرُ أَكثَرَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، يَنشَغِلُ النَّاسُ بِهَا عَن دِينِهِم وَعمَّا يَنفعُهم أَوْ يَشغَلُهُم؛ إِمَّا أَنَّهم هُم يَنشَغِلُون بِهَا، وإِمَّا أَنَّها هِيَ تَشغَلُهُم وَتُلهِيهِم عمَّا سِوَاهَا.

سَابِعًا: «**وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ**»؛ الهَرْجُ هُوَ الْقَتْلُ، مِن غَيرِ سَبَبٍ، والآنَ تَرَوْنُ مَنْ يَتَقَاتَلُون، وَلَيْسَ هُنَاكَ سَبَبٌ ظَاهِرٌ، إِنَّمَا مَوجَةُ قَتلٍ، قَد يَقتُلُ الأَخُ أَخَاهُ، وَالوَالِدُ ابْنَه، والقَرِيبُ قَرِيبَه، مِن غَيرِ سَبَبٍ؛ لأَنَّ القَتْلَ إِذَا اشْتَعَلَ بَيْنَ النَّاسِ، انْتَشَرَ، وَصَعُبَ إِطْفَاؤُه، ولَا سِيَّمَا إِذَا تَيَسَّرَتْ آلَاتُ القَتلِ وَالدَّمَارِ.

كَانَ بِالأَوَّلِ القَتلُ بِالسِّلَاحِ؛ بِالسَّيفِ بِالبُنْدُقِيّةِ، لَكِنَّ الآنَ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - وَسَائِلُ مُدَمِّرَةٌ لِلقَتلِ؛ آلَاتٌ فَتّاكَةٌ: نَسْفٌ بِالصَّوَارِيخِ، بِالدَّبَّابَاتِ، بِالقَنَابِلِ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، يَمُوتُ فِيهَا خَلقٌ.

«**يَكْثُرَ الْهَرْجُ**»؛ **يَعنِي**: القَتْلَ، هَذِه مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ، وَهَذَا كَمَا تَعلَمُون الآنَ شَيْئًا مِنهُ.

ثَامِنًا: «**وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ فيَقُولُ الَّذِي يَعْرِضُهُ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ**»، وَهَذَا مِن الفِتنِ، فَالمَالُ فِتنةٌ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، فَكثرَة المَالِ لَيسَتْ عَلامَةَ خيرٍ، هِي عَلَامةُ فِتنَةٍ؛ لأنَّ النَّاسَ يَنصرِفُونَ عَن دِينِهِم، وينشَغِلُونَ بِالمَالِ، النَّاسُ يَتَقَاتَلُونَ عَلَى المَالِ وَالطَّمَعِ، النَّاسُ يَتَحَاسَدُونَ عَلَى المَالِ ... إِلَى آخِرِه، فَالمَالُ فِتنَةٌ مِن وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ، إلَّا مَن وَفَّقَهُ اللهُ.

أَيْضًا المَالُ فِتنَةٌ فِي اكتِسَابِه؛ يَكُونُ مِن رِبَا، مِن رِشْوَةٍ، مِن غِشٍّ، مِن قُمَارٍ، . . . إِلَى آخِرِهِ. وَيَكُونُ - أَيضًا - فِتنَةً فِي تَصرِيفِهِ وَإِنفَاقِه؛ يُنفِقُه فِي المَلَاهِي، فِي اللَّعِبِ، فِي الشَّهَواتِ المُحرَّمَةِ، وَأَعظَمُ ذَلِك يُنفِقُهُ فِي الصَّدِّ عَن سَبِيلِ اللهِ، وَقَتلِ المُسلِمِين، وَغَيرِ ذَلِكَ.

فَإِذَا كَثُرَ المَالُ، كَثُرَ الأَغنِيَاءُ، وَقَلَّ الفُقَرَاءُ؛ فَصَاحِبُ الزَّكَاةِ لَا يَجِدُ مَن يَقبَلُها فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ لِكَثرَةِ المَالِ وَفَيْضِ المَالِ، حتَّى يَرِدَ المَدفُوعُ إِلَيهِ المَالَ زَكَاةً، يَرُدُّ هَذَا، يَقُولُ: «**لَا رَغْبَةَ لِي فِيهِ**».

قَولُه ﷺ: «**وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ**»، وهَذِه مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ؛ يَنشَغِلُ النَّاسُ بِالمَبَانِي والتَّطَاوُلِ فِيهَا؛ أَرْبَعِينَ دَوْرًا، خَمْسِينَ دَوْرًا، مِائَةَ دَورٍ، . . . إِلَى آخِرِه.

مَا رَغبَتُكَ فِي البُنيَانِ هَذَا؟ مَا حَاجَتُكَ فِي البُنيَانِ هَذَا؟

لكنَّه تَبَاهٍ؛ مِن بَابِ المُبَاهَاةِ: «أَنَا أَرْفَعُ مِنْكَ بِنَاءً، وأَنَا أَرْفَعُ مِنكَ أَدْوَارًا»، والثَّانِي يَقُول: «لَا، أَنَا أَرْتَفِعُ أَكثَرَ»، وَهَكَذَا: «**أَنْ تَجِدَ الحُفَاةَ العُرَاةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنيَانِ**»(١).

كَانَ أَهْل البَادِيَةِ يعيشون في بُيُوتِ الشَّعْرِ المُتَنَقِّلَةِ، أَمَّا فِي آخِرِ الزَّمانِ فَيَثْرَي البَدوُ بِالأَموَالِ، وَيَتَحَوَّلُونَ مِن البَادِيَةِ إِلَى الحَاضِرَةِ، وَيَتَطَاوَلُون فِيمَا بَيْنَهُم، وَهُم كَانُوا يَسْكُنُونَ فِي بُيُوتِ الشَّعْرِ، وفِي آخِرِ الزَّمانِ يَسكُنُونَ فِي القُصُورِ، وَفِي الأَدْوَارِ المُرتَفِعَةِ، هَذَا مِن عَلَامَاتِ السَّاعةِ، وَقَدْ وَقَعَ الآنَ، كَمَا تَرَوْنَ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٨).

قَوْلُه ﷺ: «وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ»، هَذِه أَشَدُّ؛ فهو مِن شِدَّةِ الفِتنَةِ وَشِدَّةِ مَا يَلقَى يَتمنَّى المَوتَ، مَعَ أَنَّكُم تَفِرُّونَ مِن المَوتِ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَتَمَنَّى الإِنسَانُ المَوتَ، لِمَاذَا؟ لِيَسْتَرِيحَ مِن هَذِه الفِتَنِ، لِيَسْتَرِيحَ مِن هَذَا الشَّرِّ، وَلَيْسَ مِن أَجلِ الدِّينِ، وإِنَّمَا مِن أَجلِ أَنْ يَستَرِيحَ مِن الفِتَنِ، فَيَمُرُّ بِالقَبْرِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَكَ.

بَعضُ الرِّوَايَاتِ: «يَتمرَّغُ عَلَى القُبر»، وَيَقُولُ: **«لَيتَنِي مكَانَ هَذَا القَبْرِ»،** وَلَيْس بِهِ الدِّينُ، لَيْس بِه إِلَّا الفِتَن، ولَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ!

قَوْلُه ﷺ: «وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ - يَعْنِي آمَنُوا - أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»؛ طُلُوعُ الشَّمسِ مِن مَغْرِبِهَا مِن عَلَامَاتِ السَّاعةِ الكِبَارِ، الشَّمسُ تَطلُعُ مِن الشَّرقِ، وَتَغرُبُ فِي المَغرِبِ، لَكِنْ عِندَ قِيَامِ السَّاعَةِ وَقُبيلَ قِيامِ السَّاعَةِ يَتغَيَّر مَجْرَى الشَّمسِ؛ فَتَخرُجُ مِن المَغرِبِ، تَطلُعُ مِن مَغرِبِها، هَذَا مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الكِبَارِ.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]. إِذَا طَلَعَتْ الشَّمْسُ مِن مَغرِبِهَا، لَا يُقبَلُ الإِيمَانُ مِن أَحدٍ، لَا يُقبَلُ مِن أَحدٍ، إِلَّا إِنْ كَانَ مُؤمِنًا مِن قَبْلُ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨]؛ **يَعنِي:** كَسبَتْ ﴿أَوْ﴾ بِمَعْنَى الوَاوِ: وَكَسبَتْ فِي إِيمَانِهَا ﴿خَيْرًا ۗ﴾.

أَمَّا الإِيمَانُ الَّذِي يَحدُثُ بَعْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَهَذَا لَا يُقبَلُ، وَلَا يَنفَعُ، أَمَّا مَن كَانَ عَلَى الإِيمَانِ قَبلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَاستَمَرَّ، وَثَبَتَ عَلَيهِ، فَهَذَا يُثَبِّتُه اللهُ ﷻ، بَعْدَهَا لَا يُقبَلُ الإِيمَانُ وَلَا التَّوبَةُ.

قَالَ ﷺ: «لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا»[1]، فَيَبقَى الكَافِرُ عَلَى كُفْرِه، وَالمُؤمِنُ عَلَى إِيمَانِه، وَلَا أَحدٌ يُؤمِنُ فِي هَذَا الوَقتِ، وَلَا يُقبَلُ مِنهُ الإِيمَانُ؛ لأَنَّ الإِيمَانَ قَبلَ هَذَا، أَمَّا بَعْدَمَا تَظهَرُ عَلامَةُ السَّاعَةِ، انْتَهَى وَقتُ الإِيمَانِ، كلٌّ يُؤمِنُ، لَكِنْ لَا يُقبَلُ إِيمَانُه. ذَلِكَ هُو تَفسِيرُ هَذِه الآيَةِ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، هَذَا عِندَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِن مَغرِبِهَا.

قَولُه ﷺ: «وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ»، **يَعنِي**: يَذهَلُون عَن ذَلِكَ، هُم يَتَبَايَعُون، وَيشْتَرُون، وَمَعَهُم القُمَاشُ عَلَى العَادَةِ، إِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ، ذَهَلُوا، وَتَركُوا مَا مَعَهُم مِن القُمَاشِ؛ لَا يَطوِيَانِه، ولَا يَبِيعَانِه، يَنشَغِلُ الإِنْسَانُ.

قَولُه ﷺ: «وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَد انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ»؛ يَحلُبُ النَّاقَةَ - عَلَى العَادَةِ - لِيَشربَه، إِذَا قَامَتِ السَّاعةُ وَمَعهُ اللَّبَنُ، انْذَهَلَ، وَلَا يَطعَمُهُ، وَلَا يَشْرَبُهُ.

قَولُه ﷺ: «وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَد انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فيه»،

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٢٤٧٩)، والدارمي رقم (٢٥٥٥)، وأحمد رقم (١٦٩٠٦).

ولِمُسلِمٍ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ، حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ» وَكَانَتْ صَنَمًا تَعْبُدُهَا دَوْسٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِتَبَالَةَ[1]. [٢٦]

عَادَةُ الأَعرَابِ أَنَّهُم يَجعَلُونَ أَحْوَاضًا لِلإِبلِ؛ يَصُبُّونَ فِيهَا المَاءَ لِلإِبِلِ، وَقَبْلَ أَنْ يَصُبَّ المَاءَ فِي الحَوضِ يَلُوطُه؛ **يَعنِي**: يُصلِحُ الحَوضَ، وَيُهَيِّئُ الحَوضَ لِلمَاءِ، يَلُوطُ لكِنْ لَا يُكمِلُ، لَا يَسقِي بِه الإِبلَ؛ لِأَنَّه انْشَغَلَ، وَانْتَهَى الأَجَلُ؛ **يَعنِي**: بَغتَه ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ [محمد: ١٨]، السَّاعَةُ تَأْتِي بَغْتَةً.

قَولُه ﷺ: «وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ، وَقَدْ رفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ، فَلَا يَطْعَمُهَا»، وهذَا أَشَدُّ تَقُومُ السَّاعَةُ وَالإِنسَانُ قَدْ رَفَعَ اللُّقْمَةَ إِلَى فِيهِ؛ يَأكُلُ، وَهُو يَأْكُلُ، قَامَت السَّاعَةُ وَهُو يَأكُلُ، رَفَعَ اللقْمَةَ إِلَى فِيهِ، قَامَتْ السَّاعَةُ، لَا يَطْعَمُ اللُّقمَةَ هَذِه.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٢٦] وَمِن الفِتَنِ الّتِي تَحدُثُ فِي آخرِ الزَّمانِ عَودَةُ الشِّرْكِ وَالوَثَنِيّةِ إِلَى بِلَادِ العرَبِ، بَعْدَ أَنْ طَهَّرهَا اللهُ بِبعثَةِ الرَّسُولِ ﷺ وانْتِصَارِه عَلَى المُشرِكِين، وتَكسِيرِهِ لِلأَصْنَامِ وإِزَالَةِ الأَصْنَامِ، إِلَّا أَنَّه فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَتغَيَّرُ الأَمرُ؛ شَيَاطِينُ الإِنْسِ والجِنِّ يُزَيِّنُون لِلنَّاسِ العَودةَ إِلَى الجَاهِلِيّةِ بِاسْمِ إِحْيَاءِ الآثَارِ.

الآثَار أَنْتُم تَظُنّونَ أَنّها مُجرَّدُ آثَارٍ فَقَطْ، لَا، وَرَاءَهَا شَيءٌ؛ لِأَنَّ مِن الآثَارِ الأَصْنَامَ، كلُّ شَيءٍ تَفعَلُه الجَاهِلِيّةُ يُسمَّى بِالآثَارِ، وَمِنْهَا الأَصْنَامُ،

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٠٦).

يُسمُّونَها آثَارًا، فيَبحَثُون عَنْهَا، ويُعِيدُونَها عَلَى أنَّها آثَارٌ، ولَكنْ قَصدَ الشَّياطِينِ مِن هَذَا عَودَةَ الشِّرْكِ؛ لِأنَّه إذَا عَادَتْ الآثَارُ المُنْدَرِسَةُ وَالمَنسِيّةُ المَطمُورَةُ، إذَا عَادَتْ، أَلْقَى الشَّيطَانُ فِي قُلُوبِ الجُهَّالِ والعَوَامِّ أنَّ فِيهَا بَرَكَةً، وأنَّها تَنفَعُ، وَأنَّهُم كَانُوا يَتبَرّكُون بِها؛ فتَعُودُ الوَثَنِيّةُ.

ومِن ذَلِك: ذِي الخَلصَةِ، الخَلْصَةُ هَذَا صَنمٌ جَنُوبَ الطَّائِفِ لِقَبِيلةِ دَوْسٍ، لَمَّا جَاءَ الإِسْلَامُ، قَضَى عَلَيهِ مِن جُملَةِ الأَصنَام، لكنْ لَا تَزَالُ شَيَاطِينُ الإنسِ وَالجنِّ تَتَحَيَّنُ الفُرَص، ولمَّا جَاءَت قَضِيَّةُ إِحيَاءِ الآثَارِ، اسْتَغلُّوهَا فِي عَودَةِ الوَثنِيّةِ، وَمِن ذَلِكَ هَذَا الصّنَم.

قَولُه ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ، حَوْلَ ذِي الخَلْصَةِ**»؛ لأنَّ النِّسَاءَ أَقرَبُ إِلَى الفِتنَةِ مِن الرِّجَالِ، فيَضْطَرِبْنَ أوْ يَتَزَاحَمْنَ عَلَى صنَم ذِي الخَلْصَةِ؛ لأنَّه يُعَادُ بِاسمِ الآثَارِ، فَتَعُودُ عِبادَتُه مِن دُونِ اللهِ ﷻ، فتَزْدَحِمُ النِّسَاءُ عَلَيهِ لِلتَّبَرّكِ بِه.

النّبيُّ ﷺ أخبَرَ عَن ذَلِكَ لِلتَّحذِيرِ، لَيس مُجرَّدَ خَبَرٍ، إنَّما للتَّحذِير؛ خُذُوا حِذْرَكُم! عِندَمَا تَحدُثُ هذِه الفِتنَةُ، فَلْيَكُنْ لَكُم مَوقِفٌ بِصَدِّها عَن المُسلِمِين وَالبَيَانُ والمُنَاصحَةُ لِوُلَاةِ الأمُورِ عَن هَذَا الأَمْرِ.

وإلَّا إذَا سَكَتَ العُلمَاءُ، وَسَكَتَ المُسلِمُون فَإِنَّ أَهلَ الشّرِّ يَزِيدُ شَرُّهُم، وَلَا يَقِفُونَ عندَ حَدٍّ، يُرِيدُون لِلبَشَرِيّةِ الدَّمَارَ، ويُرِيدُون لِهَذَا الدِّينِ أنْ يَندَرِسَ وَأنْ يَذهَبَ، وَلَكِنْ يَأبَى اللهُ، إلَّا أنْ يُتِمَّ نُورَه، وَلَو كَرِهَ الكَافِرُون.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

وله عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى » فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا، قَالَ: « إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَيَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ »[(١)]. [٢٧]

---

[٢٧] وهَذَا الحَدِيثُ أَشدُّ مِن الّذِي قبلَهُ؛ الّذِي قَبلَهُ فِيهِ عَودَةُ ذِي الخَلْصَةِ يُعبدُ مِن دُونِ اللهِ، وَهَذا فِيهِ أَكبرُ؛ عَودَةُ اللَّاتِ وَالعُزَّى، اللَّاتُ فِي الطَّائِفِ، وَالعُزَّى عِندَ مَكّةَ قَرِيبٌ مِن عَرفَاتٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]، هَذِه أَكبرُ الأَصْنَامِ، أَكبرُ الأَصنامِ هِي هَذِه الثّلاثَةُ: اللّاتُ فِي الطّائِفِ، والعُزَّى فِي مَكّةَ، وَمُنَاة قَرِيبٌ مِن المَدِينَةِ، بَيْنَ مكّةَ وَالمَدِينَةِ.

لمَّا جَاءَ اللهُ بِالإِسْلَامِ، وَبَعَثَ رَسُولَه مُحمَّدًا ﷺ، وفَتح لَه مكّةَ، انْتَصَرَ ﷺ، كسَّرَ هذِه الأَصنَامَ، وَأَتلفَها؛ اللّاتَ والعُزّى ومَنَاةَ.

ولكِنْ مَعَ هَذَا لهَا جُنودٌ مِن شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ، لَا ييأَسُونَ، وَلَا يَنقَطِعُونَ، فإِذَا تَضَاعَفَ المُسلِمُون، ورَأَوا ضَعْفَ المُسلِمِين وَالغَفْلَةَ، انْتَهزُوا الفُرصَةَ؛ يَنتَهِزُونَ الفُرَصَ تَحتَ ظِلِّ إِحيَاءِ الآثَارِ، فَتُبْعَثُ اللّاتُ والعُزَّى، فِي آخِرِ الزَّمَانِ تَعُودُ عِبادَتُها مِن دُونِ اللهِ، وَعِنْدَ ذَلِك تَقُومُ السَّاعَةُ، هَذَا مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٠٧).

ولَهُمَا: عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى»[1]. [٢٨]

سَأَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِين رَسُولَ اللهِ ﷺ: عِنْدَ ذَلِكَ أَلَيْسَ هُنَاكَ أَحدٌ مِن المُسلِمين؟ هَذَا غَرِيبٌ، كَيْفَ اللَّاتُ وَالعُزَّى تُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ؟ أَيْنَ المُسلِمُون فِي ذَلِكَ الوَقتِ؟ أَلَا يُوجَدُ مُسلِمُون؟!

أَخبَرَ ﷺ أَنَّه إِذَا حَصَلَ هَذَا، وَعَادَتْ عِبَادَةُ الأَصنَامِ، يَقبِضُ اللهُ أَروَاحَ المُؤمِنِين، وَلَا يَبْقَى إِلَّا الأَشرَارُ، وَعَلَيْهِم تَقُومُ السَّاعَةُ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، أَمَّا أَهلُ الإِيمَانِ، فَيُقبَضُون قَبْلَ ذَلِك؛ فَلَا يَحضُرُونَ قِيَامَ السَّاعةِ، لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الخَلْقِ، كلُّ شَيءٍ لَه نِهَايَةٌ فِي هَذِه الدّنيَا، الدُّنيَا نَفسُهَا لَهَا نِهَايَةٌ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٢٨] وَهَذا حَصَلَ، فَظَهَرَتْ نَارٌ فِي الحِرَّةِ قُرْبَ المَدِينَةِ، ورَآهَا النَّاسُ، وَبَقِيتْ أَيَّامًا تُضِيءُ لَهَا أَعنَاقُ الإِبلِ فِي بُصْرَى - **يَعنِي**: فِي الشَّامِ -، يَصِيرُ لهَا لَهَبٌ، وَلَهَا ضَوءٌ يَمتَدُّ، أَكبَرَ شَيءٍ مِن الحَيَوَانَاتِ - الإِبلِ - المَعرُوفَةِ، وَإِلَّا هُنَاكَ حَيوَانَاتٌ أَكبَرُ، لَكِنَّ المَعرُوفَةَ فِي بِلَادِ العَرَبِ الإِبلُ كَونُهَا مُرتَفِعَة، ولَهَا أَعنَاقٌ مُمتَدَّة، تَلُوحُ فِي هَذَا الضَّوءِ مِن شِدّةِ النّارِ هَذِه، مِن شِدّةِ ضَوئِهَا، وهَذَا حَصَلَ، ذَكَرَه المُؤَرِّخُونَ كَابْنِ كثِيرٍ وَغَيرِه، هَذِه النَّارُ مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٧١١٨)، ومسلم رقم (٢٩٠٢).

وللتِّرْمِذِيِّ عن ابْنِ عُمَرَ ﵄ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ نَحْوِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ». قَالَ: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ[1].[٢٩]

وللتِّرْمِذِيِّ - وَحَسَّنَه - عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلُوا إِمَامَكُمْ، وَتَجْتَلِدُوا بِأَسْيَافِكُمْ، وَيَرِثَ دُنْيَاكُمْ شِرَارُكُمْ»[2].[٣٠]

---

[٢٩] وهَذَا - أَيضًا - فِي خُرُوجِ نَارٍ أُخْرَى، وَهِي الأَخِيرَة، تَخرُجُ مِن قَعرِ عَدَنٍ، وهِيَ نَارٌ عظِيمَةٌ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى المَحشَرِ فِي أَرضِ الشَّام، تَسُوقُهُم، تَبِيتُ مَعَهُم إِذَا بَاتُوا، وتَرُوحُ مَعَهُم إِذَا رَاحُوا، تَسُوقُهُم إِلَى أَرضِ المَحشَرِ.

قَولُه ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ»، الشَّامُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَكُونُ هُو مَوئِلُ المُسلِمِينَ، يَجتَمِعُونَ فِيهِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٣٠] **وَهَذا مِن عَلَامَاتِ السَّاعةِ - أَيضًا** -: الفِتنَةُ، الاقْتِتالُ بَيْنَ المُسلِمِين؛ يَقتُلُونَ إِمَامَهُم، وَهَذَا حَصَلَ أَوَّلَ مَا حَصَلَ بِقَتلِ عُثْمَانَ ﷺ الخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ، ثُمَّ انْفَتَحَ بَابُ الفِتنَةِ عَلَى المُسلِمِين مِن ذَاكَ الوَقتِ، صَارُوا يَتَقَاتَلُون بَيْنَهم، يَتَقَاتَلُون عَلَى السُّلْطَةِ، يَتَقَاتَلُون عَلَى الدّنيا.

---

(١) أخرجه: الترمذي رقم (٢٢١٧).

(٢) أخرجه: الترمذي رقم (٢١٧٠).

وَلَه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ، وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ». وقال: صحيح غَرِيبٌ، لَا نَعرِفُهُ إِلَّا مِن حَدِيثِ القَاسِمِ بنِ الفَضلِ، وَهُو ثِقَةٌ مَأْمُونٌ(١).[٣١]

ويَسْتَمِرّ هَذَا، وَيَشتَدُّ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ، يَقتُلُونَ وُلَاةَ أمُورِهِم، وَهَذَا يَكُونُ بِاسْمِ الثَّورَةِ، الّذِين يُسَمُّونَ الثَّوْرَةَ، وكَذَا وَكَذَا، وَالحُرِّيَّةَ، والدِّيمُقْرَاطِيةَ إِلَى آخِرِه، وَلَا يَحتَرِمُون وُلَاةَ الأُمُورِ، وَلَا يَحتَرِمُون إِمَامَهُم، فَتَحصُلُ الفِتَنُ عِنْدَ ذَلِك؛ لأنَّ المُسلِمِين إذَا لَم يَكُنْ لَهُم إِمَامٌ، ضَاعَتِ الأُمُورُ، وَحَصَلَتِ الفِتنَةُ، وَلَا أَحدٌ يَمنَعُ هَذَا.

الإِمَامُ يَدفَعُ اللهُ بِهِ الفِتنَةَ؛ فَهُو ظِلُّ اللهِ فِي أَرضِهِ، لكِنْ إِذَا قُتِلَ الإِمَامُ مَاذَا يَبقَى؟! فَهَذَا مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ.

الكَلَامُ فِي الأَئِمّةِ؛ الشَّيءُ يَبدَأُ أَوَّلَ مَا يَبدَأُ كَلَامٌ: طَعْنٌ فِي وُلَاةِ الأمُورِ، انْتِقَاصُ وُلَاةِ الأمُورِ، ثمَّ يَتطوَّرُ إِلَى قَتلٍ، فَهَذَا مِن الفِتَنِ الّتِي تَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَلَا حَولَ ولَا قُوّةَ إِلَّا بِاللهِ!

بعْدَ ذَلِك يتَنَافَسُون فِي الدّنيَا، ويَقتُلُ بَعضُهُم بَعْضًا عَلَى الدّنيَا، كلٌّ يُرِيدُ أنْ يَسْتَأْثِرَ بِهَا عَنِ الآخَرِ.

* * * * *

[٣١] وهَذَا - أيضًا - فِيهِ ذِكرُ شَيءٍ مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ وَقُربِ وُقُوعِهَا، وَهُو أنَّ الأَشيَاءَ الّتِي لَم تَكُنْ تَنطِقُ مِن قَبلُ تَنطِقُ: تَنطِقُ عَذَبَةُ

---

(١) أخرجه: الترمذي رقم (٢١٨١).

ولمُسلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا»[1]. [٣٢]

السَّوطِ؛ سَوطُ العَصَا الَّذِي مَعَ الإِنسَانِ، وفَخِذُه تُكلِّمُه. وَهَذَا - وَاللهُ أَعلَمُ - سَيكُون فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِندَ قُربِ قِيَام السَّاعَةِ، يَحدُثُ أَنَّ هَذِه الأَشيَاءَ تَنطِقُ، وَتُخبِرُ بِمَا يَحصُلُ، تُخبِرُ الرَّجُلَ بِمَا يَحصُلُ عِنْدَ أَهلِهِ، واللهُ عَلَى كلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ - سُبحَانَهُ وَتَعَالَى -، يُنطِقُ هَذِه الأَشيَاءَ، السِّبَاعُ - أيضًا - تتكَلَّمُ، وتُخَاطِبُ النَّاسَ.

لَا تَستَغرِبُوا شَيْئًا فِي هَذَا، طَالَمَا أَنَّه صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَجِبُ الإِيمَانُ بِه، أَمَّا كَيْفِيَّةُ وُقُوعِه وَكَيْفَ يَحدُثُ، فَاللهُ أَعلَمُ، اللهُ ﷻ يُحدِثُ مَا لَا نَعلَمُ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[٣٢] هَذِه - أيضًا - مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ:

الأُولَى: كثْرَةُ المَالِ؛ فالمَالُ فِتنَةٌ، وكَثرَتُه لَيْسَت عَلَامَةَ خَيرٍ، بَلْ عَلَامةُ شَرٍّ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، يَبتَلِي اللهُ بِهَا النّاسَ؛ فَيَحصُلُ الحسَدُ، ويَحصُلُ التَّقَاطُعُ عَلَى الدّنيَا، ويحْصُلُ القَتلُ عَلَى الدّنيَا، وَتَحصُلُ شُرُورٌ.

يَفِيضُ المَالُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَهَذَا لَيْسَ علَامَةَ خَيرٍ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦- ٧]، وَالغِنَى يُطغِي؛ فَيحصُلُ بِذَلِكَ شُرُورٌ

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٥٧).

وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ مِن حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ التَّسْلِيمَ عَلَى الخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ المَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعَ الأَرْحَامِ، وَفُشُوَّ القَلَمِ، وَظُهُورَ شَهَادَةِ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الحَقِّ»[1].[٣٣]

مِن فَيضَانِ المَالِ، ومِن كَثرَةِ المَالِ يَصِيرُ عِنْدَ النَّاسِ كُلِّهم، فلَا يَصِيرُ فِيهِم فُقَرَاءُ؛ حَيثُ إنَّ الرَّجُلَ يُخرِجُ زَكَاتَه، وَلَا يَجِدُ مَن يَستَحِقُّها أوْ يَأخُذُها؛ مِن فَيضِ المَالِ فِي أَيدِي النَّاسِ، هَذِه وَاحِدةٌ.

قَالَ ﷺ: «وحَتَّى يَخرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ»، أَرضُ العَربِ كَانَت قَاحِلةً، إلَّا مواضِع مِنهَا، فِي آخِرِ الزَّمَانِ تَعُودُ مُرُوجًا؛ **يَعنِي**: بَسَاتِينَ مِن الأشْجَارِ، وَتَعُودُ أَنْهارًا تَجرِي، تَتَفجَّرُ الأنْهارُ.

وكَونُهَا تَعُودُ يَدُلُّ عَلَى أنَّها كَانَتْ مِن قَبلُ كَذَلِك، ثمَّ زَالَت هَذِه المُرُوجُ، وَالمِيَاهُ شَحَّت، لَكِن فِي آخِرِ الزَّمَانِ تَعُودُ، وَتَتَفجَّر الأنْهارُ.

واللهُ أَعلَمُ تَكثُرُ الأَمْطَارُ - أَيضًا -، تَتَوفَّرُ المِيَاهُ، وَيَتَغيَّرُ الوَضعُ، فهَذَا مِن عَلَامَاتِ السَّاعةِ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[٣٣] قَولُه ﷺ: «إنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ التَّسْلِيمَ عَلَى الخَاصَّةِ»؛ يَعنِي: اقْتِصَارُ السَّلام عَلَى الخَواصِّ مِن النَّاسِ، الرَّسُولُ ﷺ يقُولُ: **«لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»**[2]؛

---

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٧/ ٢٩٧).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٥٤).

يُسَلِّمُ عَلَى الصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ، والحُرِّ والعَبْدِ، وَالغَنِيِّ والفَقِيرِ، السَّلامُ حَقٌّ لِلمُسلِمِ عَلَى المُسلِمِ، فَإِذَا تُرِكَ هَذَا وَصَارَ لَا يُسلِّمُ إِلَّا عَلَى كِبَارِ النَّاسِ وَعَلَى الخَاصَّةِ، هَذَا مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ، هَذِه وَاحِدَةٌ.

قَولُه ﷺ: «وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ»؛ كَمَا سَبَقَ يَشتَغِلُ النَّاسُ بِالتِّجَارَةِ - البَيعِ وَالشِّرَاءِ -، وتَنفَتِحُ عَلَيهِم التِّجَارَةُ، وَيَنشَغِلُونَ بِهَا عَنِ الدِّينِ، وَيَطْغُونَ بِهَا عَلَى العِبَادِ.

قَولُه ﷺ: «حَتَّى تُعِينَ المَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَة»، حَتَّى المَرْأَةُ لَم يكُنْ مِن عَادَتِها أَنَّها تَشتَغِلُ بِالتِّجَارةِ، الَّذِي يَشتَغِلُ بِالتِّجَارَةِ هُم الرِّجَالُ، والمَرأَةُ تَقُومُ بِأُمُورِ البيتِ، تَربِيةِ الأَولَادِ، وَلَا تَشتَغِلُ بِالتِّجَارَةِ.

فِي آخِرِ الزَّمَانِ تَشتَغِلُ بِالتِّجَارَةِ مَعَ زَوجِهَا، تُشَارِكُ زَوجَهَا، أَوْ تَنفَرِدُ هِي؛ كَمَا تَرَونَ الآنَ النِّسَاءَ والأَمْوَالَ بَأَيدِيهِنَّ، تُتَاجِرْنَ مِثلَ الرِّجَالِ أَوْ أَكثَرَ، هَذَا شَيءٌ لَم يَجرِ فِي الزَّمانِ السَّابقِ، هَذَا مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ.

الرَّسُولُ ﷺ لَا ينطِقُ عَن الهَوَى، فَمَا أَخبَرَ بِه لَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ، وهُو يُخبِرُ بِذَلِك لِلتَّحذِيرِ؛ تَحذِيرُ المُسلِمِ إِذَا أَدرَكَ هَذَا الشَّيءَ أَنْ يَأْخُذَ حِذْرَه.

قَولُه ﷺ: «وَقَطْعَ الأَرْحَامِ»؛ قَطِيعَةُ الأَرْحَامِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، يُقَاطِعُونَ عِنْدَ الدّنيَا، وَأَيضًا يَنشَغِلُونَ؛ يَنشَغِلُ بَعضُهُم عَن بَعضٍ، لَا يُفَكِّرُ بِأَقَارِبِه يَزُورُهُم وَيَزُورُونَه، لَا، مَشغُولٌ، مَشْغُولٌ بِدُنْيَاه، مَشغُولٌ لَيلًا أَوْ نَهارًا، مِن المُمكِنِ إِذَا حَصَلَ لَه شَيءٌ مِن الفَرَاغِ، يَنَامُ، يَرتَاحُ، وَإِذَا استَيقَظَ، يُسرِعُ إِلَى أَعمَالِه، وَلَا يَفرُغُ إِلَى أَقَارِبِه يَزُورُونَه أَوْ يَزُورُهُم، لَا يَفرُغُ لِهَذَا وَهُو فِي الدّنيَا.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَفُشُوَّ القَلَمِ»؛ يَعنِي: كَثرَةُ التَّعلِيمِ؛ الأَوَّلُ لَم يَكُنْ يَتَعَلَّمُ إِلَّا أَفرَادٌ مِن النَّاسِ يَتَعَلَّمُون العِلمَ الشَّرعِيَّ، وَبَعضُهُم يَتعَلَّمُ الكِتَابَةَ؛ لِيَكتُبُوا نَادِرًا، تَجِدُ البَلَدَ لَيسَ فِيهَا إِلَّا كَاتِبٌ وَاحِدٌ.

والآنَ فُتِحَتْ المَدَارِسُ، وَأَقبَلَ النَّاسُ، الحَاضِرَةُ وَالبَادِيَةُ كلُّهُم تَعَلَّمُوا الآنَ، كُلُّهُم يَكتُبُونَ؛ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالأَطفَالُ وَالكِبَارُ كُلُّهُم يَكتُبُونَ، لَيْسَ هُنَاكَ أَحدٌ لَا يَكتُبُ.

والدُّوَلُ تَتَسَابَقُ إِلَى مَا يُسَمُّونَه مَحوَ الأُمِّيَّةِ، لَا يُبقُونَ أَحَدًا لَم يَتَعَلَّمْ، لَا يَبقَى أَحدٌ أُمِّيًا لَا يَكتُبُ، وَلَا يَقرَأُ، هَذَا مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ.

قَولُه ﷺ: «وَظُهُورَ شَهَادَةِ الزُّورِ»؛ مِن التَّنَافُسِ فِي الدُّنيَا يَحصُلُ شَهَادَةُ الزُّورِ.

شَهَادَةُ الزُّورِ هِيَ: الشَّهَادَةُ الكَاذِبَةُ؛ مِن أَجلِ أَنْ يَحصُلَ الشَّاهِدُ عَلَى طَمعٍ، أَوْ مِن أَجلِ أَنْ يَضُرَّ مَن لَا يُحِبُّه يَشهَدُ عَلَيهِ؛ لِيَضُرَّه، وَيَكِيدُ لَه، أَوْ يَأْخُذَ فِي مُقَابِلِ هَذَا مَالًا وغيرَ ذَلِك.

وَاللهُ ﷻ أَمَرَ بِالشَّهادَةِ عَن عِلمٍ وَعَن مَعرِفَةٍ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

شهَادَةُ الزُّورِ مِن أَكبَرِ الكبَائِرِ: «لَنْ تَزُولَ قَدَمَ شَاهِدِ الزُّورِ حَتَّى يُوجِبَ اللهُ لَهُ النَّارَ»(١). فَشَهَادَةُ الزُّورِ خَطِيرَةٌ جِدًّا، تَكثُرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ لِأَنَّه يَخِفُّ الدِّينُ، وَتَظهَرُ الأَهْوَاءُ والأَطْمَاعُ، فَينهَضُ لِنُجدَةِ مَن يُحِبُّ أَوْ مَن يُرِيدُ، يُؤَيِّدُه بِالشَّهَادَةِ، وَلَو احْتَاجَ أَنْ يَكذِبَ، يَشهَدُ لَه،

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٢٣٧٣).

وَالَّذِي لَا يَشهَدُ عِنْدَهُم هَذَا لَيسَ فِيهِ خَيرٌ، وَلَا إِعَانَة لِلآخَرِ، يَذُمُّونَه، ويَقُولُون: هَذَا لَيسَ فِيهِ خَيرٌ؛ يَبْخَلُ بِالشَّهادَةِ. وَلَو لَم يَكُنْ عِندَه خَبَرٌ يَشهَدُ. يَشهَدُ مِن بَابِ المُجَامَلَةِ، مِن بَابِ الطَّمَعِ، مِن بَابِ الحِقْدِ عَلَى المَشْهُودِ عَلَيهِ، . . . إِلَى آخِرِه.

الشَّهَادةُ أَمرُهَا خَطِيرٌ جِدًّا، لَا بُدَّ للإِنْسَانَ أَنَّ لَا يَشهَدُ إِلَّا عِندَ الحَاجَةِ ولَا بُدَّ أَنْ يَشهَدَ بِمَا يَعلَمُ، ومَا لَا يَعلَمُ يَقُولُ: لَا، لَا أَدْرِي.

قَولُهُ ﷺ: «وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الحَقِّ»؛ يَشهَدُونَ بِالزُّورِ وَالكَذِبِ، وأَمَّا الحَقُّ، الَّذِي عِندَه شَهَادةُ حَقٌّ فَهَذَا يَكتُمُها، كِتْمَانُ الشَّهَادَةُ نَهى اللهُ عَنْهُ: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

لأَنَّ الشَّهَادَةَ تُبيِّنُ الحَقَّ، وَيَحتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهَا - شَهَادَةُ الحَقِّ -، الشَّهَادَةُ عَن عِلمٍ وعَن صِدقٍ يَحتَاجُها النَّاسُ.

«البَيِّنَةُ عَلَى المُدَّعِي»[1]، وَالبَينَةُ هِي الشُّهُودُ، مِن أَيْنَ يَجِدُ الشُّهُودُ؟! إِذَا كُتِمَت الشَّهَادَة بِالحَقِّ، شَهِدَ النَّاسُ بِالزُّورِ؛ لِأَنَّه لَا بُدَّ مِن الشَّهَادَةِ، صَاحِبُ الحَقِّ وَالَّذِي عِندَهُ خَبَرٌ وَعِلمٌ وَكَتَمَ الشَّهَادةَ، عِنْدَ ذَلِكِ تَحصُلُ شَهَادَةُ الزُّورِ.

فَالحَقِيقَةُ أَنَّ شَهادَةَ الزُّورِ خَطرٌ عَلَى المُسلِمِين؛ ففيها ضَيَاعٌ لِلحُقُوقِ، وَتَسلُّطٌ لِلظَّلَمةِ علَى أَهلِ الحَقِّ، فَصَاحِبُ الحَقِّ لَا يَجِدُ شَاهِدًا، وَتُكتَمُ الشَّهَادةُ، يَكتُمُهَا إِمَّا خَوفًا أَوْ طَمَعًا، يُقَالُ لَه: لَا تَشْهَدْ، وَنُعْطِيكَ كَذَا وَكَذَا.

---

(١) أخرجه: الترمذي رقم (١٣٤١).

ولِابْنِ المُبَارَكِ عَن ابْنِ فضَالَةَ، عَن الحَسَنِ، أنَّه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يُرْفَعَ العِلمُ، ويَفِيضَ المَالُ؛ وَيَظْهَرَ القَلَمُ، وَتَكْثُرَ التِّجَارَةُ».

قَالَ الحَسَنُ: «لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ، إِنَّمَا يُقَالُ: تَاجِرُ بَنِي فُلَانٍ، وكَاتِبُ بَنِي فُلَانٍ. مَا يَكُونُ فِي الحَيِّ إِلَّا التَّاجِرُ الوَاحِدُ، أَوْ الكَاتِبُ الوَاحِدُ». [٣٤]

وإمَّا عَدمُ مُبَالَاةٍ، أَوْ يَكُونُ فِي نَفسِهِ شَيءٌ، وَلَا يَشهَدُ بِالحَقِّ، يَكتُمُ الشَّهَادَةَ.

الشَّهَادَةُ لَا بُدَّ مِنْهَا؛ لِأَدَاءِ الحُقُوقِ، لَكِنْ تَكُونُ بِحَقٍّ، وَعِنْدَ الطَّلَبِ، وَيَجِبُ عَلَى مَن تَحمَّلَ شَهَادةً أَنْ يُؤَدِّيَها عِندَ الطَّلَبِ، يَجِبُ عَلَيهِ ذَلِكَ: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، فِي آخِرِ الزَّمَانِ تُكتَمُ الشَّهادَةُ، فَشَهَادَةُ الحَقِّ تُكتَمُ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ تَكثُرُ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٣٤] **قَولُهُ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يُرْفَعَ العِلمُ»**؛ يُرفَعُ العِلمُ، وَيَكثُرُ الجهلُ، يَقِلُّ العُلَمَاءُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، القُرَّاءُ كَثِيرُونَ، والمُتَعَالِمُون كَثِيرُونَ يَدَّعُونَ العِلمَ، لَكِنَّ الفُقَهَاءَ قَلِيلُونَ، أَوْ يُعْدَمُونَ.

فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَكثُرُ القُرَّاءُ؛ كَمَا فِي الحَدِيثِ: «**يَكْثُرُ القُرَّاءُ، وَيَقِلُّ الفُقَهَاءُ**»(١)، والقُرَّاءُ لَيْسَ فِيهِم فَائِدَةٌ، وإنْ كَانُوا يَحفَظُونَ وَيَقرَؤُونَ ويُطَالِعُونَ، هَذَا لَيسَ هُو العِلمُ. **العِلمُ**: هُو الفِقهُ والفَهمُ فِي

---

(١) أخرجه: الطبراني في الأوسط رقم (٣٢٧٧).

دِينِ اللهِ ﷻ، وَهُو الحِكْمَةُ الّتِي يُؤْتِيهَا اللهُ مَن يَشَاءُ، هَذَا يَقِلُّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ «**يَكثُرُ القُرَّاءُ، وَيَقِلُّ الفُقَهَاءُ**»؛ يُرْفَعُ العِلمُ.

قَولُه ﷺ: «**وَيَفِيضُ المَالُ**»؛ هَذَا - وَاللهُ أَعلَمُ - مَثلُ مَا سَبَقَ؛ أنَّه يَكثُرُ المَالُ.

قَولُهُ ﷺ: «**وَيَظهَرُ القَلَمُ**»؛ مِثلُ مَا سَبَقَ، يَفشُو.

قَولُهُ ﷺ: «**وتكثُرُ التِّجَارَةُ**»؛ مِثلُ مَا سَبَقَ.

قَولُه ﷺ: «**لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ، إِنَّمَا يُقَالُ: تَاجِرُ بَنِي فُلَانٍ، وكَاتِبُ بَنِي فُلَانٍ. مَا يَكُونُ فِي الحَيِّ إِلَّا التَّاجِرُ الوَاحِدُ، أَوْ الكَاتِبُ الوَاحِدُ**»؛ كَانَ فِي الأَوَّلِ يَقِلُّ التُّجَّارُ، يَقِلُّ المَالُ، لَا يَصِيرُ إِلَّا فِي أَيدٍ يَسِيرَةٍ مِن النَّاسِ، وهَذَا خَيرٌ لِلنَّاسِ؛ لَا يَنشَغِلُونَ بِالدُّنيا عَن الدِّينِ، لَكِنْ لَا يُعدَمُ، والتِّجَارَةُ لَا تُعدَمُ؛ فَالنَّاسُ بِحَاجَةٍ إِلَيهَا، لَكِنْ لَا تَكُونُ إِلَّا بِأَيدِي قِلَّةٍ مِن النَّاسِ عَلَى قَدرِ الحَاجَةِ.

وكَذَلِكَ الكِتَابَةُ لَا تُعدَمُ، فَالنَّاسُ بِحَاجَةٍ إِلَى الكِتَابَةِ، فَلَا تُعدَمُ، ولَكِنَّ الكتَّابَ قَلِيلُونَ، وَهَذا شَيءٌ أَدركْنَاه، بَعضُ البُلْدَانِ لَيْس فِيهَا كَاتِبٌ إِلَّا وَاحِدٌ فَقَطْ، يَأْتِي إِلَيهِ النّاسُ مِن بَعِيدٍ، يَكتُبُ لَهُم رَسَائِلَ وَوَثَائِقَ.

والآنَ - كَمَا سَبَقَ - فَشَا التَّعْلِيمُ - تعلُّمٌ لِلدّنيَا -، فَشَا التَّعلِيمُ والكِتَابةُ، صَارَ الآنَ كلٌّ يَكتُبُ، نَادِرًا مَا تَجِدُ أَحَدًا لَا يَكتُبُ الآنَ، كلٌّ يَكتُبُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، الكِبَارُ والصِّغَارُ، كلٌّ يكتُبُ وَيَقرَأُ، هَذَا مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وللبخاري عن أَنَسٍ ﷺ أنه قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ»[1]. [٣٥]

---

[٣٥] **قوله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ»، والأَشْرَاطُ**: العَلَامَاتُ ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]؛ أَيْ: عَلَامَاتُهَا.

قَوْلُه ﷺ: «أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ»، هُو - الحَمدُ للهِ - لَا يُعدَمُ، لَكِنْ يَقِلُّ، بَعْدَ مَا كَانَ العِلمُ الشَّرعِيُّ كَثِيرًا فِي المُسلِمِين وعَلَيهِ إِقبَالٌ. الَّذِين يَتَعَلَّمُون الآنَ كَثِيرِينَ، وَالجَامِعَاتُ مَفتُوحَةٌ، والَّذِين يَتَخَرَّجُون كَثِيرُون، لَكِنْ لَيْسَ فِيهِم عُلَماءُ، مَعَهُ أَرفَعُ الشَّهَادَاتِ، وَلَو تَسأَلُه عَن أَسهَلِ المَسَائِلِ، لَا يَستَطِيعُ أَنْ يُجِيبَ جَوَابًا صَحِيحًا.

فَهُنَاكَ فَرقٌ بَيْنَ فُشُوِّ التَّعلِيمِ وَالعِلمِ الشَّرْعِيِّ؛ لَا يُقبِلُ النَّاسُ عَلَى تَعلُّمِ العُلُومِ الشَّرعِيَّةِ وَهَذا مِن عَلَامَاتِ السَّاعةِ، وَلِذَلِك تَجِدُ الآنَ الفُقَهَاءَ قَلِيلِينَ، المُتَعَلِّمُونَ والَّذِينَ مَعَهُم شَهَادَاتٌ مُرتَفِعَةٌ كَثِيرُون، ولَكِنْ لَيْسَ عِندَهُم فِقهٌ، الفِقهُ نَادِرٌ الآنَ، وَيَقِلُّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، لَا نَقُولُ: يَنقَطِعُ، لَكِنْ يَقِلُّ جِدًّا، هَذِه وَاحِدَةٌ.

قَولُه ﷺ: «وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ»؛ إِذَا قَلَّ العِلمُ، كَثُرَ الجَهلُ، وَإِذَا كَثُرَ العِلمُ، قَلَّ الجَهلُ.

قَولُه ﷺ: «وَيَظْهَرَ الزِّنَا»، هَذِه المُصِيبَةُ **«يَظْهَرَ الزِّنَا»**، مَا سَبَبُ الزِّنَا؟ الزِّنَا كُلٌّ يَعرِفُ أَنَّه حَرَامٌ، لَكِنْ مَا سَببُ ظُهُورُهُ وَكَثرَتُه؟

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٨١).

سببُه انْفِلَاتُ النِّسَاءِ، وإِعْطَاؤُهُنَّ الحُرِّيَّةَ، وإِعْطَاؤُهُنَّ الأَعْمَالَ مَعَ الرِّجَالِ - كَمَا يُنَادَى بِه الآنَ -، هَذَا مَدْعَاةٌ لكَثْرَةِ الزِّنَا؛ لِأَنَّ الشَّهْوَةَ موجُودَةٌ فِي النَّاسِ رِجَالًا وَنِسَاءً، لَم تَذْهَبْ الشَّهوَةُ، فَإِذَا تبرَّجَتْ النِّسَاءُ، وَتَعَطَّرَتْ، وَخَرَجَتْ لِلأَسْوَاقِ، ولِلمَكَاتِبِ، ولِلكَاشِيرَاتِ، وَالبَيعِ والشِّرَاءِ، واسْتَلَمَتْ الأَعمَالَ، وَاخْتَلَطَتْ بِالرِّجَالِ، والشَّهوَةُ مَوجُودَةٌ، وَالشَّيْطَانُ مَوجُودٌ، يَحصُلُ التَّحَرُّشُ، وتَحصُلُ الفِتنَةُ.

أَمَّا إِذَا ضُبِطَتْ النِّسَاءُ، وَانْضَبَطَتْ، أُمِنَتْ الفِتنَةُ، لَكِنْ إِذَا أُطْلِقَتْ النِّسَاءُ، ونَادَى مَن يُنَادِي مِن الأَشْرَارِ بِحُرِّيَّةِ المَرأَةِ - كَمَا يَقُولُون -، وَهِي لَيْسَت حُرِّيَّةً، هَذِه أَشدُّ العُبُودِيَّةِ، هَذِه عبُودِيَّةٌ لِلشَّهَوَاتِ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، الحُرِّيَّةُ فِي طَاعةِ اللهِ ﷻ والتَّحَرُّرُ مِن المَعَاصِي.

فالمَرأَةُ إِذَا أُطلِقَتْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، حَصَلَ كثْرَةُ الزِّنَا؛ لِأَنَّها وَسِيلةُ زِنَا، لَا سِيَّمَا إِذَا تَبرَّجَتْ المَرأَةُ بِالزِّينَةِ، وَاختَلَطَتْ بِالرِّجَالِ، وَأُعْطِيَت الحُرِّيَّةَ التّامَةَ فِي التَّجوُّلِ، وَصَارَ مِفْتَاحُ السَّيَّارَةِ بِيَدِهَا، تُرِيدُ أَنْ تَقُودَ السَّيَّارَةَ، وَتَذْهَبُ إِلَى حَيثُ تُرِيدُ، وَصَارَتْ الاتِّصَالَاتُ تَأتِي إِلَيهَا، وَهِي فِي قَعرِ بَيتِهَا يَتَّصِلُ بِهَا الأَشْرَارُ، تَأتِيهَا الصُّوَرُ، تَنْظُرُ إِلَى كلِّ شيءٍ فِي الإِنْتَرْنِت، أَوْ أَشْيَاءِ أَنَا لَا أَعرِفُها، لَكِنْ حَصلَتْ، وَكَثُرَتْ، وَالمَرأَةُ فِي قَعْرِ بَيتِهَا، هَذِه مُصيبَةٌ جِدًّا مَعَ الخُرُوجِ وَالحُرِّيَّةِ فِي التَّنَقُّلِ، حَتَّى وَلَو كَانَتْ فِي بَيتِهَا، فَهِيَ يَأتِيهَا الشَّرُّ بِوَاسِطَةِ هَذِه الوَسَائِلِ، فَعِنْدَ ذَلِك يَكثُرُ الزِّنَا - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -.

اللهُ ﷻ قَالَ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢]. لَا تَقْرَبُوا، لَم يَقُلْ: «لَا تَزْنُوا فَقَط»؛ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟﴾، وَمَعْنَى هَذَا: النَّهيُ عَن الوَسَائِلِ الَّتِي تُوَصِّلُ إِلَى الزِّنَا؛ مِن الاختِلَاطِ، مِن التَّبرُّجِ، مِن إِعطَاءِ المَرأَةِ الحُرِّيَّةَ

كيْفَ تَشَاءُ، هَذِه وَسَائِلُ، «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَومٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»[1].

يَقُولُون: لِمَاذَا لَيْسَت مَحَلَّ ثِقَةٍ؟ لمَاذَا لَا تَثِقُونَ بِالمَرأَةِ، وَتَتَّهِمُونَها، وَتَقُولُون: تَحتَاجُ إِلَى مَحرمٍ، هِيَ بِهَا ثِقَةٌ، وبِهَا حُرّيةٌ تُسَافِرُ بِدُونِ مَحرَمٍ؟ يُرِيدُونَ أَنْ يَأتُوا بِكُلِّ الوَسَائِلِ الّتِي تُفْضِي إِلَى الزِّنَا، يُطلِقُونَها وَيُنَادُونَ بِأنَّ قَاعِدةَ سَدِّ الذَّرَائعِ هَذِه لَيْسَ لَهَا أَصلٌ، وَلَا تَصلُحُ، وأنّها كَبْتٌ لِلحُرِّيَّاتِ، يقولون لَيسَ هُنَاكَ قَاعِدةٌ لِسَدِّ الذَّرَائعِ - الّتِي أَجمَعَ علَيْها العُلمَاءُ، ودَلَّ عَلَيْهَا الكِتَابُ وَالسّنَّةُ -، يَقُولُون: لَا، أَطلِقُوا الوَسَائلَ، اتْرُكُوا الوَسَائِلَ مُطلَقَةً لِلزِّنَا؛ تُعطَى المَرأَةُ كلَّ شَيءٍ.

عِندَ ذَلِك يَحصُلُ الزِّنَا - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -؛ لِأَنَّه إِذَا وَفِّرت وَسائِلُ الزِّنَا، وَقَعَ الزِّنَا بِلَا شَكٍّ.

قَولُه ﷺ: «**وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ**»: هَذَا مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ، وَهَذا - وَاللهُ أَعلَمُ - لِأَنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِلأَخْطَارِ وَالحُرُوبِ، تَأكُلُهُم الحُروبُ، أَمَّا النِّسَاءُ، فَلَا تُقَاتِلُ، وَلَا تُشَارِكُ فِي المَعَارِكِ، لَا تَقدِرُ، وَلَا تستَطِيعُ فَيُقتَلُ الرِّجَالُ بِكَثْرَةٍ، والنِّسَاءُ لَا تُقتَلُ؛ فتَكثُرُ عِندَ ذَلِك.

قَولُه ﷺ: «**حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ**»، حتَّى يَكُونَ خَمْسُونَ امْرَأةً لَيْس لَهُنَّ إِلَّا رَجلٌ وَاحِدٌ يقُومُ عَلَيْهِنّ؛ مِن قِلّةِ الرِّجَالِ وَكثْرةِ النِّسَاءِ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٣٣٩).

وَلِمُسلِم: عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ، ثُمَّ لَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً، يَلُذْنَ بِهِ، مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ»[1].[٣٦]

إمَّا - وَاللهُ أَعلَمُ - لِأنَّ نُمُوَّ النساءِ يَكُونُ أَكثرَ، والوِلَادةُ لِلنِّسَاءِ تَكُونُ أكثَرَ، وإمَّا لأنَّ الرِّجَالَ يَتعَرَّضُونَ لِلأَخْطَارِ، وَهُم أَكثَرُ تَعرُّضًا لِلأخْطَارِ مِن النِّسَاءِ، وَيُقتَلُون فِي الحَوَادثِ، وفِي المصَانِعِ، هُم أَكثَرُ مَن يَتعَرَّضُ لِلخَطَرِ وَالحرُوبِ وَالأسْفَارِ؛ فَهُم أَكثَرُ تَعرُّضًا لِلخَطرِ مِن النِّسَاءِ، هَذَا مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ؛ كَثْرَةُ النِّسَاءِ وَقِلَّةُ الرِّجَالِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٣٦] وَهَذَا الحَدِيثُ مِثلُ الأَحَادِيثِ السَّابقَةِ فِيهِ مَسأَلَتَانِ:

الأُولَى: كثْرَة المَالِ، فَيْضُ المَالِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، بِحَيثُ إنَّ الرَّجُلَ يُخرِجُ زَكَاته مِن الذَّهَبِ، وَلَا يَجِدُ مَن يَأخُذُهَا؛ لِأنَّ المَالَ فَاضَ عَلَى النَّاسِ، وَلَيْسَتْ هُنَاكَ حَاجَةٌ إلَى أَخذِ الزَّكَاةِ.

والمَالُ فِتنَةٌ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، فكَثْرَتُه مِن الفِتَنِ الَّتِي تَحْصُلُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ.

والمَسأَلَةُ الثَّانِيةُ - كمَا سبَقَ - : كثْرَةُ النِّسَاءِ وَقِلَّةُ الرِّجَالِ، وَهَذِه - أَيضًا - فِتنَةٌ.

والسَّببُ فِي قِلّةِ الرِّجَالِ - وَاللهُ أَعلَمُ - أَنَّ الرِّجَالَ يَتَعرَّضُونَ لِقَتلٍ، لِمَجَازِرَ؛ أَنَّهُم يُوَاجِهُونَ الحُرُوبَ، وَكَذلِكَ يتَعرَّضُونَ لِلأَسْفَارِ،

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٠١٢).

وَلِلبُخَارِي عَنِ ابْنِ عَمْرٍو ﷺ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ العِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ العُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ»(١). [٣٧]

فَالقَتلُ فِيهِم أَكثَرُ، ولِذَلِك يَقِلُّ عَدَدُهُم، وتَكثُرُ النِّسَاءُ؛ لِأَنَّ النِّسَاءَ فِي الغَالِبِ لَا تَتعرَّضُ لِخَطرٍ؛ لَا تُسَافِرُ، ولَا تُقَاتِلُ، ولَا تَحتَرِفُ، إنَّما هِيَ فِي بُيُوتٍ مَقفُولَةٍ.

لَكنْ يَأتِي وَقتٌ يَقِلُّ الرِّجَالُ، وَتَكثُرُ النِّسَاءُ، وَتَحتَاجُ النِّسَاءُ إِلَى مَن يَعُولُهَا؛ لِأَنَّ المَرأَةَ تَحْتَاجُ إِلَى مَن يَعُولُها، ولَا تَستَقِلُّ بِنَفسِها اسْتِقْلَالًا تَامًّا، فَيكُونُ العَددُ مِن النِّسَاءِ يَلُذْنَ بِرَجلٍ وَاحِدٍ؛ يَقُومُ بِكَفَالَتِهِنَّ، وَتَوَلِّي شُؤُونِهِنَّ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٣٧] كَذَلِكَ مِن الفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَبضُ العِلمِ، وَقَبضُ العِلمِ لَيْسَ بِرَفعِ العِلمِ نَفسِهِ، ولَكنْ بِقَبضِ العُلَمَاءِ؛ يُقبَضُونَ بِعِلمِهِم، حَتَّى يَقِلُّوا، أَوْ لَا يُوجَدُ مِنهُم أَحدٌ.

والنَّاسُ بِحَاجَةٍ إِلَى مَن يُفتِيهِم، أَيْنَ يَذهَبُون؟ يَذْهَبُون إِلَى جُهَّالٍ، وإِنْ كَانُوا يَحفَظُونَ وَمُتَعَالِمِينَ وَيَقْرَؤُونَ، هَذَا لَا يَكفِي؛ لَيْسَ عِنْدَهُم فِقهٌ وَفَهمٌ وَتَأصِيلٌ لِلعِلمِ، لَم يَأخُذُوهُ عَن العُلَمَاءِ، أَخَذُوهُ مِن القِرَاءَةِ وَمِن الكتُبِ، وَهُم لَا يَفْهَمُون المَقْصُودَ بِهِ، يَفهَمُون خَطأً؛ فَيُفتُونَ بِغَيرِ عِلمٍ.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٧٣٠٧).

وَلِأَبِي دَاوُدَ عَنْ سَلَامَةَ بِنْتِ الْحُرِّ، أُخْتِ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ الْفَزَارِيِّ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَتَدَافَعَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ لَا يَجِدُونَ إِمَامًا يُصَلِّي بِهِمْ»(١).[٣٨]

مَا الَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَى هَذَا؟ أَنَّهُم يَضِلّون هُم فِي أَنفُسِهِم، يَضِيعُونَ، وَيُضِلُّونَ غيرَهم، يُضَيِّعُونَ النَّاسَ، يُفْتُونَ بِجَهلٍ؛ الفَتْوَى يُشترَطُ لَهَا العِلمُ، وَيُشترَطُ لهَا التَّقْوَى والوَرَعُ، هَذَا يُفقَدُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَوْ يَقِلُّ، وَهَذَا ظَاهِرٌ، هَذَا شَيءٌ ظَاهِرٌ، الآنَ العُلَمَاءُ الفُقَهَاءُ فِيهِم نُدرَةٌ، وأَمَّا القُرَّاءُ، فَهُم كَثِيرُونَ، والمُثَقَّفُونَ كَثِيرُونَ، وَمَا يُسمُّونَهم بِالمُفَكِّرِينَ كَثِيرُونَ، لَكِنْ لَيْسَ عِندَهُم فِقهٌ فِي دِينِ اللهِ، **فَالفِقهُ**: هُو مَعرِفَةُ الأَحكَامِ الشَّرعِيَّةِ مِن أَدِلَّتِهَا التَّفْصِيلِيَّةِ، لَيْسَ عِندَهُم الاسْتِعْدَادُ هَذَا.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[٣٨] وَهَذَا - أَيْضًا - مِن فُرُوعِ قِلَّةِ العِلمِ، حَتَّى إِنَّ المُصلِّينَ فِي المَسجِدِ لَا يَجِدُونَ مَن يَؤُمّهُم؛ لِقِلّةِ القُرَّاءِ الَّذِينَ يُتقِنُونَ القِرَاءةَ، يَقِلُّونَ - أَيضًا - فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَهَذِهِ فِتنَةٌ وَشَرٌّ.

وَلَكِنْ - الحَمدُ للهِ - الآنَ تَحفِيظُ القُرآنِ مُتَوَفِّرٌ، والقُرَّاءُ مُتَوَفِّرُونَ - وَللهِ الحَمدُ -، وهَذِه عَلامَةُ خَيرٍ، لَكِنْ يَأتِي وَقتٌ يُفْقَدُونَ، وَلن تُوجَدُ عِنَايَةٌ بِتَدرِيسِ القُرآنِ وَحِفْظِ القُرآنِ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٥٨١).

وروى يَزِيدُ بن هَارُونَ عن عَبْد الْمَلك بن قُدَامَة عن المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»(١).[٣٩]

---

[٣٩] كَذَلِكَ يَأْتِي زَمَانٌ خدَّاع، يُخَوَّنُ فِيهِ الأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهِ الْخَائِنُ؛ وَذَلِكَ لِغَلَبَةِ الْهَوَى وَقِلَّة الدِّينِ؛ فَالْأَمِينُ الَّذِي يَقُول الْحَقَّ يُخَوَّنُ، وَيُقَال: إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَهُ، هَذَا لَا يَصْلُحُ، ولا يَحْسُن، وَيُكَذَّب. إِلَى غَير ذَلِك.

الْآنَ تَرَوْنَ مَاذَا يَقُوْل الصَّحَفِيُّونَ فِي أَهْل الْعِلْم؟! حَتَّى تَنَاوَلُوا الْعُلَمَاء الأَمْوَات، يَتَكَلَّمُونَ فِيهِمْ، يتَّهِمُونَهم، وَيُعَظِّمُونَ مِنْ شَأْنِ الْجُهَّالِ، وأنهم مُفَكِّرُون، وأنَّهم هُمْ الَّذِينَ يُدْرِكُونَ الْأُمُور، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فمُغفَّلُون، ولا يُدْرِكُونَ الْأُمُورَ، ولا يَفْهَمُونَ فِقْهَ الْوَاقِعِ - هَذِهِ ظَهَرَتْ الْآنَ -، فِقْه الْوَاقِع لَا يَفْهَمُونَهُ! الْعُلَمَاء لَا يَفْهَمُونَ فِقْه الْوَاقِعِ! إِنَّمَا يَفْهَمُهُ الْمُفَكِّرُون وَالْكُتَّابُ وَالْقُرَّاء، هُمْ الَّذِينَ يَفْهَمُونَ فِقْهَ الْوَاقِعِ، هَذِهِ ظَاهِرَة الْآنَ لَا تَخْفَى.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»؛ الرُّوَيْبِضَةُ: تَصْغِيرُ رَابِضَة؛ مِثْل: الرَّابِضةِ مِن الْغَنَم. سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: وما الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: **«الرَّجُلُ التَّافِه فِي أَمْر الْعَامَّةِ»**، الْأُمُور الْعَامَّة تُسْنَدُ إِلَى أَهْل الْعِلْم وَأَهل الْإِدْرَاكِ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ

---

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٤٠٣٦).

وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [النساء: ٨٣]، أُولُو الأَمْر هُمْ الْعُلَمَاءِ، وكذلك الْوُلَاة.

فَالْعُلَمَاء يَتَوَلَّوْنَ أُمُورَ الْعِلْمِ، وَالْوُلَاةُ يَتَوَلَّوْنَ أُمُورَ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِير، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُسْنَدُ إِلَيهِم الأَمْرُ: الْعُلَمَاءُ وَالْأُمَرَاءُ؛ الْعُلَمَاء يُسْنَدُ إِلَيْهِمْ أَمْر الْعِلْمِ والفتْوَى، وَالْأُمَرَاءُ والسَّاسةُ تُسْنَدُ إِلَيْهِمْ أُمُورُ السِّيَاسَةِ؛ لأَنَّهُمْ أَدْرَى بِهَا وَأَعْرَف.

يَأْتِي نَاسٌ لَيْسَ مَعَهُم شَيْء -لَا مِن الْعُلَمَاءِ، ولا مِنْ وُلَاةِ الْأُمُورِ-، وَلَيْسَوا مَعْرُوفِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي قضَايا النَّاسِ الْعَامَّةِ؛ إِذَا حَدَثَتْ نَازِلَةٌ، تَبَادَرُوا فِي تَحْلِيلِهَا وَبَيَانِ حُكْمِهَا، وَهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ، هَذَا وَاضِحٌ الْآنَ.

الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ الْكَلَام فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ وَالْقَضَايَا النَّازِلَةِ، مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْم، فَتَضِيعُ الْأُمُور بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ.

الْأُمُور الْعَامَّةُ وَالْقَضَايَا الْعَامَّة هَذِهِ تُسْنَدُ إِلَى الْجِهَاتِ الْمُخْتَصَّةِ، مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَهَل السِّيَاسَةِ، ولا يَتَوَلَّاهَا أَفْرَادُ النَّاسِ وَيَتَكَلَّمُونَ فِيهَا.

هَذَا شَيْءٌ ظَاهِرٌ؛ الْآنَ مِن الرُّوَيْبِضَاتِ كَثِيرٌ يَتَكَلَّمُونَ فِي أُمُور عَظِيمَةٍ، وَأُمُورٍ لَوْ حَدَثَتْ فِي عَهْدِ عُمَرَ ﷺ، لجَمعَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ ﷺ لَهَا، الْآنَ فورًا أَيُّ وَاحِدٍ يَبُتُّ فِيهَا، وَيَتَكَلَّم فِيهَا، وَيُفْتِي فِيهَا، هَذَا ضَيَاعٌ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّة إِلَّا بِاللَّهِ!

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

وفي حَدِيثِ جِبْرِيل: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].[٤٠]

---

[٤٠] حَدِيث جِبْرِيل عليه السلام هَذَا مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ عَنْ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: «**بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ**»[٢]؛ يَعْنِي: مَظْهرٌ جَمِيلٌ.

قَوْلُهُ رضي الله عنه: «**لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ**»: لأَنَّ ثِيَابه بِيض، الْمُسَافِرُ يَصِيرُ رَثَّ الثِّيَابِ.

قَوْلُهُ رضي الله عنه: «**ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ**»[٣]: الْعَادَةُ أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ يُعْرَفُونَ، فَهَذَا لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ، مِنْ أَيْنَ جَاءَ؟ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَعَرَفُوهُ، ولو كَانَ جَاءَ منْ سَفَرٍ لَظَهَرَ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، غَرِيبٌ هَذَا !!

قَوْلُهُ رضي الله عنه: «**حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، ووضع كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ**»[٤]، هَذَا مِنْ آدَاب طَالِبِ الْعِلْمِ أَمَامَ الْمُعَلِّمِ والمَسْؤُولِ أَنَّهُ يَتَأَدَّبُ فِي الْجُلُوسِ إِلَيْهِ، وَهْوَ يُعلِّمُ الصَّحَابَة رضي الله عنهم بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، يُعلِّمُ الصَّحَابَة رضي الله عنهم كَيْف يَجْلِسُونَ مَعَ الْمُعَلِّم.

قَوْلُهُ رضي الله عنه: وَقَال: «**يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟**» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»[٥]؛ أَرْكَانُ الإِسْلَامِ عَدَّهَا.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٨).
(٢) أخرجه: مسلم رقم (٨).
(٣) أخرجه: مسلم رقم (٨).
(٤) أخرجه: مسلم رقم (٨).
(٥) أخرجه: مسلم رقم (٨).

قَوْلُهُ ﷺ: «قَالَ: صَدَقْت، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ!»(١)، وهذه عَجِيبَةٌ، هَذِهِ عَجِيبَةٌ ثَانِيَةٌ أَوْ ثَالِثَةٌ؛ كَيْف أَنَّهُ يَسْأَلُ، ثُمَّ يَقُوْل: «**صَدَقْتَ**»؟!. الْعَادَة أن الَّذِي يَسْأَلُ يَكُون جَاهِلًا، هَذَا عِنْدَهُ عِلْمٌ، يَقولُ: «**صَدَقْتَ**».

قَولُهُ ﷺ: «قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَن الإِيمَانِ»، قَالَ: «**أن تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، واليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهُ وَشَرِّهِ**»(٢). قَالَ: «**صَدَقْتَ**». قَالَ: «**فَأَخْبِرْنِي عَن الإِحْسَانِ**»، قَالَ: «**أن تَعبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(٣)؛ يَعْنِي: يَكُون عِنْدَك يَقِينٌ بِاَللَّهِ ﷻ، وَمَعْرِفَةٌ بِاَللَّهِ.

قَولُهُ ﷺ: «كَأَنَّكَ تَرَاهُ»، مَعَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا، لَكِنْ بِمُوجِبِ مَا بَلَغَك مِن الْعِلْم وَالنُّصُوصِ مِن الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ تَيَقَّنت كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّك تَعبدُهُ عَلَى أَنَّهُ يَرَاكَ، إِذَا لَمْ تَصِل إِلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ؛ مَرْتَبَةُ أَنَّك تَرَى اللَّهَ؛ مِنْ قُوَّة الْإِيمَانِ تَعلَمُ أَنَّهُ يَرَاكَ، تَخَافُ مِنْهُ، وتُرَاقِبُهُ.

ثُمَّ سَأَلَهُ، فَقَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَن السَّاعَةِ»(٤)، هَذِهِ مُشْكِلَة؛ السَّاعَةِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّه، لَا يَعرِفُهَا الرَّسُول ﷺ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٨).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٨).

(٣) أخرجه: مسلم رقم (٨).

(٤) أخرجه: مسلم رقم (٨).

قَالَ ﷺ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِن السَّائِلِ»(١)؛ أَنَا وَأَنْت سَوَاءٌ، لَا الْمَلَائِكَةُ ولا الرُّسُل يَعْلَمُونَ مَتَى تَقُومُ السَّاعَة؛ فَهَذَا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّه.

قَالَ ﷺ: «مَا الْمَسْئُولُ»، وَهْوَ مُحَمَّد ﷺ **«بأعلمَ مِن السَّائِلِ»**، وَهُوَ جِبْرِيلُ عليه السلام.

«قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا»(٢)؛ الْعَلَامَات الَّتِي تَدُلُّ عَلَى وُقُوعهَا؛ أَشْرَاط السَّاعَةِ. **ذكر ﷺ أمرَيْن:**

الأَمْرُ الْأَوَّل: «أَنْ تَلِدَ الْأَمةُ رَبَّتَهَا»(٣)؛ سَيِّدَتها، يَعْنِي: مَالِكَتهَا، هَل الْبِنْتُ تَمْلِك الأُمَّ؟! هَذَا يَحدُثُ فِي آخرِ الزَّمانِ، ومَا مَعْنَاه؟ قَيْلَ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَكْثُرُ الْعُقُوقُ؛ حَتَّى تَكُون الْبِنْتُ كأنَّها سَيِّدَةٌ لِلْأُمِّ؛ مِن الْعُقُوقِ وَالتَّكَبُّرِ عَلَيْهَا، وَالْآن وَاضِحٌ الْعُقُوقُ وَالتَّكَبُّرُ؛ الْوَلَد عَلَى وَالِدِه؛ كأنَّه سَيِّد لَهُ يَمْلِكُهُ. وَقِيلَ: إِنَّهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ؛ أن الْأَمَةَ - الَّتِي هِيَ مَمْلُوكَة - تَلِدُ رَبَّتَهَا، فتَمْلِكُ المَولُودةُ أُمَّها؛ **«أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا»**؛ أَنْ يَكْثُرُ التَّسَرِّي فِي آخرِ الزَّمَانِ، فَتَلِدُ السَّبِيئَةُ بِنْتًا مِن الْسَّيِّدِ، الْبِنْتُ حُرَّةٌ؛ لأَنَّ الْحُرِّيَّة تَتْبَعُ الْأَب، وَالْأُمُّ رَقِيقَةٌ مَمْلُوكَة، فَهَذَا مَعْنَى **«أَنْ تَلِدَ الْأَمَة رَبَّتَهَا»**.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٨).
(٢) أخرجه: مسلم رقم (٨).
(٣) أخرجه: مسلم رقم (٨).

فَلَمَّا انْتَهَى، قَام، وَخرَجَ، قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**أُطْلُبُوا!**» خَرَجُوا يَلْتَمِسُونَهُ، فَلَمْ يَجِدُوا أحدًا، وهذه الْغَرِيبَة الْعَجِيبَة - أيضًا - فِي هَذَا الرَّجُل، خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِمْ، أَيْنَ ذَهَبَ؟ لَمْ يَجِدُوا أحدًا.

قَالَ الرَّسولُ ﷺ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُم يُعَلِّمُكُم دِينَكُمْ»[1]؛ جِبْرِيلُ عليه السلام. وَالْمَلَائِكَة تتصَوَّر بِصوَرِ الْآدَمِيِّين، لَا تَأْتِي بِصُوَرِهَا الْحَقِيقِيَّةِ؛ لأَنَّهُ لَا يطِيقُ الْبَشَرُ النَّظَرَ إِلَيْهَا، لَوْ جَاءَ مَلَكٌ فِي صُورَتِهِ الْحَقِيقِيةِ، يرتَعِبُ الْبَشَرُ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَيَأْتِي بِصُورَةِ رَجُلٍ، لَا يَسْتغْرِبُهُ النَّاسُ، يُكَلِّمُهُمْ ويكلِّمونَه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]، لَا يَسْتَطِيعُ الْبَشَرُ أَنْ يُخَاطِبُوا الْمَلَائِكَة، ولَا أَنْ يَجْلِسُوا مَعَهُمْ، حَتَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَرَ جِبْرِيلَ عليه السلام إِلَّا مَرَّتَيْنِ عَلَى خِلْقَتِهِ، **رَآهُ مَرَّتَيْنِ**:

الْمَرَّةُ الأُولَى: فِي بَطْحَاءِ مَكَّة، لَمَّا اشْتَدَّ الأَمْرُ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَّجِهُ، سَمِعَ صَوتًا مِنْ فَوْق، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا جِبْرِيل عليه السلام قَدْ سَدَّ الْأُفُق، مَلَأَ الْأُفُقَ بِأَجْنِحَتِهِ وَخِلْقَتِهِ، فَخَاطَبَهُ، وَقَال: يَا مُحَمَّد! هَذَا مَلَكُ الْجِبَالِ - يَعْنِي: مَعَهُ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالْجِبَالِ -؛ يَسْتَأْذِنُك أن يُطْبِقَ عَلَيْهِم الْأَخْشَبَيْنِ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ - الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ الْمُحِيطَيْنِ بِمَكَّةَ -. قَالَ ﷺ: «**لَا، بَلْ اسْتَأْنِ بِهِمْ؛ لَعَلَّ اللَّه أن يُخْرِج مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ**»[2]، هَذَا حِلْم الرَّسُولِ ﷺ، هَذِهِ مَرَّة.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٨).

(٢) أخرجه: البخاري رقم (٣٢٣١)، ومسلم رقم (١٧٩٥).

المَرَّةُ الثَّانِيةُ: رَآهُ عِنْدَ سِدرَةِ المُنْتَهَى لَيلَةَ المِعرَاجِ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣].

الأُولَى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، هَذِه الأُولَى.

الثَّانِيةُ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣- ١٤]، لَمَّا عُرِجَ بِالرَّسُولِ ﷺ صَحِبَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، ورآه عَلَى خِلْقَتِهِ[1].

❁ فهذا الحَديث يَدُلُّ عَلَى مَسَائلَ عَظِيمةٍ:

المَسْأَلَةُ الأُولَى: التَّعْلِيمُ بِطَرِيقَة السُّؤَالِ وَالْجَوَاب: هَذِهِ طَرِيقَةٌ عَجِيبَة مُفِيدَةٌ؛ يُلْقَى السُّؤَالُ عَلَى الطَّالِبِ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ أن يُجِيبَ، فَيُجِيبَهُ الْمُعَلِّمُ؛ حَتَّى يَسْتَقِرَّ الْجَوَابُ عِنْدَهُ، وَيَكُون مُهَيَّأً لِلْقَبُولِ؛ كَمَا حَصَلَ مِنْ جِبْرِيلَ عليه السلام مَعَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم. قال: «**يُعَلِّمُكُم دِينَكُم**»، كَيفَ يُعَلِّمُهُم؟ عَن طَرِيقةِ السُّؤالِ وَالجَوابِ.

المَسْأَلَةُ الثَّانِيةُ: فِيهِ أَنَّ الدِينَ ثَلاثُ مَرَاتِب:

المَرْتَبَةُ الأُولَى: الإِسْلَام، هَذِهِ أَوْسَعُ، ثُمَّ بَعْدَهَا الْإِيمَانُ، ثُمَّ بَعْدَهَا الْإِحْسَانُ، وهذِهِ أَعْلَى مَرَتبَةٍ، فَأَعْلَى مَرَتبَةٍ الْإِحْسَانُ.

المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ المَسْؤُولَ إِذَا كَانَ لَيسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ، لَا يَتَخَرَّصُ، بَلْ يَقُوْلَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، أَوْ اللَّهُ أَعْلَمُ. ولا يَدْخُلُ فِي شَيْءٍ، وَهْوَ لَا يَعْرِفُهُ، بَلْ يَتَوَقَّفُ.

الْآنَ لَا، إِذَا سُئِلَ الْوَاحِدُ، مِنْ فَوْرِهِ يُجِيبُ، سَوَاءٌ كَانَ صَحِيحًا أَوْ غَيرَ صَحِيحٍ، لَا يَتَوَرَّعُ أَوْ يَخَافُ أَنْ يَقُوْل: لَا أَدْرِي.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٤٨٥٥)، ومسلم رقم (١٧٧).

الشَّاهِدُ مِنهُ: أنَّه ذَكَرَ ﷺ مِن علَامَاتِ السَّاعةِ هَاتَيْن العَلَامَتَيْن:

«**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا**»؛ عَرَفْنَاها.

«**وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، يَعْنِي البَدْو، **الْبَدْوُ**: الأَعْرَاب الَّذِينَ يَنْتَقِلُونَ، وَبُيُوتُهم مِن الشَّعْرِ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَتمَدَّنُون، يَسْكُنُونَ الْمُدُنَ، وَيَتْرُكُونَ البَادِيَة، يَصِيرُ لَهُمْ أَمْوَالًا، وَيَبْنُونَ عِمَارَاتٍ.

«**يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، هَذَا بَنَى عِشْرِينَ دَوْرًا، وثَلَاثِين دَوْرًا، وَأَكْثَر، هَذَا مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ، وَهَذَا وَقع الْآنَ؛ كَمَا تَرَوْنَ.

✽ ✽ ✽ ✽ ✽

وَلِلتِّرْمِذِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا فَعَلَتْ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ بِهَا البَلَاءُ» فَقِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا كَانَ المَغْنَمُ دُوَلًا، وَالأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ، وَجَفَا أَبَاهُ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ فِي المَسَاجِدِ، وَكَانَ زَعِيمُ القَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَشُرِبَتِ الخُمُورُ، وَلُبِسَ الحَرِيرُ، وَاتُّخِذَتِ القَيْنَاتُ وَالمَعَازِفُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ أَوْ خَسْفًا وَمَسْخًا».

وقَالَ: غَرِيبٌ، وفِي إِسنَادِه: فَرَجُ بن فُضَالَةَ، ضُعِّفَ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ، وأَخْرَجَهُ من حديث أَبِي هرَيْرَةَ ﷺ أيضًا، وقالَ: غَرِيبٌ، لَا نَعرِفُه إِلَّا مِن هَذَا الوَجهِ[1].[٤١]

---

[٤١] قولُهُ ﷺ: «إِذَا كَانَ الْمَغْنَمُ دُوَلًا»؛ الْمَغْنَم الَّذِي هُوَ بَيْتُ الْمَالِ يَعْنِي: «دُوَلًا»؛ يَعْنِي: يَتَنازَعُونَه، وَيَأْكُلُونَهُ، وَيَأْخُذُونَهُ بِدُونِ اسْتِحْقَاق، وَبِدُونِ إِذْنِ وَلِيِّ الأَمْر، يَأْخُذُونَهُ بِالْخِيَانَةِ وَالسَّرِقَة وَالْحِيَلِ، ولا يَخافُونَ اللَّه ﷻ: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

وَالْآن يتسابقون إِلَى النَّهْبِ، مِنَ الْمَالِ الْعَامِّ، هَذَا لَيْسَ بِحَلَالٍ لَك، لَا يَحِلُّ لَك إِلَّا مُقَابِلَ عَمَلِك - إن كُنْت مُوَظَّفًا -، أَوْ الَّذِي يُعْطِيك إِيَّاهُ وَلِيُّ الأَمْر، وَلِيُّ الأَمْر إِذَا أَعْطَاكَ شَيْئًا، صَحَّ أن تَأْخُذَهُ، وَحَلَّ لَكَ، أَمَّا أَنْ تَخُونَ، وَتَخْتَلِسَ، وتَحْتَالَ، هَذَا لَا يَجُوزُ.

---

(١) أخرجه: الترمذي رقم (٢٢١٠).

قَوْلُهُ ﷺ: «وَالْأَمَانَةُ مَغْنَمًا»؛ الإِنْسَانُ إِذَا تَوَلَّى العَمَلَ، لَا يَتَوَلَّاهُ لِيُؤَدِّيَ الْعَمَلَ، يُؤَدِّيه لِأَجْلِ أن يَأْكُل مِنْ وَرَائِه، يَحْتَالُ منْ وَرَائِه، مَعَ أن الْوَظِيفَةَ أَمَانَةٌ، لَا بُدّ أنْ تَقُومَ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ، ولا تَتَّخِذهَا لِاستِنْزَافِ الْأَمْوَالِ، لَا يَحِلُّ لَك إِلَّا مُرَتَّبُك الْمُخَصَّصُ. لَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَفْرَح إِذَا توَظَّفَ؛ مِنْ أَجْلِ أن يَنْهَبَ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ وَمِنْ أَمْوَالِ الدَّوْلَةِ.

أَوْ إِذَا أُوْدِعَ شيئًا، أَمَانَةً وَدِيعَةً، يَفْرَحُ بِهَا مِنْ أَجلِ أن يَسْتَغِلَّهَا، مَعَ أنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النِّسَاء: ٥٨]، فَالْأَمَانَةُ وَالْوَدِيعَةُ هَذِهِ لَا شَكَّ أَنَّهَا تَحمِيلُ مسؤُوليةٍ، لَيْسَتْ طَمَعًا، لَا تَأْخُذْهَا طَمَعًا، بَلْ تَأْخُذُهَا لِتَحفظهَا، وَلِتَرُدَّها عَلَى صَاحِبِهَا إِذَا طَلَبهَا، أَمَّا أَنَّك تَأْخُذُهَا، وَتُمَوَّلُهَا مِثْلَ مَالِك، وتتَسَاهلُ فِيهَا، فَهَذَا لَا يَجُوزُ.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا»، الزَّكَاةُ قُرْبَة وَطَاعَةٌ إِلَى اللَّهِ ﷿، وَهْيَ زَكَاةٌ بِمَعْنَى أَنَّهَا تُطَهِّر الْمَالَ، وَتُطَهِّر الْمُزَكِّي: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]؛ فَهِيَ طُهْرَةٌ لِلْمَالِ، وَطُهْرَة لِلْمُزَكِّي، وتُؤَدِّيها عَلَى أَنَّهَا عِبَادَةٌ؛ تَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ، هِيَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَام، هِيَ الرُّكْن الثَّالِثُ وَقَرِينَة الصَّلَاةِ.

فَالْمُؤْمِنُ يُؤَدِّيهَا بِهَذِهِ الشُّرُوطِ: عَلَى أَنَّها عِبَادَةٌ وَطَاعَةٌ، يَقْصِدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، وَيَقْصِدُ بِهَا مَا يَحْصُلُ منْ آثَار الزَّكَاةِ مِن الْخَيْرِ.

أَمَّا الْمُنَافِق، فَهُوَ يُؤَدِّيهَا عَلَى أَنَّهَا ضَرِيبَةٌ، عَلَى أَنَّهَا مَغْرَمٌ: ﴿مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ [التَّوْبَة: ٩٨]، هَذَا الْمُنَافِقُ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ!

قَوْلُهُ ﷺ: «وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ»، وهذه الْمُشْكِلَةُ: أَطَاعَ زَوْجَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ، العَكْسُ هُوَ الوَاجِبُ؛ أن يُطِيعَ أُمَّهُ، وَأَنْ يَعُقَّ زَوْجَتَهَ، إِذَا اخْتَلَفَتْ مَعَ أُمِّه، لَا يُقَدِّمُ زَوْجَتَهُ عَلَى أُمِّهِ، يُرْضِي زَوْجَتَهُ، وَيُغْضِبُ أُمَّهُ، لَا يَجُوزُ هَذَا! هَذَا يَكْثُرُ فِي آخرِ الزَّمَانِ؛ أَنَّهُمْ يُطِيعُونَ زَوْجَاتَهُمْ، وَيَعْصُونَ أُمَّهَاتَهُم.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَبَرَّ صَدِيقَهُ، وَجَفَا أَبَاهُ»، أَوْ بَرّ صَدِيقَهُ - رَفِيقَهُ -، وَجَفَا أَبَاهُ، تَجِدُهُ لَا يَسْتَرِيحُ، ولَا يَنْبَسِطُ إِلَّا مَعَ صَدِيقِه، وَأَمَّا إِذَا جَاءَ عِنْدَ أَبِيهِ، عَبَسَ، وَقَتَر، وَتَكَلَّمَ بِالْكَلَامِ الْقَاسِي مَعَ أَبِيهِ، لَكِنْ مَعَ صَدِيقِه يَنْبَسِطُ، وَيَفْرَحُ، . . . إِلَى آخِره.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ»، وَارتفعَتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ، الْمَسَاجِدُ يَجِب أن تُحْتَرَمَ؛ لأَنَّهَا بُنِيَتْ لِذِكْرِ اللَّه، تُصَانُ عَنْ إِسَاءَةِ الْأَدَبِ فِيهَا. رَفْع الْأَصْوَاتِ مَا مَعْنَاهُ؟ اللَّه أَعْلَم، لَكِنَّ الَّذِي يَظْهَر لِي - وَاَللَّه أَعْلَمُ - أَنَّهُ المَيْكْرُوفُونَاتُ الَّتِي تُشَوِّشُ عَلَى النَّاسَ، تُشَوِّشُ عَلَى الْمَسَاجِدِ الْأُخْرَى، عَلَى الْبُيُوتِ؛ يَعْنِي: يَرْفَعُ المَيْكْرُوفُونَ، وَالْمَفْرُوضُ أَنَّك تُسْمِعُ الْجَمَاعَةَ الَّتِي وَرَاءَك فَقَطْ، الْمَفْرُوضُ تُسْمِعَ مَنْ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَطْ، أَمَّا أَنَّك تَرْفَعهُ خَارِجَ الْمَسْجِدِ، هَذَا أَذًى لِلنَّاسِ، أَذًى لِلْمَسَاجِدِ، أَذًى لِلنَّائِمِين فِي الْبُيُوتِ وَالْمَرْضَى، لَيْسَ لَهُ دَاعٍ، هَذَا الَّذِي يَظْهَر لِي - وَاَللَّه أَعْلَمَ -.

فَهَذَا حَصَلَ، فِي الْأَوَّلِ لَمْ يَكُنْ موجودًا، لَمْ تُرْفَع الْأَصْوَاتُ، وَلَا يَسْمَعُ الإِمَامَ إِلَّا مَنْ هُمْ فِي الْمَسْجِدِ.

قَوْلُهُ ﷺ: «**وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ**»، «**أَرْذَلَهُمْ**» خبر كَانَ مَنْصُوبٌ؛ لأَنَّ كَانَ تَرْفَعُ الْمُبْتَدَأَ، وَتَنْصِب الْخَبَر.

تَرْفَعُ كَانَ الْمُبْتَدَا اسْمًا وَالْخَبَر تَنْصِبُهُ كَكَانَ سَيِّدًا عُمَرُ

يَقُوْل ابْنُ مَالِكٍ: «كَانَ سَيِّدًا عُمَرُ»، «سَيِّدًا» هَذَا خبرُهَا، عُمَر هَذَا اسْمُهَا.

فَالْأَصْلُ عُمَرُ سَيِّدٌ: مُبْتَدَأٌ وَخَبَر.

قَوْلُهُ ﷺ: «**وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ**»، هَذَا إعْرَابُ الْكَلِمَةِ، أَمَّا مَعْنَاهَا: الْعَادَةُ أَنَّ زَعِيمَ الْقَوْمِ يَكُونُ أَكْرَمَهُمْ وَأَرْفَعَهُمْ رَأْيًا وَنَسَبًا، فتكُون السِّيَادَة فِي الْكِرَام، فِي الرِّجَالِ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ شَهَامَةٌ وَشَجَاعَة ورَأْيٌ، هَذَا الْأَصْل، فِي آخر الزَّمَانِ تَنْعَكِس الْأُمُور؛ مِثْلَمَا سَبَقَ «**يَتَكَلَّم الرُّوَيْبِضَةُ**»، هَذَا الرُّوَيْبِضَةُ يَصِيرُ سَيِّدَ الْقَوْمِ، وَهُوَ أَرْذَلُ الْقَوْمِ، وَهَذِه عَلَامَةُ شَرٍّ؛ لأَنَّهُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالشَّرِّ، الرَّذْلُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالرَّذَالَةِ؛ فَلَا يَصْلُحُ لِلسِّيادةِ.

قَوْلُهُ ﷺ: «**وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ**»، يَصِيرُ الْإِنْسَان يَتَكَلَّمُ، وَيَسُبُّ، ويَغتَابُ، فَيَخَافهُ النَّاسُ، وَيُكْرِمُونَهُ؛ مِنْ أَجَلِ أَنْ يَسْكُتَ، ولا يَتَكَلَّمَ فِيهِمْ ويَغتَابهُم وَيَسُبَّهُمْ.

هَذَا لَا يَجُوزُ؛ أَنَّ يَصِيرَ الإِنْسَانُ سَبَّابًا، يَصِيرُ مُغْتَابًا، يَصِيرُ نمَّامًا، لَا يَجُوزُ هَذَا، لَكِنْ إِذَا حَدَثَ وَوَجَدَ النَّاسُ هذا مَاذَا يَفْعَلُونَ؟ يَكُفُّونَ شَرَّه؛ بِإِعْطَئِهِ مِن الْمَالِ مَا يُسْكِتُهُ، هَذَا منْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ.

قَوْلُهُ ﷺ: «**وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ**»؛ الْمُسْكِرَاتُ، وَأَعْظَمُ مِنْهَا الْمُخَدَّرَاتُ - وَالْعِيَاذ بِاَللَّهِ -، هَذَا مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ؛ وُجُودُ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَلُبِسَ الْحَرِيرُ»، الْحَرِيرُ لَبِسَهُ الرِّجَال، الْحَرِيرُ حَرَامٌ عَلَى الرِّجَالِ، يُبَاحُ لِلنِّسَاءِ، فِي آخر الزَّمَانِ يَلْبسهُ الرِّجَال -وَقَدَ حُرِّمَ عَلَيْهِمْ- بِسَبَبِ ظُهُورِ التَّرَفِ.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَاتُّخِذَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ»، هَذِهِ مُصِيبَةٌ، كَانَ فِي الْأَوَّلَ الَّذِي يَتَّخِذ مُغَنِّيَةً مِنْ فَتَيَاتِه اللَّاتِي يَمْلِكُهَا؛ تَصِيرُ مُغَنِّيَةً عِنْدَهُ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ.

لَكِنَّ الْآنَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى أن تَشْتَرِيَ مُغَنِّيَةً، ضَعْ عِنْدَك رَادْيُو، أَوْ ضَعْ عِنْدَك تِلْفَازًا، فَفِيهِ الْمُغَنِّيَاتِ، وفيه المُطرِبُون، وفيه كَلُّ هَذَا الشَّرِّ.

فِي آخرِ الزَّمَانِ يَظْهَر الْغِنَاءُ وَالطَّرَبُ وَالْمَزَامِيرُ وآلَاتُ اللَّهْوِ، وهَذِه الْآنَ مُتَوَفِّرَةٌ؛ مُسَجِّلَاتٌ، رَادْيُو، تَلفِزيُونَات، فِي الفَضَائِيّاتِ مُتَوَفِّرَةٌ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّة إِلَّا بِاللَّهِ!

قَوْلُهُ ﷺ: «وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا»، لَا يَحْتَرِمُونَ السَّلَفَ الصَّالِحَ مِن الْصَّحَابَةِ ﷺ والتابعين وَأَتْبَاعِهِمْ. الْآنَ يَقُولُونَ: «هُمْ رِجَالٌ، وَنَحْنُ رِجَالٌ»، يَتَكَلَّمُونَ فِي السَّابِقِينَ، ويُجَهِّلُونَهم، ويُخَطِّئونَهُم، حَتَّى الصَّحَابَة لَيْسَ لَهُمْ قيمَة عِنْدَ النَّاس مِنْ الصُّحُفِيِّين وَغَيْرهمْ.

وَأَمَّا الشِّيعَةُ، فَهَذَا شَيْءٌ مَعْرُوفٌ عَدَاوَتُهم لِلصَّحَابَةِ، بَلْ عَدَاوَتُهم لِلرَّسُولِ ﷺ، هَذَا شَيْءٌ مَعْرُوفٌ عَن الشِّيعَةِ؛ يَسُبُّونَ الصَّحَابَة ﷺ، ويَلعَنُونَهم، يَلْعَنُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ﷺ، ويُسَمُّونَهُما: «صَنَمَيْ قُرَيْشٍ»! مَا السَّبَبُ؟ السَّبَبُ: بُغْضُ الصَّحَابَةِ ﷺ، وَبُغْضُ هَذَا الدِّيْنِ؛

إِذْ إِنَّ الصَّحَابَةَ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا لَهُمْ شيئًا، وَلَمْ يَأْخُذُوا مِنْهُمْ شَيئًا، وَلَمْ يُعَاصِرُوهُم، لَكِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يُرِيدُونَ هَذَا الدّينَ، وَالدِّينُ إِنَّمَا ظَهَرَ عَلَى يَدِ الصَّحَابَةِ ﷺ؛ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار ﷺ، الَّذِينَ جَاهَدُوا، وَغَزَوَا، وَفَتَحُوا الْفُتُوحَ، ونَشَرُوا الإِسْلَامَ، هُمْ لَا يُرِيدُونَ الإِسْلَامَ، لِذَلِكَ عَادَو الصَّحَابَةَ ﷺ؛ لِأَجْلِ هَذَا. فَالصَّحَابَةُ ﷺ لَمْ يَأْخُذُوا مِنْهُمْ شَيئًا، وَلَمْ يَظلِمُوهُم، وَلَمْ يُعَاصِرُوهُم.

وكذلك بَعْضُ الرِّعَاعِ مِن الْمُثقَّفِين الَّذِينَ يَجهَلُون السَّلَفَ، وَيُنْكِرُونَهُم، يَقُولُونَ: «السَّلَفُ إِنَّمَا هُمْ مِثْلُ الطَّوَائِفِ الأُخْرَى؛ فِرْقَةٌ مِثل الْفِرَقِ، لَيْسَ لَهَا مَزِيَّةٌ، وَلِيس لَهَا قَدْرٌ».

صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّه ﷺ، وَالتَّابِعُون، وَالْقُرُونُ الْمُفَضَّلَةُ لَيس لَهُمْ قِيمَةٌ؟! يَقُولُونَ: «**هُمْ فِرْقَةٌ مِن الْفِرَقِ**»، أَمَّا أَنَّهُمْ الأَصْلُ، وَهُم الْقُدْوَةُ، يَقُولُونَ: «لَا». وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مِن الشِّيعَةِ، يَكُونُوا مِن الصُّحُفِيِّينَ وَالْكُتَّابِ وَالمُعَلِّقِين، وَالّذِين يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مِن الْمُفكِّرِين والمُثقَّفِين، يَتنقَّصُون السَّلَفَ الصَّالِحَ وَالْعُلَمَاءَ وَالأَئِمَّةَ الأَرْبَعَةَ، هَذِهِ ظَاهِرَةٌ سَيِّئَةٌ.

قَوْلُهُ ﷺ: «**فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ أَوْ خَسْفًا وَمَسْخًا**»، إِذَا حَصَلَتْ هَذِهِ الأُمُورِ، تَأْتِي الْعُقُوبَة: الرِّيحُ الْحَمْرَاءُ، وَالرِّيحُ تَأْتِي بِالْعَذَابِ، وَتَأْتِي بِالرَّحْمَةِ - أيضًا -، لَكِنْ تَأْتِي بِالْعَذَابِ؛ مِثْلَمَا حَصَلَ لِقَوْمِ عَادٍ: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦] - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، هَذِهِ وَاحِدَةٌ، أَنْتُم تَرَوْنَ الْآنَ، وتَسمَعُون الأَعَاصِيرَ، أَلَيْس كَذَلِكَ؟

الْأَعَاصِيرُ الْمُدمِّرَةُ أَلَيْسَتْ رِيحًا هَذِهِ؟! هَذِهِ نَوْعٌ مِن الرِّيحِ - نَسْأَلُ اللَّه الْعَافِيَةَ -، تَهْدِمُ الْمَبَانِي، وَتَقْتَلِعُ الْأَشْجَارَ، وَتَنْسِفُ السَّيَّاراتِ، وَيَحْصُل فِيهَا ضَرَرٌ عَظِيمٌ، وَهْوَ عَاصِفٌ وَاحِدٌ، فَكَيْفَ إِذَا جَاءَتْ رِيحٌ - وَالعِيَاذُ بِاَللَّهِ - ؟! فلْيَنْتَظِرُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا.

قَوْلُهُ ﷺ: «**خَسْفًا**»، الْخَسْفُ: هُوَ انْقِطَاعُ الأَرْضِ، وَغَوْرُ الأَرْضِ بِأَهْلِهَا.

قَوْلُهُ ﷺ: «**وَمَسْخًا**» الْمَسْخُ لِلطِّبَاعِ، وَلَيْسَ الْمَسْخُ لِلصُّوَرِ؛ يَعْنِي: لَا يَتَحَوَّلُ الْإِنْسَان - وَاَللَّه أَعْلَمُ - إِلَى قِرْدٍ، إِنَّمَا تُمْسَخُ طَبِيعَتُهُ، فَتُصْبِحُ طَبِيعَةُ حَيَوَانٍ، وَطَبِيعَةُ قُرُودٍ، كِلَابٍ.

وَقَدْ يُمْسَخُ فِي صُوَرٍ - أيضًا -؛ كَمَا حَصَلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

فَالمَسْخُ يَكُونُ بِأَمْرَيْنِ: إِمَّا بِتَحْوِيلِ الصُّورَةِ إِلَى صُورَةِ قِرْدٍ أَوْ خِنْزِيرٍ، وإِمَّا بِمَسْخِ الطَّبِيعَةِ.

«**وَقَال: غَرِيبٌ وفي إِسْنَادِهِ فَرْجُ بن فَضَالَة ضُعِّفَ مِنْ قِبلِ حِفْظِهِ، وَأَخْرجهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أيضًا، وَقَال: غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْه**»؛ يَعْنِي: مِنْ جِهَةِ سَنَدِهِ، لَكِنْ وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ ضَعِيفًا، فَفِيهِ تَخْوِيفٌ، وَبَعْضُهُ يَشْهَدُ لَهُ الْوَاقِع، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا فِي سَنَدِهِ. فَالْأَحَادِيثُ الضَّعِيفَةُ يُسْتَأْنَسُ بِهَا فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، وَالْوَعْظِ وَالْإِرْشَاد، وَلَكِنْ لَا يُبْنَى عَلَيْهَا حُكْمُ تَحْلِيلٍ أَوْ تَحْرِيم، لَا، إِنَّمَا يَكُون هَذَا فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، أَمَّا الضَّعِيفَة فَلَا يُبْنَى عَلَيْهَا تَحْلِيلٌ أَوْ تَحْرِيم، لَكِنْ يُسْتَأْنَسُ بِهَا فِي التَّذْكِيرِ، وَالتَّرْغِيب، وَالتَّرْهِيب، وَالتَّخْوِيفِ.

وَلِابْنِ مَاجَه عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يُعْزَفُ عَلَى رُءُوسِهِمْ بِالْمَعَازِفِ، وَالْقَيْنَاتِ، يَخْسِفُ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ»(١). [٤٢]

وأيضًا مِنْ وَجْهٍ ثَانٍ قَالُوا: إِنَّهُ غَرِيبٌ.

وَالْغَرِيبُ: هُوَ مَا تَفَرَّدَ بِرِوَايَتِهِ وَاحِدٌ مِنْ أصلِ السَّندِ.

وقَدْ يَكُونُ صَحِيحًا، لَيْسَ غَرِيبًا؛ مِثْل حَدِيثِ جِبْرِيلَ ﷺ، هَذَا لَم يَرْوِهِ إِلَّا عُمَرُ ﷺ؛ فَهُو غَرِيبٌ، لكِنَّه صَحِيحٌ، روَاهُ مُسلِمٌ، كمَا سَبَق.

* * * * *

[٤٢] هَذَا خَبَرٌ مِن النَّبِيِّ ﷺ، **وَمَعنَاه:** التَّحْذِيرُ مِمَّا يَقَعُ.

الْخَمْرُ حَرَامٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ؛ مَنْ اسْتَحَلَّهَا كَفَرَ، وَمَنْ شَرِبَهَا وَلَمْ يَسْتَحِلَّهَا فَإِنَّهُ لَا يَكْفُرُ، وَلَكِنْ يَكُونُ فَاسِقًا؛ فَاعِلًا لَكَبِيرَةٍ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ؛ بِأَنْ يُجلَدَ ثَمَانِينَ جَلْدَةً؛ لِيَتُوبَ إِلَى اللَّهِ ﷻ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيْهِ: أَنَّهُ يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ -وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ- أُنَاسٌ يَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ، وَيَشْرَبُونَهَا، وَيُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا؛ يُسَمُّونَهَا شَرَابًا رُوحِيًّا، يُسَمُّونَهَا «عَرَقًا»، يُسَمُّونَهَا بِأَسْمَاءٍ: «الوِيسْكِي»، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

هَذَا لَا يُخرِجُهَا عَنْ كَوْنِهَا خَمْرًا؛ لأَنَّ الْخَمْرَ: مَا أَسْكَرَ. فَكُلُّ مَا أَسْكَرَ فَهُوَ خَمْرٌ، ولَو سُمِّيَ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَالْأَسْمَاءُ لَا تُغَيِّرُ الْحَقَائِقَ، وَإِنَّمَا هَذِهِ حِيلَةٌ مِنْهُمْ؛ لِيَقُولَ: أَنَا لَمْ أَشْرَبْ خمرًا، أَنَا شَرِبْتُ شَرَابًا

---

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٤٠٢٠).

رُوحِيًّا، شَرِبْتُ شيئًا يُنْعِشُ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَهَذَا لَا يُبَرِّر لَهُمْ شُرْبَ الْخَمْرِ.

الْخَمْرُ حَرَامٌ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المَائِدَة: ٩٠- ٩١]، يَجِبُ الِانْتِهَاءُ عَنِ الخَمْرِ.

كَانُوا فِي أَوَّلِ الإِسْلَام يَشْرَبُونَهَا؛ لأَنَّهَا لَمْ تُحَرَّمْ، فَلَمَّا حُرِّمَتْ وَنَزَلْت الآيَة بِتَحْرِيمِهَا، قَامُوا عَلَى دِنَانِ الْخَمْرِ، وشَقُّوها، وَجَعَلُوهَا تَسِيلُ فِي الطُّرُقَاتِ، بَادرُوا إِلَى إِتْلَافِهَا وإلى الِامْتِنَاعِ عَنْهَا، وهكذا الْمُؤْمِنُ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُه أمرًا، يَجِبُ عَلَيْهِ أن يَمْتَثِلَ، ولا يَتَرَدَّدُ فِي هَذَا.

فَهَؤُلَاءِ فِي آخِر الزَّمَانِ يَأْتُونَ ويَشْرَبُون الْخَمْرَ، وَيُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا؛ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ إِذَا غَيَّرُوا اسْمَهَا، أَنَّهُ يَخْتَلِفُ الْحُكْمُ، والْحُكْمُ لَا يَخْتَلِفُ، فهَذه حِيلَةٌ كَحِيلَةِ الْيَهُودِ.

الْيَهُودُ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ أَشْيَاءَ، فَاحْتَالُوا:

* حَرَّمَ عَلَيْهِمْ الشُّحُومَ، فَجَمَلُوهَا - يَعْنِي: أَذَابُوهَا -، فَبَاعُوهُ وأَكلُوا ثمَنه، يَقُولُونَ: نَحْنُ لَمْ نَسْتَعْمِلِ الشُّحُومَ، اسْتَعْمَلْنَا دِهْنًا. هَذَا لَا يُغَيِّر الْحُكْمَ، لِذَلِكَ لَعَنَهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى هَذِهِ الْحِيلَةِ.

* وَغَيَّرُوا يَوْمَ السَّبْتِ لِصَيْدَ الْحِيتَانِ، فَغَيَّرَ اللَّهُ صُوَرَهمْ، وَمَسَخَهُمْ قِرَدَةً.

كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ إِذَا احْتَالُوا عَلَى الْخَمْرِ، وَسَمُّوْهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، وَشَرِبُوهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ مِنْهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ؛ عُقُوبَةً لَهُمْ.

وَالْأَمْر الثَّانِي: أَنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ الْأَغَانِي، وَالْمَلَاهِي، وَالْقَيْنَاتِ، وَالضَّرْبَ عَلَى رُؤُوسِهم بِالْمَعَازِفِ، وَهَذَا مُحَرَّمٌ - أَيضًا - يَنْضَافُ إِلَى شُرْبِ الْخَمْرِ.

فَلِذَلِكَ يَغْضَبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَيُعَاقِبهُمْ، ويَمْسَخُهم قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ؛ كَمَا غَيَّرُوا حُكْمَ اللَّهِ، غَيَّرَ اللَّه صُوَرَهمْ؛ لأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

وَهَذَا مِنْ أَدِلَّةِ تَحْرِيمِ الْأَغَانِي وَتَحْرِيم الْمَعَازِفِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا وآلَاتِ اللَّهْوِ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ مِن الْمُحْتَالِينَ مِن الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى طَلَب الْعِلْم مَنْ يُبِيحُ الْأَغَانِي، خُصُوصًا الصُّوفِيَّة، ويَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ، يَجْعَلُونَهَا مِن الْعِبَادَةِ، هَذَا أَشَدُّ.

هَذَا الْحَدِيثُ وَأَمْثَالُهُ مِنْ أَدِلَّةِ تَحْرِيمِ الْأَغَانِي وَتَحْرِيمِ آلَاتِ اللَّهْوِ؛ مِنْ مَعَازِفَ وَغَيْرِهَا.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

وللبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي عَامِرٍ بنِ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُوا: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»(١). [٤٣]

---

[٤٣] وَهَذَا مِثْل الْحَدِيث الَّذِي قَبْلَهُ؛ أنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ - مَثَلًا - إِلَى نُزْهَةٍ، «**وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ**»؛ يَعْنِي: إِلَى جَنْبِ جَبَلٍ.

«**يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ**»؛ يَعْنِي: مَعَهُمْ أَغْنَام، أَوْ مَعَهُمْ مواشٍ أَوْ إِبِلٍ، يَنْزِلُونَ بِأَيِّ مَكَان.

قَوْلُهُ ﷺ: «**يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ**»، الحِرَ يَعْنِي: الزِّنَا؛ **الحِرَ**: الفرجُ.

الحَرِير: الحَرِير حَرامٌ لبْسُه عَلَى الرِّجَالِ، يَسْتَحِلُّونَ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ: الْخَمْرَ، والحِرَ - يَعْنِي: الزِّنَا -، وَالْحَرِيرَ، وَالْمَعَازِفَ.

فَقَوْلُهُ ﷺ: «**يَسْتَحِلُّونَ**» هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أن الْمَعَازِفَ حَرَامٌ، وَأَنَّ الْغِنَاءَ حَرَامٌ، وَأَمَّا الْخَمْرُ، فَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَى تَحْرِيمِهِ، لَيْسَ هُنَاكَ خِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أن الْخَمْرَ حَرَامٌ. إِنَّمَا الْمَعَازِفُ وَالْأَغَانِي بَعْض الْمُنْتَسِبِينَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ يُحِلُّونَها، وَهَذَا خَطَأٌ؛ فَالْأَدِلَّةُ تَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِهَا.

مِثْل ابْن حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يُبِيحُ الْغِنَاءَ، وهَذَا غَلَطٌ مِنْهُ.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٥٥٩٠).

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ مَرْفُوعًا: «تَكُونُ فِي أُمَّتِي فَزْعَةٌ، فَيصِيرُ النَّاسُ إِلَى عُلَمَائِهِم، فإِذَا هُمْ قِردَةٌ وَخَنَازِيرُ»[1]. [٤٤]

كَذَلِكَ الْمَعَازِفُ وآلَاتُ اللَّهْوِ، هَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِهَا لِأَمْرَيْنِ:

أَوَّلًا: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**يَسْتَحِلُّونَ**»، وَالِاسْتِحْلَال لَا يَكُون إِلَّا مِنْ شَيْءٍ مُحَرَّم، فَدَلَّ عَلَى أنَّ الْأَغَانِي وَالْمَعَازِفَ حَرَامٌ مِثْلُ الْخَمْرِ.

وَالْأَمْر الثَّانِي: أَنَّهُ قَرَنَهَا مَعَ مُحَرَّمَاتٍ مُجْمَعٍ عَلَى تَحْرِيمِهَا، الْخَمْرُ مُجْمَعٌ عَلَى تَحْرِيمِهَا، الحِرَ مُجْمَعٌ عَلَى تَحْرِيمِهِ، الْحَرِيرُ عَلَى الرِّجَالِ - أيضًا - يَكَادُ يَكُون إِجْمَاعٌ عَلَى تَحْرِيمِهِ، إِلَّا لِلضَّرُورَةِ. فَهَؤُلَاءِ يَسْتَحِلُّونَهَا فِي آخِر الزَّمَانِ، وتَعزِفُ عَلَيْهِمْ الْقَيْنَاتُ عَلَى رُؤُوسِهِم، مَاذَا يَحْصُلُ لَهُمْ؟ يَأْتِي لَهُمْ مَنْ يُرِيدَ مِنْهُمْ حَاجَةً، يَقُولُونَ: تَأْتِينَا غدًا. يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ سَيَسْتَمِرُّونَ، وَيَبْقَوْنَ فِي هَذَا الْمَكَانِ، فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ، بَيَّتَهُم اللَّهُ؛ خَسَفَ الأَرْضَ بِهِمْ، ووَضَعَ الْعَلَمَ - يَعْنِي: الْجَبَلُ انْخَسَفَ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -، إِذَا جَاءَ الَّذِي وَاعَدَهُمْ، لَا يَجِدُهُمْ، يَمسَخُهُم اللَّهُ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْم الْقِيَامَةِ.

هَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ، وَنَهْيٌ أَكِيدٌ، وتَحْذِيرٌ مِن الرَّسُولِ ﷺ مِنْ اسْتِحْلَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ، **وَمِنْهَا**: الْقَيْنَاتُ الْمُغَنِّيَاتُ، وَالْمَعَازِفُ، وآلَاتُ اللَّهْوِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٤٤] يُصِيبُ النَّاسَ خَوْفٌ وَفَزَعٌ فِي آخِر الزَّمَانِ، فَيَذْهَبُونَ إِلَى عُلَمَائِهِمْ؛ لأَنَّ النَّاسَ يَذْهَبُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ عِنْدَ الْحَاجَةِ، فَإِذَا ذهبوا إِلَيْهِمْ، وَجَدُوهُمْ قَدْ مُسِخُوا، الْعُلَمَاءُ مُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، بِسَبَبِ مَاذَا؟ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ اسْتَحَلُّوا مَحَارِمَ اللَّهِ، وَأَفْتَوْا بِجَوَازِهَا.

---

(١) انظر: نوادر الأصول للحكيم الترمذي (٢/ ١٩٦).

هَذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ، وَتَحْذِيرٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أن يَخَافُوا اللَّهَ، وألَّا يَفْتَحُوا لِأَنْفُسِهِمْ - ولِلنَّاسِ - أَبْوَابَ التَّحَايُلِ عَلَى مَحَارِمِ اللَّهِ، والفتَاوَى الْخَاطِئَةَ، وَالْتِمَاسَ الرُّخَصِ الْخَاطِئَةِ.

وعَلَى الْعُلَمَاءِ أن يَحْذَرُوا، وَأَنْ يَأْخُذُوا الْأُمَّةَ لِطَرِيقِ النَّجَاةِ، ولَا يُعِينُوها عَلَى الشَّرِّ بِالْفَتَاوَى الْخَاطِئَةِ، وَاتِّبَاعِ الرُّخَصِ الْخَاطِئَةِ؛ فَالْعُلَمَاءُ مَسْؤُولِيَّاتُهم عَظِيمَةٌ وَأَمَانَةٌ؛ لأَنَّ اللَّهَ ائْتَمَنَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ وَعَلَى بَيَانِ الْحَلَالِ وَالْحَرَام، فَلَا يَجُوزُ لَهُمْ أن يَفْتَحُوا لِأَنْفُسِهِمْ وللنَّاسِ أَبْوَابَ الْحِيَلِ، وَأَبْوَابَ الرُّخَصِ، والفتَاوَى الْمُخَالِفَةَ لِلدَّلِيلِ، وما أَكْثَرَ هَذَا الْآنَ! مِمَّنْ يُفْتُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَيُؤَوِّلُونَ النُّصُوصَ، ويَلوُونَ أَعْنَاقها؛ مِنْ أَجلِ أن تُصْبِحَ عَلَى هَوَاهُمْ، يَفْتَحُونَ لِلنَّاسِ أَبْوابًا، وَيُقَال: إنَّ هَؤُلَاء هُمْ الْعُلَمَاءُ. أَمَّا الَّذِي يَتَمَسَّكُ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ يُقَال عَنْهُ: مُتَشَدِّد. وَأَمَّا الَّذِي يَفْتَحُ لِلنَّاسِ أَبْوَابَ الرُّخَصِ، فَهَذَا الَّذِي يُقَال: هُوَ الْعَالِمُ، وَهْوَ الْفَقِيهُ، وَهْوَ. . ، وَهْوَ. . هَؤُلَاء هَدَّدَهم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَنَّ اللَّهَ يَمسَخُهُم قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، إِذَا جَاءَ النَّاسُ إِلَيْهِمْ وَقْتَ الْفَزَعِ يَلْتَمِسُونَ عِنْدَهُمْ الْفَرَجَ، وَجَدُوهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، وَلَو كَانُوا عُلَمَاءَ.

الْعَالِمُ إِذَا ضَلَّ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعَاقِبُهُ، وَيُغَيِّرُ صُورَتَهُ؛ لأَنَّهُ أَشَدُّ إِثْمًا مِن الْعَامِّيِّ وَالْجَاهِلِ، الْعَامِّيُّ جَاهِلٌ قَدْ يُعْفَى عَنْهُ، لَكِنَّ الْعَالِمَ الَّذِي يَتَحَايَلُ عَلَى مَحَارِمِ اللَّه، وَيُغَيِّرُ الأَحْكَامَ، وَيَتَأَوَّلُ النُّصُوصَ، هَذَا أَتَى عَنْ عِلْمٍ وَعَنْ مَعْرِفَةٍ، وَمُتَعَمِّدٌ لِهَذَا الشَّيْءِ، فَتَكُونُ عُقُوبَتُهُ أَشَدُّ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

وعن حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ: حَدَّثَنَا: «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»، وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَال: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ» وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإِسْلَامُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا اليَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا. أَخْرَجَاهُ(١). [٤٥]

---

[٤٥] هَذَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ حُذَيْفَة بن الْيَمَانِ ﷺ، وكان حريصًا عَلَى أن يَسْأَل الرَّسُول ﷺ عَن الفِتْنَةِ؛ مَخافَةَ أَن تُدْرِكَهُ؛ لِيَأْخُذَ حِذْرَهُ مِنْهَا.

فِي هَذَا الْحَدِيث عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَكُونُ أمينًا، وَالْإِيمَانُ مِن الائْتِمَانِ، وَهُوَ الْأَمْنُ، الْمُؤْمِنُ يكُون أمينًا بِمُوجِبِ إيمَانِهِ، وَتَكُون الْأَمَانَةُ فِي قَلْبَهِ مَعَ الْإِيمَانِ. ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمِ، وَأَكَّدَ هَذَا الأَمْرَ، أَكَّدَ الْأَمَانَةَ، وثبَّتَها، وَرَسَّخَها فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَخافُ مِن الْغِشِّ وَالْخِيَانَةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَهُمْ فِي ذَاكَ الْوَقْتِ؛ لأَنَّهُمْ أُمَنَاءُ، لَا يَغُشُّونَ، ولا يَخْدَعُونَ.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٦٤٩٧)، ومسلم رقم (١٤٣).

هَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ ﷺ يَمْشُونَ مَعَ الْأَمَانَةِ فِي تَعَامُلِهِمْ، وفي أُمُورِهِمْ؛ لأَنَّ الْإِيمَانَ عَوَّدَهمْ ذَلِكَ، وَالْأَمَانَةَ ترَسَّخت فِي قُلوبهمْ.

ثُمَّ إِنَّهُ يَتَغَيَّرُ الْوَضْعُ عَلَى طَوْلِ الزَّمَانِ؛ فَتُرْفَعُ الْأَمَانَةُ مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَيَبْقَى أَثَرُهَا بَعْد نَزْعِهَا فِي الْقَلْبِ مِثْلِ الْجَمْرَة، الَّتِي تَدَحْرَجَتْ عَلَى الرِّجْلِ، فنَفِطَت - يَعْنِي: انْتَفَخَ مَكَانُهَا، وَتَعَبَّأَ بِالْمَاءِ -، ثُمَّ يَزُولُ هَذَا.

كَذَلِكَ الْأَمَانَة تَزُولُ أَوَّلًا، ثُمَّ يَزُولُ أَثَرُهَا، ثُمَّ لَا يَبْقَى فِي النَّاسِ أَمَانَةٌ إِلَّا أَفْرَاد، أَفْرَادٌ مِن النَّاسِ تَبْقَى فِيهِمْ أَمَانَةٌ، وَالْكَثْرَةُ لَيْسَ فِيهِمْ أَمَانَةٌ، دِينُهِمْ دُنْيَاهُمْ؛ لَهَا يَرْضَوْنَ، وَلَهَا يَسْخَطُونَ، وَلَهَا يَعْمَلُونَ، وَلَيْسَ فِيهِمْ أَمَانَةٌ، ويستَبِيحُون تَحْصِيلَ الْمَالِ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ - بِالرِّبَا، بِالْغِشِّ، بِالْخَدِيعَةِ، بِالْمَكْرِ -، وَيُسَمُّونَ هَذَا مَهَارَةٌ فِي التَّعَامُل، يُسَمُّونَ الْغِشَّ وَالْخَدِيعَةَ وَاللَّعِبَ عَلَى النَّاس، يُسَمُّونَهُ مِن الْمَهَارَةِ وَالحذْقِ مِن الْمُعَامَلَاتِ، لَا يُسَمُّونَهُ الْغِشَّ وَالْخِيَانَةَ، لَا، بَلْ يُسَمُّونَهُ مِن الْكِيَاسَةِ والتنبُّؤِ لِلْمُعَامَلَاتِ، فَيُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا.

إِلَّا أَفْرَادٌ مِنْ النَّاسِ. يَقُوْل حُذَيْفَةُ ﷺ: «وَلَقَدْ أَتَى عليَّ زَمَانٌ، ومَا أُبَالِي أَيُّكُم بَايَعْتُ»؛ فِي الْأَوَّلِ لَا أُبَالِي مَنْ أَتَعَامَلُ مَعَهُ؛ إِن كَانَتْ الْأَمَانَةُ مَوْجُودَةً، لَا أُبَالِي مَنْ أتعاملُ مَعَهُ، ولا أَخَافُ مِن الْغِشِّ، لَكِنْ لَمَّا تَأَخَّرَ الزَّمَانُ، وجَاءَ أُنَاسٌ غَيرُ الْأُنَاسِ الْأَوَّلِينَ، وَالْأَمَانَةُ قلَّتْ إِلَّا فِي رِجَالٍ قَلِيلِينَ يَتَعَامَلُ مَعَهُمْ، وَأَمَّا أَكْثَر النَّاس، فَلَا يَأْمَنُهُمْ.

وقال ابْنُ ماجه: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَقَالَ: «ذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذِهَابِ الْعِلْمِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ زِيَادُ إِنْ كُنْتُ لَأَرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ، وَالْإِنْجِيلَ لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا؟»(١). [٤٦]

هَذَا فِي وقْتِ حُذَيْفَةَ ﷺ، فَكَيْفَ إِذَا تَأَخَّرَ الزَّمَانُ؟! إِذَا تَأَخُّرُ الزَّمَانِ أَكْثَرُ خُطُورَةً، وَأَكْثَرُ رَفْعًا لِلْأَمَانَةِ؛ حَتَّى أَنَّهُمْ يَمْدَحُونَ الْخَائِنَ، الَّذِي لَا أَمَانَةَ لَهُ، الَّذِي يَغُشُّ النَّاسَ، ويَخدَعُهم، وَيَأْكُلُ أَمْوَالَهَمْ بِالْحِيَلِ، يَمْدَحُونَهُ فِي هَذَا - مَا أَبْرَكَه! مَا أَعْقَلَهُ! مَا كَذَا! -، وَلَيْسَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَمَعْ هَذَا يَمْدَحُونَهُ فِي تَعَامُلِهِ، وفي حِيَلِهِ، وفي مَكْرِهِ، فِي غِشِّهِ وَخِيَانَتِهِ، يَمْدَحُونَ الْخَائِنَ، وَيَخوِّنُونَ الْأَمِينَ، ويَأْتَمِنُون الْخَائِنَ، هَذَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٤٦] وهَذَا الْحَدِيثُ مِثْلُ الْحَدِيثِ الْأَوَّل فِيْهِ التَّحْذِيرُ مِنْ عُلَمَاءِ الضَّلَالِ، والَّذِين يَلْتَمِسُونَ الْمَخَارِجَ مِن الْأَحْكَام الشَّرْعِيَّةِ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَيُفْتُونَ النَّاسَ بِذَلِكَ، الرَّسُولُ ﷺ حَذَّرَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ سَيُرْفَعُ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ، وَيَقِلُّ الْعُلَمَاءُ وَالْفُقَهَاءُ، وَيكْثُرُ الْقُرَّاءُ والْمُتَعَالِمُون

---

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٤٠٤٨).

فِي آخِرِ الزَّمَانِ، يَسْأَلُهُمْ النَّاسُ، فَيُفْتُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَيَضِلُّونَ، وَيُضِلُّونَ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ[1].

فَقَالَ الرَّاوِي وَهُوَ زِيَاد رضي الله عنه: **«يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟»**؛ يَعْنِي: فَهَذَا ضَمَانَةٌ لِبَقَاءِ الْعِلْمِ، طَالَمَا أن الْقُرْآنَ مَوْجُودٌ، فَالْعِلْمُ مَوْجُودٌ. النَّبِيُّ ﷺ بيَّن لَهُ أن وجُودَ الْقُرْآنِ ووجُودَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ فِي النَّاسِ لَا يَكْفِي هَذَا، ولا يَكْفِي حِفْظُ الْقُرْآنِ وَحِفْظُ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، هَذَا لَا يَكْفِي؛ الْعِلْمُ لَيْسَ بِالْحِفْظِ، وَلَا بِبَقَاءِ الْقُرْآنِ، ولَا بِبَقَاءِ الْأَحَادِيثِ، هَذَا لَيْسَ هُوَ الْعِلْمُ، بَلْ الْعِلْمُ هُوَ الْفِقْهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَالْفَهْمُ لِدِينِ اللَّهِ، وَالْوَرَعُ، وَالْخَوْفُ مِن اللهِ، والتَّقْوَى، هَذَا هُوَ الْعِلْمُ.

ثُمَّ ضَرَبَ مثلًا قَالَ: «أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ، لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا؟»؛ الْيَهُودُ والنَّصَارَى عِنْدَهُمْ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ مَوْجُودَةٌ، وَمَعْ هَذَا ضَلُّوا، وَأَضَلُّوا، وَلَعَنَهُمْ اللَّهُ ﷻ، وَالتَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَهُمْ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: ٥].

لَيْسَ الْكَلَامُ عَلَى وجُودِ الْقُرْآنِ ووجُودِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، الْكَلَامُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُ هَذِهِ النُّصُوصَ وهَذَا الْقُرْآنَ وهذه السُّنَّةَ حَمْلًا صَحِيحًا، وَيَعْمَلُ بِهَا، ويَفْقَهُ مَعَانِيهَا عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ، هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (١٠٠)، ومسلم رقم (٢٦٧٣).

وخرَّجه التِّرْمِذِيُّ: عن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء. قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَشَخَصَ بَبصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ. ثُمَّ قَالَ: «هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ العِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُون عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ»، فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا القُرْآنَ، فَوَاللَّهِ لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ عِنْدَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟» قَالَ جُبَيْرٌ: فَلَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، قُلْتُ: أَلَا تَسْمَعُ إِلَى مَا يَقُولُ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءَ قَالَ: «صَدَقَ أَبُو الدَّرْدَاءَ، إِنْ شِئْتَ لَأُحَدِّثَنَّكَ بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ؟ الخُشُوعُ، يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا»، وقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ[١]. [٤٧]

---

[٤٧] وهَذَا مِثْلُ الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَه؛ أَنَّهُ يُرْفَعُ الْعِلْمُ - الَّذِي هُوَ الْفِقْهُ وَالْفَهْمُ لِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّة رَسُولِهِ ﷺ - مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَالْأَحَادِيثَ مَوْجُودَةٌ، لَكِنْ قَلَّ مَنْ يَفْقَهُهَا، وَيَفْهمهَا، كَثِيرٌ مَنْ يَحْفَظُهَا، وَيَقْرَؤُهَا، يُمْكِنُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآن بِالْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ، وَيُتْقِنَ التِّلَاوَةَ وَالتَّجْوِيدَ، لَكِنْ لَا يَفْقَهُ مِن الْقُرْآنِ وَلَو حَرْفًا وَاحِدًا، مُجَرَّدُ آلَةٍ، هُوَ مِثْلُ الْمُسَجِّلِ؛ الْمُسَجِّلُ تفتحُهُ، وَيُقْرَأُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ، فَهَذَا يَصِيرُ مِثْلَ الْمُسَجِّلِ، مُجَرَّدُ آلَةٍ تَحْفَظُ الْقُرْآن. أَمَّا أَنَّهُ يَفْقَهُ الْقُرْآنَ، الْإِنْسَانُ الَّذِي يُوَفِّقَهُ اللَّهُ لِلْفِقْهِ فِي دِينِ اللَّهِ وَالْعَمَلِ، وحتى لَوْ لَمْ يَحْفَظْ الْقُرْآنَ، الْفِقْهُ يُؤْتِيهِ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ؛ **«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»**[٢].

---

(١) أخرجه: الترمذي رقم (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه: البخاري رقم (٧١)، ومسلم رقم (١٠٣٧).

فَلَيْسَتِ الْعِبْرَةُ أَنَّك تَحْفَظُ النُّصُوصَ، بَلْ الْعِبْرَةُ بِأَن تَفْهَمَ مَعْنَاهَا كَمَا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ، تَفْهَمُ مَعْنَاهَا، وَتَعْمَلُ بِهَا، هَذَا هُوَ الْفِقْهُ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

أَمَّا أَنَّك تَحْفَظُ الْقُرْآنَ، أَوْ تَحْفَظُ الْبُخَارِيَّ، وَمُسْلِمَ، وَالسُّنَنَ الْأَرْبَعَ، وَالْمَسَانِيدَ، تَحْفَظُهَا عَنْ ظَهْرِ قَلبٍ مِنْ غَيرِ فِقْهٍ، هَذَا لَا يَكْفِي، لَوْ جَعَلْتَهَا بِالْكِتَابِ كَانَ أَفْضَلُ، لَيْسَ هُنَاكَ فَائِدَةٌ مِنْ أَنَّك تَحْفَظ بِدُونِ فَهْمٍ.

فَلَيْسَت الْعِبْرَةُ بِالْحِفْظِ، الْعِبْرَةُ بِالْفِقْهِ وَالْفَهْمِ، وَلَيسَتْ الْعِبْرَة - أيضًا - بِالْفِقْهِ وَالْفَهْم فَقَطْ، بَلْ الْعَمَل - أيضًا -، لَا بُدَّ مِنْ هَذَا؛ مِنْ عِلْمٍ وَعَمَلٍ، هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَإِلَّا فَأَهْلُ الْكِتَابِ ضَلُّوا، وَلَعَنَهُم اللَّهُ، وَمَسَخَ مِنْهُم الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ، وَهُمْ عِنْدَهُمْ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [المائدة: ٤٣]

لَوْ حَكَّمُوا التَّوْرَاةَ، لَاتَّبَعُوا الرَّسُولَ ﷺ، ولَوْ حَكَّمُوا الْإِنْجِيل، لَاتَّبَعُوا مُحَمَّدًا ﷺ؛ لأَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَهُمْ لَمْ يُحَكِّمُوهُ، وَهُمْ يَحْفَظُونَهُ وَيَحْمِلُونَهُ، لَكِنْ لَمْ يَفْقَهُوهُ، وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ، فَمَاذَا يُغْنِي عَنْهُمْ؟!

فَهَذَا فِيهِ الْحَثُّ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ولا يَكْفِي حَملُ الْعِلْمِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ فَهْمِهِ، ولا بُدّ مِن الْعَمَلِ بِهِ، فَتَنَبَّهُوا لِهَذَا.

بَعْضُ الشَّبَابِ - وَفَّقَهُمْ اللَّه - يَعْتَنُونَ بِالْحِفْظِ، يَقُولُ: أَنَا أَحْفَظُ الْبُخَارِيَّ، أَنَا أَحْفَظُ مُسْلِمَ. لَكِنْ لَوْ تَسْأَلُهُ مَسْأَلَةً وَاحِدَةً مِنْ مَسَائِلِ

وذكر ابنُ مَاجَة مِن مُسْنَدِ زِيَادٍ، بإِسْنَادٍ صَحِيحٍ كَمَا تَقدَّمَ.
وقَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ عَنْ رِبْعِيِّ ابْنِ حِرَاشٍ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا» فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ، ثَلَاثًا»(١).[٤٨]

الْفِقْهِ، لَمْ يَسْتَطِعْ أن يُجِيبَكَ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَتَفَقَّه فِيهَا، وَلَم يَفْهَمْ مَعَانِيهَا، وَلَم يَأْخُذْهَا عَن العُلَمَاءِ الَّذِينَ يَشرَحُونَها، ويُبيِّنُونَها لَهُ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[٤٨] هَذَا مِثْلُ الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ فِي أنّ الْعِبْرَةَ لَيْسَتْ بِبَقَاءِ الْقُرْآنِ وَبقَاء السُّنَّةِ مِنْ غيرِ حَمَلَةٍ، وَلَيْس بِحَفَظَةٍ، بَل بِحَمَلَةٍ يَفْقَهُونَها، وَيَفْهَمُونَ مَعْنَاهَا، هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ.

فَهَذَا فِيهِ الْحَثُّ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي دِينِ اللَّه، وَتَلَقِّي هَذَا عَن الْعُلَمَاءِ، لَا عَن الْكُتُبِ، ولَا عَن الأشرِطَةِ، وَإِنَّمَا عَن الْعُلَمَاءِ مُبَاشَرَةً،

---

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٤٠٤٩).

الْعُلَمَاءُ الثِّقَاتُ مُبَاشَرَةً، يَشرَحُونَها لَك، ويُبيِّنُونَها لَك، ويُحفِّظُونَك مَعَانِيهَا، ويُفهِمُونَك مَدْلُولاتِهَا، هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

أَمَّا أَنَّ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» تُنْجِيهِمْ مِن النَّارِ؟ نَعَمْ. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه تُنْجِي مِن النَّارِ مَنْ عَملَ بِهَا، مَنْ فَهِم مَعْنَاهَا، وَعَملَ بِهَا.

لَكِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ تُنْجِيهِمْ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا، لِمَاذَا؟ لأَنَّهُمْ لَا يَتَمَكَّنُونَ مِن الْعَمَلِ، مَعْذُورُونَ، لَيْسَ عِنْدَهُمْ أَحَدٌ يُبَيِّنُ لَهُمْ الْعَمَلَ، فَهُمْ مَعْذُورُونَ بِجَهْلِهِمْ هَذَا، بِعَدَمِ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُمْ، وَيُفَقِّهُهُمْ، «**يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا**»؛ يَقُولُونَهَا، هَذِهِ اسْتِطَاعَتُهِمْ، اسْتِطَاعَتهِمْ هَكَذَا، وَأَمَّا الْعَمَل، فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَهُ، ولا يَعْرِفُونَهُ؛ لأَنَّهُمْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ أَحَدٌ يُعَلِّمُهُمْ، هَذَا عُذْرٌ لَهُمْ، تَنْفَعُهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه.

أَمَّا الَّذِي يَتْرُكُ الْعَمَلِ، وَهْوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَيَقدِرُ عَلَى أن يَسْأَلَ أَهْلَ الْعِلْم، فَهَذَا لَا يُعْذَرُ، هَذَا لَا يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ.

فَأَوَّلًا: يُرْفَعُ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ، يُرْفَعُ أَوَّلُ شَيْءٍ الْعِلْمُ وَالْفِقْه مِن النَّاس.

ثَانيًا: يُرْفَعُ الْقُرْآن مِن الْقُلُوبِ، يُؤْخَذُ مِن الْقُلُوبِ، وَمِنَ الْحِفْظِ، ومن الْمَصَاحِفِ، يُرْفَعُ ولا يَبْقَى شَيْءٌ، لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِن الْقُرْآنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

مِنْ أَحَادِيثِ الْفِتَنِ

ولِمُسْلِم: عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ»(١).[٤٩]

قال: «وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَصْحَابِي، أَمْ تَنَاسَوْهُ؟ وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ، إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا، يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلَاثَ مِائَةٍ فَصَاعِدًا، إِلَّا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ، وَاسْمِ أَبِيهِ، وَاسْمِ قَبِيلَتِهِ»(٢).[٥٠]

---

[٤٩] هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ أن النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ أُمَّته يومًا كَامِلًا؛ يَخْطُبُ، ثُمَّ إِذَا حَانَتْ الصَّلَاةُ، نَزَلَ، وَصَلَّى، ثُمَّ عادَ يَخْطُبُ، إِلَى أن يَكْمُلَ الْيَوْمُ.

وذَكَرَ فِيْهِ فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ أمورًا كَثِيرَةً، يَحْتَاجُهَا النَّاسُ، وهَذَا مِنْ بَلَاغِه ﷺ؛ فَإِنَّه بَلَّغَ أُمَّته كَلَّ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيئًا، إِلَّا وَقَدْ نَقَلَهُ وَبلَّغَهُ لَهُمْ.

[٥٠] وَلَكِنَّ النَّاسَ يَخْتَلِفُونَ فِي هَذَا، الْحَاضِرُونَ يَخْتَلِفُونَ؛ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَوْعِبُ كَلَّ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَيَحفَظُهُ، وَيَرْوِيهِ، ومنهم مَنْ يَفُوتُ عَلَيْهِ بَعْضُ الشَّيْءِ، وَلَكِنْ إِذَا وُجِدَ مَنْ يَحْفَظُ - وَلَو كَانُوا قَلِيلِينَ -، يَنْفَعُ اللَّه بِهِمْ الْأُمَّةَ، فَهَذَا مَا حَصَلَ مِن الرَّسُولِ ﷺ فِي هَذَا الْيَوْمِ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٩١).

(٢) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٤٣).

وَلَه عَنْهُ ﷺ قَالَ: حدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ: «مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ»(١).[٥١]

---

[٥١] هَذَا الْحَدِيثُ أَيضًا فِيْهِ ذِكرُ الْفِتَن، وَأَنَّها تَخْتَلِفُ؛ مِنْهَا مَا هُوَ شَدِيدٌ، وَمِنهَا مَا هُوَ خَفِيفٌ.

وَالْقَصْدُ أَنَّ النَّاسَ يَأْخُذُونَ حِذْرَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْفِتَنِ؛ يَعْرِفُونَ وقْتَ نُزُولِهَا، وَيَعْرِفُونَ أَنَّهَا سَتَأْتِي؛ فَيَسْتَعِدُّون لَهَا، وَيثْبُتُونَ عَلَى دِينِهِمْ، ولا تَضُرُّهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ؛ مَنْ تَمَسَّكَ عَلَى دِينِهِ، وَثَبَتَ عَلَى دِينِهِ، لَا تَضُرُّهُ الْفِتَنُ، لَكِنْ يَحْتَاجُ إِلَى أن يَعْرِفَ دِينَهُ أَوَّلًا؛ حَتَّى لَا يَنجَرِفَ مَعَ الْفِتَنِ إِذَا جَاءَتْ؛ لأَنَّهُ عَرِفَ أَنَّهَا سَتَحْدُثُ، فَيَأْخُذُ حِذْرَهُ مِنْهَا.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٩١).

ولأبِي دَاوُدَ عَن ابْنِ عُمَرَ، يَقُولُ: كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ؟ قَالَ: «هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ، دَخَنُهَا مِنْ تَحتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ، لَا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ، تَمَادَتْ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ، فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ، مِنْ يَوْمِهِ، أَوْ مِنْ غَدِهِ»(١).[٥٢]

---

[٥٢] وهَذَا مَنْ جُمْلَةِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا مَا يَحْدُثُ مِن الْفِتَنِ، وَالْمُهِمُّ فِي هَذَا أن بَعْضهَا قَدْ يَحْدُثُ عَلَى رَجُلٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهْوَ لَيْسَ مِنْهُ.

ثُمَّ لَوْ ثَبَتَ أَنَّهُ مِن الْبَيْتِ، وَهْوَ لَا يَتَمَسَّكُ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ؛ فَلَا يَنْفَعُهُ كَوْنه أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، ولا يَكُون مِنْ أَوْلِيَاءِ الرَّسُولِ ﷺ، إِلَّا مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ، وتَمَسَّك بِسُنَّتِهِ، فَلَيْسَتْ الْعِبْرَةُ بِالْقَرَابَةِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ بِالْقَرَابَةِ مَعَ الِاسْتِقَامَةِ.

فَمَنْ اسْتَقَامَ عَلَى دِينِ اللَّه - ولَو لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ -، فَهُوَ عَلَى خَيْرٍ، وَيُنْتَفَعُ بِهِ، وَمَنْ انْحَرَفَ عَنْ دِينِ اللَّه، فَلَا يَنْفَعُهُ كَوْنه مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَيَجِبُ الْحَذَرُ مِنْهُ غَايَةَ الْحَذَرِ، هَذِهِ مُهِمَّةٌ جِدًّا.

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٤٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١). [٥٣]

وآلُ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى الْحَقِيقَةِ هُمْ أَتْبَاعُه، ولو لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَتْبَاعِهِ، فَلَيْسَ بِقُدْوَةٍ، فَهَذَا يَجِبُ التَّفَطُّنُ لَهُ وَمَعْرِفَتُهُ؛ إِذْ لَيْسَتْ الْعِبْرَةُ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، الْعِبْرَةُ بِاسْتِقَامَتِهِ وَتَمَسُّكِهِ بِالدِّينِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: أن الدَّجَّالَ قَرِيبٌ، والدَّجَّالُ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى، وَهْوَ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ - كَمَا يَأْتِي -.

وَأَوَّلُ شَيْءٍ يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ مِن آلِ بَيْتِ الرَّسُولِ ﷺ، مِن آلِ الْحَسَن بن عَلِيٍّ ﷺ، وَيُقِيمُ الْعَدْلَ، وَيَحْكُمُ بِالشَّرِيعَةِ، وفي آخِرِ أَيَّامِهِ يَظْهَرُ الدَّجَّالُ وَيَحْصُل بِسَبَبِهِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، ثُمَّ يَنْزِلُ الْمَسِيحُ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ ﷺ، ثُمَّ يُقتَلُ الدَّجَّالُ، وَيَحْكُمُ الْمُسْلِمِين بِشَرِيعَةِ الإِسْلَامِ؛ شَرِيعَةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَيَكُونَ تابعًا لِلرَّسُولِ، وَمُجَدِّدًا لِدِين اللَّهِ؛ لِدِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

ثُمَّ فِي آخِرِ أَيَّام الْمَسِيحِ ابنِ مَرْيَمَ ﷺ يَظْهَرُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَتَحْصُلُ شِدَّةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

* * * * *

[٥٣] أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ كَانَ يَحْفَظ مِنْ الْأَحَادِيثِ مَا لَا يَحْفَظُهُ غَيْرُهُ مِن الصَّحَابَةِ ﷺ؛ لأَنَّهُ آتَاهُ اللَّهُ حِفْظًا، وَذَاكِرَةً قَوِيَّةً، وَتَفَرَّغَ لِرِوَايَةِ الْحَدِيثِ عَن الرَّسُولِ ﷺ، فَحَفِظَ مَا لَمْ يَحْفَظْهُ أَكْثَر مِنْ غيرُهُ ﷺ.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (١٢٠).

ولَهُ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ يَقُولُ: «هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ»، فَقَالَ مَرْوَانُ: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ غِلْمَةً. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ: بَنِي فُلَانٍ، وَبَنِي فُلَانٍ، لَفَعَلْتُ. فَكُنْتُ أَخْرُجُ مَعَ جَدِّي إِلَى بَنِي مَرْوَانَ حِينَ مُلِّكُوا بِالشَّامِ، فَإِذَا رَآهُمْ غِلْمَانًا أَحْدَاثًا قَالَ لَنَا: عَسَى هَؤُلَاءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُمْ؟ قُلْنَا: أَنْتَ أَعْلَمُ، وَجَدُّهُ الرَّاوِي عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[1].[٥٤]

وَيُخْبِرَ أَنَّهُ حِفْظَ عَن الرَّسُولِ ﷺ وِعَاءَيْن مِن الْأَحَادِيثِ؛ وِعَاءَيْن مَمْلُوئَيْن بِالْأَحَادِيثِ: وَاحِدٌ نَشَرَه فِي النَّاسَ، ذَكَرَهُ لِلنَّاسِ، وواحِدٌ لَمْ يَذْكُرْهُ؛ لأَنَّهُ عَلَيْهِ خَطَرٌ لَوْ ذَكَرَهُ، وَهُوَ أَحَادِيثُ الْفِتَنِ، وذِكْرُ الْوُلَاةِ الْمُنْحَرِفِين، فَهَذَا لَمْ يَذْكُرْهُ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ كِتْمَانُ الْعِلْم لِلْمَصْلَحَةِ، أَوْ لِدَفْعِ الضَّرَرِ الْأَكْبَرِ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[٥٤] حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَحْدُثُ عَلَى يَدَيْ أُغَيلِمَةٍ - تَصْغِيرُ غِلْمَان، مِنْ بَابِ التَّحْقِيرِ، تَصْغِيرُ تَحْقِيرٍ - مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَعَلَّهُ يَقْصِدُ أَنَّهُمْ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ.

وبنو أُمَيَّة فِيهِمُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وَفِيهِمْ شَرٌّ، لَيْسَ كلُّهم أَشْرَارًا، فِيهِمْ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَفِيهِمْ نَاسٌ صِغَارُ السِّنِّ، وَسُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، حَصَلَ مِنْهُمْ مَا يَحْصُلُ.

بَنُو أُمَيَّةَ مِنْهُمْ رِجَالٌ؛ مِنْهُمْ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ ﷺ الْخَلِيفَةُ الثَّالِثُ، مِنْهُمْ مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ ﷺ، الَّذِي سَادَ الْأُمَّةَ،

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٧٠٥٨).

وَقَمَعَ الْفِتْنَةَ فِي وَقْتِهِ، واجتمع الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْفِتْنَةِ وَالْفُرْقَةِ، وَفِيهِمْ عُمَر بنُ عَبْد الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ، فِيهِمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بنُ مَرْوَان فِيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ.

وجاء بَعْدَهُمْ مَنْ دُوْنِ ذَلِكَ؛ فَلَا يُذَمُّونَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، ولا يُمْدَحُونَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلْ يُقَال: فِيهِمْ وَفِيهِمْ؛ لأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ - خُصُوصًا الشِّيعَة - يَسُبُّونَ الْأُمَوِيِّينَ.

الأُمَويُّون فِيهِمْ خَيْرٌ كَثِير؛ فَتَحُوا الْفُتُوحَ، فَتَحُوا الْأَمْصَارَ، وَنَشَرُوا الإِسْلَامَ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا بَعْدَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ؛ فَلَهُمْ فَضْلٌ، لَيْسَ هُنَاكَ شَكٌّ، لَكِنْ يَكُون فِيهِمْ - أيضًا - مَنْ هُوَ دُوْنَ ذَلِكَ.

فَيَجِبُ أن نَعْرِفَ هَذَا عَنْ بَنِي أُمَيَّةَ، لَا نَذُمُّهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ، ولا نَمْدَحُهُم عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلْ نَقُولُ: فِيهِمْ وَفِيهِمْ؛ كَغَيرِهِم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

بابُ النَّهْيِ عَنِ السَّعْيِ فِي الفِتْنَةِ

ولأبي دَاودَ عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي»، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ»[1].[٥٥]

---

[٥٥] «**النَّهْيُ عَن السَّعْيِ فِي الْفِتْنَةِ**»، وَأَنَّ الإِنْسَانَ الْمُسْلِمَ عِنْدَ حُدُوثِ الْفِتَنِ يُمْسِكُ، ولَا يَسْعَى فِي نَشْرِهَا وَنُصْرَتِهَا، بَلْ يُمْسِكُ، ويَبتَعِدُ عَنْهَا، هَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ؛ أَنْ يَبْتَعِدَ عَن الفِتَنِ، ولا يُشَارِكُ فِيهَا، ولا يَدْخلُ فِيهَا، حَتَّى تَنْقَضِي، وَتَذْهَب.

هَذَا الْحَدِيثُ جَاءَ مِنْ رِوَايَاتٍ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ**»[2]. لَيْسَتْ سَهْلَةً؛ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، مِنْ شِدَّتها ومِنْ خَطَرِهَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتحَوَّلُ عَنْ دِينِهِ، هَذَا أَخْطَرُ مَا فِيهَا، يَتَحَوَّلُ عَنْ دِينِهِ، تُصِيبُهُ هَذِهِ الْفِتَن - إِمَّا طَمَعٌ، وإِمَّا خَوْفٌ -، فَيَتَحَوَّلُ عَنْ دِينِهِ.

قَوْلُهُ ﷺ: «يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا»: يَتَحَوَّلُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ، أَوْ اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ عَنْ دِينِهِ بِسَبَبِ الْفِتَنِ، إِذَا دَخَلَ فِيهَا، وَشَارَكَ فِيهَا، فَإِنَّهَا تُخْرِجُهُ مِنْ دِينِهِ؛ إِمَّا رَغْبَةً، وإما رَهْبَة.

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٦٢)

(٢) أخرجه: مسلم رقم (١١٨).

ولابنِ ماجه عن أبِي برْدَةَ، قال: دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بنِ مَسْلَمَةَ، فَقَالَ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ وَفُرْقَةٌ وَاخْتِلَافٌ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأْتِ بِسَيْفِكَ أُحُدًا، فَاضْرِبْهُ حَتَّى يَنْقَطِعَ، ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ، حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ، أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ»، فَقَدْ وَقَعَتْ وَفَعَلْتُ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(١).[٥٦]

أَمَّا إِذَا ابْتَعَدَ عَنْهَا، وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهَا، وَلَزِمَ السُّنَّةَ، وَصَبَرَ عَلَى مَا يَنَالُهُ، فَإِنَّهُ يَنْجُو مِنْهَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى إيمَانٍ، وَعِلْمٍ، وَصَبْرٍ، فَالرَّسُولُ ﷺ حَذَّرَ مِنْ هَذِهِ الْفِتَنِ، وَأَمَرَ أن يَكُون الرَّجُلُ حِلْسَ بَيْتِهِ؛ يَعْنِي: ملازمًا لِبَيْتِهِ، إِذَا كَانَ خُرُوجهُ إِلَى الشَّارِعِ فِيْهِ خَطَرٌ عَلَى دِينِهِ، فَإِنَّهُ يَبْقَى فِي بَيْتِهِ، حَتَّى تَزُولَ هَذِهِ الْفِتَنِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٥٦] هَذَا كَمَا سَبَقَ أَنَّهُ تَأْتِي فِتَنٌ عَظِيمَةٌ، تُحَوِّلُ الإِنْسَانَ مِنْ دِينِهِ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِن الدُّنْيَا طَمَعًا، يَتْرُكُ دِينَهُ مِنْ أَجَلِ الطَّمَعِ أَوْ الْمَال أَوَ الْجَاهِ.

فَإِذَا جَاءَتْ هَذِهِ الْفِتَنُ، فَاعْتَزِلْهَا، أَحْضِرْ سَيْفَك، وَحَطِّمْهُ، وَاكْسِرْهُ؛ فَمَا يَكُونُ مَعَك تَقْتُلُ بِهِ أَوْ تَفْتِكُ بِهِ فِي الْآخَرِينَ.

هَذَا مَعْنَاهُ: أَنَّك لَا تَسْتَعْمِل السِّلَاحَ، فَلَيْسَ مِن اللَّازِم أن تَكْسِرَهُ بِالْفِعْلِ وَتُعْدِمَهُ، لَا؛ بَلْ يَعْنِي: لَا تُقَاتِل بِهِ، ولا تَدْخُلُ فِي الْفِتْنَةِ.

وَالْأَمْر الثَّانِي: تَجْلِسُ فِي بَيْتِك، ولا تُشَارِكْ، حَتَّى تَأْتِيَك «**يَدٌ خَاطِئَةٌ**» **يَعنِي:** ظَالِمَة، يَدْخُلُ عَلَيْك يُرِيدُ قَتْلَك، لَا تُدَافِعُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ؛ لِأَنَّك إِذَا دَافَعْتَ، تَكْثُرُ الْفِتْنَةَ، فَقَلِّلْ مِنْهَا بِعَدَمِ الْمُدَافَعَةِ عَنْ نَفْسِكَ، حَتَّى ولَوْ قَتَلَك؛ لأَنَّ هَذَا فِي الْفِتْنَةِ.

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٣٩٦٢).

أَمَّا فِي غَيرِ الْفِتْنَةِ، إِذَا دَخَلَ عَلَيْك أَحَدٌ - لِصٌّ، أَوْ مَنْ يُرِيدُ الْفَسَادَ فِي بَيْتِك -، فَاقْتُلْهُ، دَافِعْهُ، وَلَوْ بِالْقَتْلِ؛ كَمَا وَرَد فِي الْأَحَادِيثِ.

أَمَّا إِذَا كَانَ هَذَا وقْتُ الْفِتْنَةِ، حَتَّى وَلَوْ دَخَلَ عَلَيْك أَحَدٌ، فَلَا تَدْفَعْهُ بِالْقَتْلِ، لَا تَقْتُلهُ حَتَّى ولَو قَتَلَك؛ كَمَا حَصَلَ مَعَ عُثْمَانَ ﷺ، لَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، لَمْ يُقَاتِلْ؛ تَقْلِيلًا لِلْفِتْنَةِ، وَتَرْكًا للْمُشَارَكَةِ فِيهَا، لَمْ يُقَاتِل، وَأَمَرَ حُرَّاسَه أن يَكُفُّوا، وألَّا يُقَاتِلُوا، حَتَّى قُتِلَ ﷺ شَهِيدًا، هَذَا فِي الْفِتْنَةِ.

أَمَّا فِي غَيرِ الْفِتْنَةِ، لَا تَسْمَحْ لِأَحَدٍ أن يَدْخُلَ فِي بَيْتِك، دَافِعْه، وَلَو بِالْقَتْلِ، فَإِن قَتَلْتَهُ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَإِنْ قَتَلَك فَأَنْتَ شَهِيدٌ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ[1].

قَوْلُه ﷺ: «**أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ**»؛ أَوْ يَأْتِيك الْمَوْتُ، إن لَمْ يَدْخُلْ عَدُوٌّ يَأْتِيك الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ لَا بُدَّ أن يَأْتِيَ، فَكوْنُك تَمُوتُ وَأَنْتَ لَمْ تُشَارِكْ فِي الْفِتْنَةِ خيرًا لَك.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٤٠).

وَلَهُ عَنْ عُدَيْسَةَ بِنْتِ أُهْبَانَ، قَالَتْ: لَمَّا جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ هَاهُنَا الْبَصْرَةَ، دَخَلَ عَلَى أَبِي، فَقَالَ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ أَلَا تُعِينُنِي عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَدَعَا جَارِيَةً لَهُ، فَقَالَ: يَا جَارِيَةُ أَخْرِجِي سَيْفِي، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ، فَسَلَّ مِنْهُ قَدْرَ شِبْرٍ، فَإِذَا هُوَ خَشَبٌ، فَقَالَ: «إِنَّ خَلِيلِي وَابْنَ عَمِّكَ ﷺ، عَهِدَ إِلَيَّ إِذَا كَانَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَتَّخِذُ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ، فَإِنْ شِئْتَ خَرَجْتُ مَعَكَ»، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ وَلَا فِي سَيْفِكَ[1].[٥٧]

---

[٥٧] عَلَيُّ بنُ أَبِي طَالِب ﷺ فِي خِلَافَتِهِ، الْخَلِيفَةُ الرَّابعُ مِن الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ﷺ، فِي وَقْتِه حصلَتْ الفِتْنَةُ الشَّدِيدَةُ بِسَبَبِ مَقْتَل عُثْمَانَ ﷺ.

عَلَيّ ﷺ تَوَلَّى الخِلَافَةَ، وَلَكِنْ لَمْ يَتِمْ لَهُ الأَمْرُ ﷺ؛ لأَنَّ الْفِتْنَةَ شَدِيدَةٌ، وَالنَّاس مُخْتَلِفُونَ، فَقَمَعَ اللَّهُ بِهِ الْخَوَارجَ شِرَارَ الْخَلْقِ، وَقَتلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً فِي النَّهْرَوَانِ، فَأَخْمَدَ شَرَّهمْ ﷺ.

وَلَكِن لَمْ تَهدَأُ الْفِتْنَةُ؛ فِي النِّهَايَةِ تَآمَرُوا عَلَيْهِ، وَقَتَلُوهُ ﷺ، هُوَ يُرِيدُ إِخْمَادَ الْفِتْنَةِ، وَأَنْ تَسْتَتِبَّ الْخِلَافَةُ عَلَى مَا كَانَتْ فِي زَمَنِ إِخْوَانِهِ مِن الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ﷺ، وأَدَّى مَا عَلَيْهِ ﷺ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ، إِلَى أن اسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَحِقَ بِإِخْوَانِهِ مِن الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ﷺ.

فَهَذَا مَوْقِفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيِّ بن أَبِي طَالِب ﷺ مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ؛ أَنَّهُ قَاوَمَهَا، وَحَاوَلَ إخمادها، وَحَصَلَ عَلَى يَدِهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ بِقَمْعِ الْفِتْنَةِ، ثُمَّ قُتِلَ شَهِيدًا ﷺ راضيًا مرضيًّا عِنْدَ اللَّهِ ﷻ.

---

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٣٩٦٠).

فَموقِفُ الْمُسْلِمِ مِن الْفِتْنَةِ أَنَّهُ إن أَمْكَنَ أن يَعْتَزِلَهَا، وَجَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَإِذَا لَمْ يُمْكِنْهُ - كأنَّ لَهُ قُوَّةً، وَيَنْفَعَ اللَّهُ بِهِ -، فَإِنَّهُ يُقَاوِمُ الْفِتْنَةَ؛ مِثْلَمَا حَصَلَ مِنْ عَلِيٍّ ﷺ، يُقَاوِمُ بِقَدْرِ مَا أَعْطاهُ اللَّهُ مِن السُّلْطَةِ، ومِن الْقُوَّةِ وَالتَّمْكِينِ، يُقَاوِمُ الْفِتْنَةَ: إمَّا أن يَقْضِيَ عَلَيْهَا، وإمَّا أن يُخَفِّفَهَا، وَيُهَيِّئَ الأَمْرَ لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ مِنْ الْمُصْلِحِينَ، هَذَا مَوْقِفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب ﷺ.

قوله: «**فَقَالَ: يَا جَارِيَةُ أَخْرِجِي سَيْفِي، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ، فَسَلَّ مِنْهُ قَدْرَ شِبْرٍ، فَإِذَا هُوَ خَشَبٌ، فَقَالَ: إِنَّ خَلِيلِي وَابْنَ عَمِّكَ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ إِذَا كَانَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَتَّخِذُ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ، فَإِنْ شِئْتَ خَرَجْتُ مَعَكَ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ، وَلَا فِي سَيْفِكَ**»؛ أَرَادَ أن يُرِيَ عليًّا ﷺ أَنَّهُ مُعْتَزِلٌ الْفِتْنَةَ، وَأَنَّهُ اتَّخَذَ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ لَا يَعْمَلُ شَيْئًا، فَتَرَكَهُ عَلِيٌّ ﷺ، لَمَّا رَآهُ لَا يَرْغَبُ الْمُشَارَكَةَ، تَرَكَهُ.

«**فَإِذَا هُوَ خَشَبٌ**»، لَيسَ بِسَيْفٍ؛ لِيُرِيَ عليًّا ﷺ أَنَّهُ مُعْتَزِل الْفِتْنَة.

«**فَأَتَّخِذُ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ**»؛ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ لَا يَقْطَعُ؛ يَعْنِي: لَا يُشَارِكُ فِي الْفِتْنَةِ.

قَالَ لَهُ: «**فَإِنْ شِئْتَ خَرَجْتُ مَعَكَ**»؛ لأَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ شِئْتَ أن تَتْرُكَنِي عَلَى اعْتِزَالِي: إن أَرَادَ أن يَخْرُجَ، عَلَيْهِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَإِنْ سَمَحَ لَهُ ولا يَخْرُجُ، فَهَذَا أَحَبُّ إِلَيْهِ، فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَمَحَ لَهُ بِذَلِكَ، تَرَكَهُ وَاعْتِزَالهُ الْفِتْنَة.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ولِأَبِي دَاوُدَ: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دُخِلَ -يَعْنِي- عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ»(١).[٥٨]

---

[٥٨] هَذَا - كَمَا سَبَقَ - أَنَّهُ تَحْدُثُ فُتِنٌ عَظِيمَةٌ، وَأَنَّ الْمُسْلِمَ يَتَقَاصَرُ عَنْهَا مَهْمَا أَمْكَنَهُ، ولا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهَا.

قَوْلُهُ ﷺ: «الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي»؛ كَلَّمَا تَقَاصَرَ الْإِنْسَانُ عِنْ الْفِتْنَةِ وابتعد عَنْهَا، فَهُوَ أَفْضَلُ، وَأَحْفَظُ لِدِينِهِ، وَأَسْلَمُ مِنْ الْمُشَارَكَةِ فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ؛ لأَنَّ الإِسْلَامَ حَرِيصٌ عَلَى حِفْظِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ - مَهْمَا أَمْكَنَ -، ولا يُشَارِكُ فِيهَا؛ لأَنَّهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِنْ قُتِلَ، قُتِلَ مُسْلِمًا؛ فَالسَّلَامَةُ خَيْرٌ.

قَوْلُهُ ﷺ: «فَإِنْ دُخِلَ - يَعْنِي - عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ»؛ يَجْلِسُ فِي بَيْتِهِ، ولا يَخْرُجُ، إن دُخِلَ عَلَيْهِ وَهْوَ لَا يَذْهَبُ إِلَى الْفِتْنَةِ، لَكِنْ لَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ - دَخَلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يُرِيدُ قَتْلَه -، فَلِيَسْتَسْلِمْ ولا يُدَافِعْ؛ لأَنَّهُ إِذَا دَافَعَ زَادَ الْفِتْنَةَ، وَإِذَا كَفَّ سَلِمَ مِنْهَا..

قَوْلُهُ ﷺ: «فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ»: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ [المائدة: ٢٧]؛ اللَّذَيْن حَسَدَ أَحدُهُمَا الآخَرَ، وَ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، هُوَ حَسَدَهُ لَمَّا تَقَبَّلَ اللَّهُ قُرْبَانَهُ،

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٥٩).

وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِن الآخرِ، حَسَدَهُ عَلَى ذَلِكَ؛ ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، فَعَدَمُ الْقَبُولِ هَذَا مِنْ اللَّهِ ﷻ، اللَّهُ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ مِن الْمُتَّقِينَ، فَكَيْفَ تَحسُدُنِي عَلَى شَيْءٍ مِن اللَّهِ ﷻ، أَكْرَمَنِي بِهِ؟!.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧-٢٨]، هَذَا مَحلُّ الشَّاهِدِ، ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]، فَدلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ قَتْلُ الْمُسْلِمِ فِي الْفِتْنَةِ، مَهْمَا أَمْكَنَ أَنَّك تكفُّ يَدَك، لَا تَقْتُلْ: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨ - ٢٩].

لَمْ تَنْفع فِيهِ الْمَوْعِظَةُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠]؛ أَصْبَحَ مِن الْخَاسِرِينَ بِسَبَبِ قَتْلِ أَخِيهِ الْمُسْلِم، وأيضًا هُوَ أَخُوهُ فِي النَّسَبِ.

فَالْآيَةُ فِيهَا أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا ابْتُلِيَ بِأَحَدٍ يُرِيدُ أن يَقْتُلَه، لَا يَدْفَعْهُ، وَيَسْتَسْلِمْ، وهَذَا الَّذِي حَصَلَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ ﷺ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِد.

✽ ✽ ✽ ✽ ✽

وله عن سعدٍ ﷺ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي وَبَسَطَ يَدَهُ لِيَقْتُلَنِي؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ»، وَتَلَا يَزِيدُ: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ [المائدة: ٢٨] الآية[١]. [٥٩]

وَلَه عن ابن عُمَرَ ﷺ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ بِكُم وَبِزَمَانٍ - أَوْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ - يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا، فَكَانُوا هَكَذَا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَقَالُوا: وَكَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ»[٢]. [٦٠]

---

[٥٩] قَولُهُ ﷺ: «كُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ»؛ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ قِصَّتَهُمْ لَنَا؛ لِنَعْتَبِرَ بِهَا عِنْدَ الْفِتَنِ.

فَهَذَا فِيهِ الْجَمْعُ بَيْنَ أَنَّ الْمُسْلِمَ يَدْفَعُ الصَّائِلَ، إِذَا صَالَ عَلَيْهِ؛ كَمَا فِي الْأَدِلَّةِ، وَأَنَّهُ أحيانًا لَا يَدْفَعُ الصَّائِلَ، وَيَسْتَسْلِمُ، مَتَى هَذَا؟ هَذَا فِي الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، لَا يَدْفَعُهُ فِي الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ فِتْنَةٌ، وَدَخَلَ مُتَلَصِّصٌ، فَإِنَّكَ تُدَافِعُه، لَا تَسْتَسْلِمْ لَهُ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٦٠] قَولُهُ ﷺ: «يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً»؛ يَعْنِي: يُسْتَعْمَلُ فِيهِ الْغِرْبَال، الَّذِي يُسْتَعْمَلُ فِي تَصْفِيَةِ الْحُبُوبِ؛ تُوضَعُ فِي الْغِرْبَالِ، الَّذِي يَخْرُجُ مَنْ خِلَالِهِ الْحَبُّ، وَيَبْقَى التِّبْن وَالْخَلْط، يبْقَى ولا يَخْرُجُ مَعَ خَلَل الْغِرْبَالِ.

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٥٧).
(٢) أخرجه: أبو داود رقم (٤٣٤٢).

قَوْلُهُ ﷺ: «تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ»، كَذَلِكَ الْفِتَنُ مِثْلُ الْغِرْبَالِ؛ تُصَفِّي الْحَبَّ الطَّيِّبَ مِن الْأَخْلَاطِ الرَّدِيئَةِ.

قَوْلُهُ: «وَكَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ»»، هَذَا مَا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ عِنْدَ الْفِتَنِ؛ أَنَّهُ يَأْخُذُ مَا يَعْرِفُ مِمَّا يُوَافِقُ الدِّينَ، وَيقُومُ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ، يَأْخُذ بِهِ، وَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ يَتْرُكُهُ، ولا يَدْخُلُ فِيْهِ؛ فَلَا يَدْخُلُ فِي الْفِتَنِ.

وكَذَلكَ تَلْزَمُ الْخَاصَّةَ مِن الْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ، الَّذِينَ تَجَنَّبُوا الْفِتْنَةَ، تَلْزَمُهُمْ، وَامْشِ مَعَهُمْ، ولا تَكُنْ مَعَ الْأَشْرَارِ؛ مَعَ الْهَمَجِ مَعَ الرِّعَاعِ. وهَذَا - وَاللّه أَعْلَمُ - يَنْطَبِقُ عَلَى الثَّوراتِ، والمُظَاهَرَاتِ، وَالْغَوْغَاءِ، لَا تَدْخُلُ فِيهَا، لَا تَدْخُلُ فِي الْغَوْغَاءِ، والمُظَاهرَاتِ، وَالْأَوْبَاشِ، وَالْجُهَّالِ، وحُدَثَاءِ الْأَسْنَانِ، لَا تَدْخُلُ مَعَهُمْ، وابْقَ مَعَ الصُّلَحَاءِ، مَعَ الْعُقَلَاءِ، مَعَ أَهْل الْعِلْم وَالْبَصِيرَةِ، الْزَمْهُم، وَكُنْ مَعَهُمْ، لَا تَنْحَزْ إِلَى الْأَشْرَارِ وإِلَى الْغَوْغَاءِ وَالْفِتْنَةِ.

* * * * *

وله مِنْ حَدِيثِ ابنِ عَمْرو ﷺ نَحْوَه وَقَالَ: فَقُلْتُ: كَيفَ أَصْنَع؟ قَالَ: «الْزَمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ».

وَأَوَّلُهُ: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ؟(١). [٦١]

---

[٦١] **قَولُهُ** ﷺ: **«كَيفَ أَصْنَع؟»**؛ يَعْنِي: إِذَا حَدَثَتْ الْفِتَنُ.

قَوْلُهُ ﷺ: **«الْزَمْ بَيْتَكَ»**، هَذِهِ وَاحِدَة: الْزَمْ بَيْتك، لَا تكثر سَوَاد أَهْلِ الشَّرِّ وَالْغَوْغَاءِ، ابقَ فِي بَيْتِك.

قَوْلُهُ ﷺ: **«وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ»**، وهذه الثَّانِيَةُ: لَا تَتَكَلَّمْ، لَا تُشَجِّعْ الْأَشْرَار، ولا تُشَجِّعْ الْغَوْغَاءَ، أَمْسِكْ عَلَيْك لِسَانَك، لَا تَتَكَلَّمْ بِكَلَام يُزِيدُ الْفِتْنَةَ.

قَوْلُهُ ﷺ: **«وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ»**: خُذْ مَا تَعْرِفُ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، الَّذِي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، وَدَعْ مَا لَا تَعْرِفُ مِن الْفِتْنَةِ، وَمِن الْغَوْغَاءِ، وَمِنْ عَادَاتِ الْكُفَّارِ، وَأَنْظِمَة الْكُفَّار.

قَوْلُهُ ﷺ: **«وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ»**: انجُ أَنْتَ أَوَّلًا، ولا تَقُلْ: إِنَّك سَتُنْهِي الْفِتْنَةَ، وستُقَاتِلُ حَتَّى يَنْتَصِرَ الإِسْلَامُ، لَا. الْفِتْنَةُ لَا تَدْخُلْ فِيهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَحتَ رَايَةٍ مُسْلِمَةٍ، أَمَّا غَوْغَاءٌ وَاخْتِلَاطٌ، أَوْ أَحْزَابٌ مُخْتَلِفَةٌ، أَوْ فِرَقٌ فَلَا تَدْخُلْ فِيهَا، مِمَّا يُسَمَّى الْآنَ بِالْجِهَادِ، وَهْوَ لَيْسَ جِهَادًا، وَإِنَّمَا هُوَ فِتْنَةٌ؛ يَتَجَمَّعُ نَاسٌ، ويتزَعَّمُهم

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٣٤٣).

وللتِّرْمِذِيِّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ مَا أُمِرَ بِهِ هَلَكَ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ نَجَا»، وقال: حسن غريب[1].[٦٢]

وَاحِدٌ، وَيَتَجَمَّع آخَرُون، وهكَذَا، وَحصَلَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ لَا لِشَيْءٍ، وَلَيْس هُنَاكَ نَتِيجَةٌ إِلَّا سَفْك الدِّمَاءِ، لَا تَدْخُلْ مَعَهُم، الْزَمْ الْعَافِيَةَ، وَالْزَمْ الِاعْتِزَالَ، إِلَى أَنْ يَأْتِي اللَّهُ بِالْفَرْجِ، وَإِلَّا أَقَلّ الْأَحْوَالِ أَنَّك لَا تُشَارِك فِي الْفِتَنِ، فَلَا تَسْفِكْ دَمًا حرَامًا.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ العَامَّةِ»؛ دَعْ عَنْك أَمْرَ الْعَامَّةِ وَالْغَوْغَاءِ الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِيْهِ، ولا يَنْتَهِي إِلَّا إِلَى ضَرَرٍ.

«وأوّله»؛ أَوَّلُ الْحَدِيثِ يَعْنِي.

قَوْلُهُ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ»، إِذَا رَأَيْت النَّاسَ مَرِجَتْ عُهُودهُمْ، تَدَاخَلَتْ واخْتَلَطَتْ مَعَ عَدمِ الوَفَاءِ، وَحَصَلَ فِيهِمْ الفَوْضَى، وَلَيْسَ هُنَاكَ رَأْيٌ مُوَحَّدٌ -رَايَةٌ إِسْلَامِيَّة مُوَحَّدَةٌ-، إِنَّمَا هِيَ أَحْزَابٌ وَجَمَاعَاتٌ وَفِئَاتٌ، لَا تَدْخُلُ فِي هَذِهِ كُلِّهَا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٦٢] **قَولُهُ ﷺ: «إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ مَا أُمِرَ بِهِ هَلَكَ»**؛ يَعْنِي: إِنَّكُمْ فِي زَمَانِ سَلَامَةٍ وَزَمَان خَيْرٍ، ولا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أن يُفرِّط بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ دِينِهِ، ولو كَانَ عُشرًا، ولَو كَانَ قليلًا، لَا تُفرِّط بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّيْنِ.

قَوْلُهُ ﷺ: «ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ نَجَا»، عَلَى الْعَكْسِ: يَأْتِي زَمَانُ شَرٌّ، مَنْ عَمِلَ فِيْهِ بِعُشْرِ مَا يَعْرِفُ نَجَا،

---

(١) أخرجه: الترمذي رقم (٢٢٦٧).

ولابن ماجه: عَنْ أَبِي هُرَيرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَتُنْتَقَوُنَّ كَمَا يُنْتَقى التَّمْرُ مِنْ أَغْفَالِهِ، فَلَيَذْهَبَنَّ خِيَارُكُمْ، وَلَيَبْقَيَنَّ شِرَارُكُمْ، فَمُوتُوا إِنِ اسْتَطَعْتُمْ»[1].[٦٣]

ولِلبُخَارِيِّ: عَن مِرْدَاسٍ الأَسْلَمِيّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ، أَوِ التَّمْرِ، لَا يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بَالَةً»[2].

وَفِي رِوايَةٍ: «لا يَعْبَأُ اللهُ بِهِمْ»[3].[٦٤]

وَلَو كَانَ قَلِيلًا؛ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الشَّرِّ، فَتَمَسَّكْ بِدِينِك مَهْمَا أَمْكَنَ - ولَو كَانَ قَلِيلًا -؛ فَفِيهِ الْخَيْرُ، وفِيْهِ النَّجَاةُ.

قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ: «حَسَنٌ غَرِيبٌ»، الْحَسَنُ: مَا دُونَ الصَّحِيحِ، والغَرِيبُ: مَا رَواهُ شَخْصٌ وَاحِدٌ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٦٣] قَولُهُ ﷺ: «لَتُنْتَقَوُن كَمَا يُنْتَقَى التَّمْرُ مِنْ أَغْفَالِهِ، فَلَيَذْهَبَنَّ خِيَارُكُمْ»، هَذَا مَعْنَى «لَتُنْتَقَوُن»، مَعْنَاهُ: يَذْهَبُ بِالْخِيَارِ؛ أَنَّ النَّخْوَةَ والطَّيِّبِينَ يَمُوتُونَ، ويَأْتِي أَشْرَارٌ.

قَوْلُهُ ﷺ: «وَلَيَبْقَيَنَّ شِرَارُكُمْ، فَمُوتُوا إِنِ اسْتَطَعْتُمْ»؛ يَعْنِي: الْزَمُوا دِينَكُمْ، وَالْزَمُوا الِاعْتِزَالَ إن اسْتَطَعْتُمْ مَهْمَا أَمْكَنَكُمْ ذَلِكَ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٦٤] فِيْهِ: أَنَّهُ كُلَّمَا تَأَخَّرَ الزَّمَانُ، يَقِلُّ الْأَخْيَارُ، وَيَكْثُرُ الْأَشْرَارُ،

---

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٤٠٣٨).

(٢) أخرجه: البخاري رقم (٦٤٣٤).

(٣) أخرجه: البخاري رقم (٤١٥٦).

وَالْغَرَضُ مِنْ هَذَا: أنْ تَأْخُذَ حِذْرَك، إنْ تَأَخَّرَ بِكَ الزَّمَانُ، وَتَلْزَم مَا عَلَيْهِ الْأَخْيَارُ، وَتَتْرُكَ مَا عَلَيْهِ الْأَشْرَارُ؛ وتَأْخُذَ مَا عَلَيْهِ الْأَخْيَار - وَإِنْ كَانُوا قَدْ مَاتُوا -، تَتْبَعُهُمْ، تَتَمَسَّكُ بِطَرِيقِهِمْ، وَتَتْرك مَا عَلَيْهِ الْأَشْرَارُ - وَإِنْ كانوا كَثِيرِينَ -، لَا تَدْخُلْ مَعَهُمْ، وهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ؛ لأَنَّ اعْتِزَالَ النَّاسِ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ وَثَباتٍ، لَكِنْ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطَّلَاقِ: ٢- ٣].

الْمُهِم أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ فِيهَا: الْحَثُّ عَلَى اعْتِزَالِ الْفِتَنِ، وَعَدمُ الْمُشَارَكَةِ فِيهَا، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِين، وَالسَّيْرُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَالتَّمَسُّكُ بِذَلِكَ، هَذَا طَرِيقُ النَّجَاةِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ ﷻ.

ولا تَغْتَرُّوا بالغوغاء، ولا تنخدعوا بِوُعُودِ الْكُفَّارِ وَحُصُول الْحُرِّيَّةِ - كَمَا يَقُولُونَ - والدِّيمُقْرَاطِيّة، هَذِهِ كُلُّهَا كَذِبٌ، وَعُودٌ كَاذِبَةٌ، لَا يَحْصُلُ الْخَيْرُ إِلَّا بِالْإِسْلَامِ مَهْمَا قَالُوا.

الْخَيْرُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْإِسْلَامِ وَالسَّيْر عَلَى مَنْهَجِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْخُلَفَاء الرَّاشِدِين وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ، لَا يَحْصُلُ الْخَيْرُ إِلَّا بِهَذَا.

وَأَمَّا الفَوضى، وَالْوُعُودُ الْكَاذِبَةُ، وما يَحْصُلُ مِنْ وَعْوْدِ الْكُفَّارِ، وَتَزْيِينِ الْكُفَّارِ، فَهَذَا ارْفُضُوه رَفْضًا تَامًّا، ولا تَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ؛ لأَنَّهُ شَرٌّ وَفِتْنَةٌ وَضَلَالٌ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

بَابُ التَّغَرُّبِ فِي الفِتْنَةِ

وَلَه عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»(١).[٦٥]

---

[٦٥] **وَالْفِتَنُ**: جَمعُ فِتْنَةٍ وَهِيَ الِابْتِلَاءُ وَالِامْتِحَانُ، أَوْ مَا يُسَمَّى الْآنَ بِالِاخْتِبَارِ. وَيُمْتَحَنُ الْإِنْسَانُ وَيُخْتَبَرُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِمَّا أن يَثْبُتَ عَلَى دِينِهِ، وَيَصْبِرَ عَلَى الْفِتَنِ، وإما أَنْ يَنْحَرِفَ مَعَ الْفِتَنِ، وَيَتْرُكَ الدِّيْنَ، ولذلك فَالفِتَنُ خَطِيرَةٌ جدًّا.

الْفِتْنَةُ: قَدْ تَكُون بِالْأَقْوَالِ وَالْمَذَاهِبِ وَالْأَفْكَارِ، فَيَنجَرِفُ الْإِنْسَان مَعَ أَيِّ مَذْهَبٍ، أَوْ أَيِّ فِكْرَةٍ، أَوْ أَيِّ قَوْلٍ يُوَافِقُ هَوَاهُ، وَيَتْرُكُ السُّنَّةَ؛ فَيَنْحَرِفُ.

تَكُون الْفِتَن - أيضًا - بِالْأَمْوَالِ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]، قَدْ يُبْتَلَى الْإِنْسَانُ بِالْمَالِ، وَيُحِبُّ الْمَالَ حُبًّا جمًّا، قَدْ يَأْخُذُه مِنْ غيرِ وَجْهِه: يَأْخُذُه مِن الْحَرَامِ، مِن الرِّبَا، مِن الْغِشِّ، مِن الْمَيْسِرِ وَالْقِمَارِ؛ لأَنَّهُ يُحِبُّ الْمَالَ، ولَا يُبَالِي بِأَنَّهُ حَرَامٌ، حُبُّ الْمَالِ يَجْذِبُهُ؛ فَتَأْخُذُه الْفِتْنَةُ - وَالْعِيَاذ بِاللَّهِ -؛ فِتْنَةُ الْمَالِ.

أَوْ يُعْطَى طَمَعًا، يُعْطَى طَمَعًا عَلَى أن يذْهبَ كَذَا، وَيَقُولُ كَذَا؛ مُخَالِفًا لِلدِّينِ، ومخَالِفًا لِلسُّنَّةِ مِنْ أَجلِ الْمَالِ؛ يَعْنِي: يُسْتَأْجَرُ - وَالْعِيَاذ بِاللَّهِ -، فَيَتَكَلَّمُ بِغَيْرِ حَقٍّ مِنْ أَجْلِ أن يَحْصُلَ عَلَى هَذَا الْمَالِ.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (١٩).

فَلِذَلِكَ الْأَمْوَالُ فِتْنَةٌ، إِذَا أَخَذَهَا مِنْ وَجْهِ الْحَلَالِ، وَصَرَفَهَا فِي الْحَلَالِ، فَهِيَ خَيْرٌ وَمُعِينَةٌ عَلَى الدِّينِ، وَإِنْ صَرَفَهَا فِي غَيرِ وَجْهِهَا، فَإِنَّهَا تَكُونُ مَسؤُولِيَّةً عَلَيْه؛ لأَنَّهُ يُسأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ «**عَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ**»[1]؛ **يُسأل أَوَّلًا**: مِنْ أَيْنَ جاءَكَ الْمَالُ هَذَا؟ مَا الطَّرِيقَةُ الَّتِي حَصَّلْتَهُ بِهِ؟ ثُمَّ إِذَا صَحَّ السُّؤَالُ الْأَوَّلُ، وسَلِمَ مِنْهُ.

يأتي السُّؤَالُ الثَّانِي: أَيْنَ أَنْفَقْتَ هَذَا الْمَالَ؟ فِي الْحَلَالِ أَوْ فِي الْحَرَامِ؟ اسْتَعَنْت بِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، أَوْ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ؟ يُحَاسَبُ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ولِذَلِك الْمَالُ مَسؤُولِيَّةٌ، فَخَطَرُهُ عَظِيمٌ.

قَدْ يَتْرُكُ دِينَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى وَظِيفَةٍ، لَكِنْ لَا يُوَظَّفُ فِيهَا، إِلَّا مَنْ تَرَكَ دِينَهُ أَوْ سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَقَعُ فِي الْفِتْنَةِ ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: ٤٩]؛ ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ.

الْأَوْلَاد فِتْنَةٌ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]. أَنْتَ تُحِبُّ أَوْلَادك، لَيْسَ هُنَاكَ شَكٌّ، وهَذَا شَيْءٌ جَعَلَهُ اللَّهُ، لَكِنْ هَلْ تُرَبِّيهِم عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ؟ هَلْ تَصْبِرُ عَلَيْهِمْ؟ هَلْ تَأْمُرُهُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ؟ هَلْ تُعَلِّمهُم أُمُورَ دِينِهِمْ إِذَا مَيَّزُوا؟ هَلْ تَصْبِرُ عَلَيْهِم وَتُلْزِمُهُم بِالصَّلَاةِ؟ أَوْ تَتَسَاهَلَ مَعَهُمْ، تَقُولُ: «وَاللَّه أَنَا أُحِبُّهُمْ، وَلَسْت أَنَا بِشَاقٍّ عَلَيْهِمْ، ولا مُكَلِّفٌ لَهُمْ، ولَا مُبْعِدُهُم مِنْ وَقْتِهِمْ؟ تَكُونُ سَقَطْتَ فِي الْفِتْنَةِ، الْأَوْلَادُ فِتْنَةٌ مِنْ حَيْثُ تَرْبِيَتُهُمْ، مِنْ حَيْثُ ضَبْطُهُم، مِنْ حَيْثُ مُرَاقَبَتُهُم؛ دُخُولًا وخُرُوجًا

(١) أخرجه: الترمذي رقم (٢٤١٦)، والطبراني في الكبير رقم (٩٧٧٢).

فِي الْبَيْتِ، وفِي الشَّارِعِ، وفِي الْمَدْرَسَةِ، أَنْتَ مَسؤُولٌ عَنْهُم؛ فَهُم فِتْنَة: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التَّغَابُن: ١٥]، وَالْفِتَنُ كَثِيرَةٌ.

قَوْلُهُ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»، هَذَا مِن التَّغَرُّبِ؛ أَنَّك تَخْرُجُ مِن البَلَدِ الَّذِي فِيْهِ الْفِتَنُ، وَتَأْخُذُ مَعَك أغنامًا أَوْ مَاشِيَةً، تَرْعَاهَا فِي شَعَفِ الْجِبَالِ - رُؤُوسِ الْجِبَالِ -، أَوْ مَوَاقِعِ الْقَطْرِ، وتَتَمسَّكُ بِدِينِك، تتَغرَّبُ عَن البَلَدِ لِأَجْلِ التَّمسُّكِ بِالدِّينِ؛ لأَنَّ بَقَاءَك فِي الْبَلَدِ فِيْهِ فِتنٌ وَشَرٌّ، هَذَا نَوْعٌ مِنْ أنوع التَّغَرُّبِ، هَذ تَغَرُّبٌ، تَغَرُّبٌ بَيْنَ النَّاسِ، تَغرُّبٌ فِي الْمَكَانِ وَالْمَسْكَنِ، تَمَسُّكٌ بِدَيْنِك؛ هُوَ الْمُهِمُّ.

فَالْغَنَمُ فِيهَا سَكِينَةٌ، وفيها طُمَأْنِينَةٌ، وفيها هُدُوءٌ.



ولِمُسْلِم: عَن أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ: أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا. أَلَا، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ» قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: «يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: «يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[1].[٦٦]

---

[٦٦] قوله: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ»، إنها ستكون فتن هذا إخبار من النبي ﷺ، هل النبي يعلم الغيب؟ لكن الله علمه، وأطلعه علي ذلك، وما يعلم الغيب إلا ما اعلمه الله وأطلعه الله، وهذه معجزة من معجزاته ﷺ أنه يخبر عن أشياء مستقبلًا فتقع كما اخبر عليه الصلاة والسلام، لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو ألا وحي يوحي، وهذا من مصلحتنا أنه يخبرنا كما يحصل لكي نأخذ حذرنا، ومن نصحه صلى الله عليه وسلم وشفقته علينا يخبرنا عما سيحصل ويوصينا بما ينجينا مما سيحصل من الشرور والفتن لأنه ما ترك شيئًا إلا بينه لأمته ﷺ.

نعم أنها ستكون فتن هذا اخبار عن المستقبل.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٨٧).

معناه: التحذير اخبار معناه التحذير.

«**إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ**»، ستكون يعني: في المستقبل

فتن: جمع فتنة وهي الابتلاء والامتحان وهي كثيرة ومتنوعة.

قَوْلُهُ ﷺ: «**وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ**»، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ - مَزْرَعَةٌ، اسْتِرَاحَةٌ بَعِيدَةٌ عَن البَلَدِ -، يَلْحَقُ بِهَا، وَيتْرُكُ الْبَلَدَ الَّتِي فِيهَا الْفِتَن.

قَوْلُهُ: «**قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ، وَلَا غَنَمٌ، وَلَا أَرْضٌ؟**»، انْتَبِهُوا لِلسُّؤَالِ هَذَا! إن كَانَ لَهُ إِبِلٌ يَذْهَبُ لِلْإِبِلِ، وإنْ كَانَ لَهُ غَنَمٌ يَذْهَبُ لِلْغَنَم، وإنْ كَانَ لَهُ أَرْض يَذْهَبُ لِلأَرْضِ، سَأَلَهُ سَائِلٌ: إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ إبِلٌ، ولا غَنَمٌ، ولا أَرْضٌ، أَيْنَ يَذْهَبُ؟ «**يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ**»، السِّلَاح الَّذِي عِنْدَهُ يُحَطِّمُه، ويُخرِّبُه، الْبُنْدُقِيَّةُ يَكْسِرُهَا، السَّيْفُ يَكْسِرُهُ، لِمَاذَا؟ لِئَلَّا يَدْخُلُ فِي الْفِتَنِ، لِئَلَّا يَحْمِلُ السِّلَاحَ، ويدخل في الفتن السلاح الذي يوقع في الفتن تخلص منه، الَّذِي يُوقِعُهُ فِي الْفِتَنِ، وَيَتَسَبَّبُ لَهُ فِي دُخُولِ الْفِتَنِ فيَتَخَلَّصُ مِنْهُ.

قَوْلُهُ ﷺ: «**ثُمَّ لْيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ**»؛ لِيَنْجُ مِن الْفِتَنِ، وَيَبْعُدُ عَنْهَا بِأَيِّ وَسِيلَةٍ - إِنْ اسْتَطَاعَ -، إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِنَّهُ يَصْبِرُ، وَيَتَمَسَّكُ بِدِيْنِهِ، وَيَصْبِرُ عَلَى مَا يُصِيبُهُ.

قَوْلُهُ ﷺ: «**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟**»، هَكَذَا الرَّسُول ﷺ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلَيْنَا أَنَّهُ بَلَّغَنَا، وَيُكَرِّرُ هَذَا ﷺ.

قَوْلُهُ: «**قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ**»؛ يَعْنِي: فِي الْقِتَالِ، إِذَا صَارَ قتالٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، هَذِهِ فِتْنَةٌ، هَذَا مِن الْفِتَنِ أن يَكُون هُنَاكَ قِتالٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقُوْل الرَّسُول ﷺ: ابْتَعِدْ عَنْهَا، ولو أن تكْسِرَ سَيْفَك وسِلَاحَكَ، ابْتَعِدْ عَنْهَا مَهْمَا أَمْكَنَ.

سَأَلَهُ رَجُلٌ: «إِذَا مَا أَمْكَنَنِي، إِذَا أُجْبِرَتُ عَلَى الدُّخُولِ فِي الصَّفِّ، مَاذَا أَعْمَلُ؟».

انْظُر لِلصَّحَابَةِ ﷺ؛ لِحِرْصِهِمْ عَلَى دِينِهِمْ يَسْأَلُونَ عَن الأَحْوَالِ؛ مَاذَا يَفْعَلُونَ فِي الأَحْوَالِ؟؟

فَالْمُكْرَهُ مَعْذُورٌ - وَالْحَمْد للهِ -، فَإِذَا قَتَلَه أَحدٌ مِن الْفِئَتَيْنِ، فَالْإِثْمُ عَلَى الْقَاتِلِ، وَأَمَّا الْمَقْتُولُ، فَيَكُونُ شَهِيدًا عِنْدَ اللَّهِ ﷻ: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢٩ - ٣٠]، الْإِثْمُ عَلَى الْقَاتِلِ عَلَى الْمُكرِهِ، وَأَمَّا الْمُكْرَهُ فَهُوَ مَعْذُورٌ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

بَابُ النَّهْيِ عَن تَعَاطِي السَّيْفِ المَسْلُولِ

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَوْم يَتَعَاطَوْنَ سَيْفًا مَسْلُولًا، فَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ أَوَ لَيْسَ قَدْ نَهَيْتُ عَنْ هَذَا»، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا سَلَّ أَحَدُكُمْ سَيْفَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَأَرَادَ أَنْ يُنَاوِلَهُ أَخَاهُ، فَلْيُغْمِدْهُ، ثُمَّ يُنَاوِلْهُ إِيَّاهُ»(١).[٦٧]

---

[٦٧] **قَوْلُهُ** رَحِمَهُ اللَّهُ: **«بَابُ النَّهْيِ عَن تَعَاطِي السَّيْفِ المَسْلُولِ»**؛ يَعْنِي: السِّلَاحَ يُوثَقُ؛ لِئَلَّا يُصِيبَ أَحَدًا، فَإِذَا أَرَدْتَ أن تَدْخُلَ سُوقًا، أَوْ تَدْخُلَ مَحَلَّ اجْتِمَاعٍ، فَعَلَيْكَ أن تُوَثِّقَ سِلَاحَك؛ لِئَلَّا تَحْصُلَ مِنْهُ إِصَابَاتٌ؛ السَّيْفُ تَغمِدُهُ فِي غِمْدِهِ، وَالْبُنْدُقِيَّةُ تُوَثِّقُها؛ لِئَلَّا تُضرِبَ الرَّشَاشَ، أَنْوَاعُ السِّلَاحِ لَا يَجْعَلُهَا مَفْتُوحَةً فَتَحْصُلَ مِنْهَا إِصَابَةٌ؛ فَتَكُونَ مُتَسَبِّبًا فِي قَتْلِ مُسْلِمٍ، فَلَا يُتَسَاهَلْ فِي أَمْرِ السِّلَاحِ.

الَّذِينَ يَحتَفِلُون الْآنَ بِمُنَاسِبَاتٍ، وَيُحْضِرُونَ مَعَهُمْ بَنَادِقَ، هَذَا خَطَرٌ، وَهُم مُخْطِئُونَ، وكَمَا حَصَلَ مِن الْإِصَابَاتِ وَالْقَتْلِ، وَهُم لَمْ يَقْصِدُوهُ، وَلَكِنَّهُمْ مُهْمِلُونَ، أَهْمَلُوا هَذَا.

أَوَّلًا: لَا يَدْخُلُ اجْتِمَاعَ النَّاسِ بِالسِّلَاحِ.

ثَانيًا: إِذَا دَخَلَ واقْتَضَى الأَمْرُ دُخُولَه بِالسِّلَاحِ، يوَثِّقُ السِّلَاحَ؛ بِحَيْثُ لَا يَنْفَلِتُ مِنْهُ شَيْءٌ؛ فَيقْتلُ مُسلمًا بَرِيئًا.

قَوْلُهُ ﷺ: **«سَيْفًا مَسْلُولًا»**، لَا يَجُوزُ هَذَا؛ يَعْنِي: تُمِدُّونَ السَّيْفَ وَهْوَ مَسْلُولٌ؟! لَا يَجُوزُ هَذَا؛ لأَنَّهُ مهيَّأٌ لِلضَّرْبِ وَالْإِصَابَةِ،

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (٢٠٤٢٩).

ولو لَمْ يَقْصِدْ هُوَ، لَكِنَّهُ مُهَيَّأٌ، السَّيْفُ لَهُ غِمْدٌ، أَدْخِلْهُ فِي الْغِمْدِ، وَوَثِّقْهُ.

قَوْلُهُ ﷺ: «**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا**»، مَنْ دَخَلَ الِاجْتِمَاعَ بِالسَّيْفِ الْمَسْلُولِ لَعَنَهُ الرَّسُولُ ﷺ؛ لأَنَّ هَذَا خَطَرٌ، ولا يَجُوزُ أن يَتْرُك السَّيْفَ مَسْلُولًا، وَهْوَ فِي مُجْتَمِعٍ، أَوْ يَمْشِي مَعَ نَاس، أَوْ بِحَضْرَةِ أَحَدٍ؛ يُمْكِنُ أَنْ يَسْقُطَ السَّيْفُ، يُمْكِنُ أَنْ يَأْخُذَهُ وَاحِدٌ، يَضْرِبُ بِهِ.

قَوْلُهُ ﷺ: «**أَوَ لَيْسَ قَدْ نَهَيْتُ عَنْ هَذَا؟**»؛ يَعْنِي: عَنْ أنْ يُسَلَّ السَّيْفُ بِحَضْرَةِ مُسْلِم أَوْ مُسْلِمِينَ؛ لِئَلَّا يُصِيبَ أَحَدًا.

قَولُهُ ﷺ: «**إِذَا سَلَّ أَحَدُكُمْ سَيْفَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَأَرَادَ أَنْ يُنَاوِلَهُ أَخَاهُ، فَلْيُغْمِدْهُ، ثُمَّ يُنَاوِلْهُ إِيَّاهُ**»، إِذَا أَرَدْت أن تُعْطِيَهُ السَّيْفَ، أَنْتَ سَلَلْته مِنْ غِمْدِهِ؛ لِتَنْظُرَ فِيْهِ فَقَطْ، لَمْ تَقْصِدْ سُوءًا، إِذَا أَرَدْت أن تُنَاوِلَهُ غَيْرَهُ، فَلَا تُعْطِهِ إِيَّاهُ مَسْلُولًا، اغْمِدْهُ فِي غَمَدِهِ، ثُمَّ أَعْطِهِ إِيَّاهُ، وَمِثْلُهُ الْبُنْدُقِيَّةُ، وَمِثْلُهُ كَلُّ سِلَاحٍ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

بَاب بَدَأَ الإِسلَامُ غريبًا وسيعود غريبًا

وَلِمسلِمٍ: عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا»[1].[٦٨]

---

[٦٨] هَذَا حَدِيثٌ مَعرُوفٌ، قَالَ ﷺ: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا**»، بَدَأَ فِي أَولِ بِدَايتِه وَأَوّلِ الدَّعوَةِ غَرِيبًا، الرَّسُولُ ﷺ أَوَّلًا وَاحِدٌ، لَيْسَ معَه أَحدٌ، ثُمَّ انضَمَّ إِلَيه أَبُو بَكرٍ ﷺ، **أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ انْضَمَّ إِلَيهِ بِلَالٌ ﷺ، ولَمَّا سُئِلَ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ، وَعَبْدٌ»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ**[2].

هَذَا أَوَّل مَا بَدَأَ الإِسلَامُ، أَوّلًا: الرَّسُولُ وَحدَه، ثُمَّ انضَمَّ إِلَيهِ أَبُو بَكرٍ ﷺ مِن الرِّجَالِ يَعنِي، وَإِلّا هناكَ نِسَاءٌ أَسلَمْنَ، وَهُناك صِبيَانٌ أَسلَمُوا، لَكِنْ مِن الرِّجَالِ أَولُ مَن أَسلَمَ أَبُو بَكرٍ الصّدِّيقُ ﷺ.

أَبُو بَكرٍ ﷺ دَعَا إِلَى اللهِ، فَأَسلَمَ عَلَى يَدَيهِ جَماعَةٌ مِن الصَّحابَةِ ﷺ، فكثُرُوا، كَانَ الأَوَّلُ غَرِيبًا، يَتكَوَّنُ مِن اثْنَينِ فَقَطْ، ثُمَّ كثُرَ الصَّحَابةُ ﷺ، حتَّى تَكَوَّنَت الأَمّةُ الإِسلَامِيةُ، الّتِي وَصَفَها اللهُ بِقَولِه ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ **يَعنِي**: صِفَتُهم، صِفةُ هَذِه الأَمّةِ فِي التَّورَاةِ الّتِي نَزَلَت عَلَى مُوسَى ﷺ هَذِه صِفَتُها.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٤٥).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٨٣٢).

ثمّ ذكر صِفتَهم فِي الإنجيلِ الّذِي أُنزِلَ عَلَى عِيسَى عليه السلام: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٩]، **أوَّلًا**: هُم كَانُوا نَبَاتًا ضَعِيفًا؛ قَصَبَةٌ وَاحِدةٌ، القَصبةُ هَذِه أَنتَجَت، وَصَارَ لهَا فُرُوعٌ، الفُرُوعُ هَذِه قَوِيَت، وَصَلُبَت، الزَّرعُ تكَوَّن، صَارَ حِينَئذٍ مَزرَعَةً كَامِلةً، ثمَّ سَنبَلَ الزَّرعُ، صَارَ لَه سَنَابِلَ، واسْتَوَى عَلَى سُوقِه وَعَلَى قَصَبِه، تَرَى السَّنَابِلَ مَجمُوعَاتٍ، كلٌّ وَاحِدةٍ على قَصبَةٍ، هَذِه صفَةُ هذِه الأمّةِ؛ تَكونُ فِي الأوَّلِ نَبَاتًا ضَعِيفًا، ثمَّ صَارَ لَه فِرَاخٌ، ثمَّ نَمَا، حتَّى استَوَى عَلَى سُوقِه؛ لِيُعْجِبَ الزُّرَّاعَ مِن حُسنِه، هَكَذا هَذِه الأُمّةُ.

بَدَأَ الإِسلَامُ غَرِيبًا عَلَى هَذِه الصّفةِ، ثمَّ تَكَوَّنَ، وَنَمَا، وَانتَشَرَ فِي الأَرضِ، ثمَّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إذَا كَثُرَت الفِتَنُ، يعُودُ الإِسلَامُ غَرِيبًا، وَلَا يَتمسَّكُ بِه إِلَّا أَفرَادٌ مِن النّاسِ، الّذِين يَتَسَمَّونَ بِالإِسلامِ كَثِيرٌ، وَلَكنَّ الَذِين يَتمَسَّكُونَ بِالإِسلَامِ الصَّحِيحِ قَلِيلٌ غُرَبَاءُ، يَنظُرُ إِلَيهِم النّاسُ نَظَرَ استِغرَابٍ، يَقُولُون: هَؤُلَاءِ مُتَشدِّدُون، هَؤُلَاءِ فِيهِم، هَؤُلَاءِ تكفِيرِيُّون، هَؤلَاءِ...، إلَى آخِرِه.

يَنظُرُون لَهُم نَظرَةَ استِغرَابٍ، لَكِنْ لَا يَضُرُّهم إذَا تَمَسَّكُوا بِدِينِهم، نَعَم، لَا تَصِرْ مُخرِّبًا، وَلَا تَصِرْ - أَيضًا - إِرهَابِيًّا تَقتُلُ بِغَيرِ حَقٍّ، لَيسَ الإِسلَامُ أَنْ تُخَرِّبُ، أَنْ تَكُونُ إِرْهَابيًّا، هَذَا لَيْسَ مِن الإِسلَامِ، أن تكون تَكفِيرِيًّا، تُكفِّرُ النّاسَ بِغَيرِ حَقٍّ، لَا، هَذَا لَيسَ الإِسلَامُ. الإِسلَامُ دِينٌ صَحِيحٌ لَه أُصولٌ، لَه قَوَاعدُ، لَا بدَّ مِن تَعلُّمِها وَأَنْ تَعرِفَها،

ولَا تَأخُذِ الإِسلَامَ بِالتَّقلِيدِ، أَو قَولِ فُلانٍ، أَو قَولِ فُلَانٍ، بَل تَأخُذُه مِن الكِتَابِ وَالسّنَّةِ، وَذَلِك بِالتَّعَلُّمِ، وَلَيس بِالقرَاءَةِ؛ لَا تَقرَأُ عَلَى نَفسِك، ولكن تَعَلَّمْ عَلَى العُلَمَاءِ؛ حتَّى تَعرِفَ الإِسلَامَ صَحِيحًا.

المُتدَيّنُون كَثِيرُون، وَلكِنَّ الّذِين يَتَمَسَّكُونَ بِالدِّينِ الصَّحِيحِ قَلِيلٌ، انتَبِهُوا لِهَذَا !

بَدَأَ غَرِيبًا مِن الرَّسُولِ ﷺ، ثُمَّ انْضَمّ إِلَيهِ أَبُو بَكرٍ ﵁، ثُمَّ، ثُمَّ، ثُمّ، حتَّى جَاءَ المُهَاجِرُون والأَنصَارُ ﵃، حتَّى قَادَ الرّسُولُ ﷺ الأُلُوفَ فِي الغَزَوَاتِ: فِي غَزوَةِ بَدرٍ، فِي غَزوَةِ الفَتحِ، فَتحِ مَكّة.

خَرَجَ مِنهَا ﷺ هُو وَأَبُو بَكرٍ ﵁، فَقَطْ اثْنَانِ؛ ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، وَبعدَ سِتِّ سِنِينَ أَو سَبعٍ عَادَا إِلَيهَا بِجَيشٍ يَتَكوَّنُ مِن عَشرَةِ آلَافٍ مُدَجَّجِين بِالسِّلَاحِ، وَفَتَح اللهُ مَكَّةَ لَه، وَأَزَالَ الأَصنَامَ الّتِي عَلَى الكَعبَةِ وَالّتِي عَلَى الصَّفَا والمَروَةِ، وَهَدَم اللّاتَ وَالعُزَّى ومَنَاةَ، وأَرسَلَ إِلَى الأَصنَامِ، فَكُسِرتْ وَحُطِّمَت لَمّا فتحَ اللهُ مَكّةَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]؛ يَعنِي: فَتْحَ مَكّةَ، ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢]، جَاءَت الوُفودُ مِن القبَائِلِ تُبَايِعُ الرَّسولَ ﷺ بَعْدَ فَتحِ مَكّةَ.

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٢- ٣]؛ يَعنِي: وَصَلَ أَجَلُك، الأَجَلُ وَصَلَ؛ فعَلَيكَ بِالاستِعدَادِ لِلمَوتِ.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣]، تُوُفِّي

وَرَوَاه أَحمَدُ عَن ابْنِ مَسعُودٍ ﷺ، وَفِي آخِرِه: «فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، آخِرُه: قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ»[1].[٦٩]

الرَّسولُ ﷺ والإِسلَامُ عَزِيزٌ، وَأَهلُه كثِيرٌ، ثمَّ تَنَامَوا، وَانتَشَر فِي الأَرضِ عَلَى يَدِ المُجَاهِدِين مِن أَصحَابِه ﷺ، حتَّى عَمَّ الأَرضَ كلَّهَا، وَبَلَغَ مبلَغَ اللّيلِ والنَّهارِ، لَيْسَ هناكَ مَكانٌ إِلَّا وَدَخلَه الإِسلَامُ، ودَخلتْ المَمالِكُ الكَبِيرَةُ تَحتَ حُكم المُسلِمِين؛ لِأَنَّ هَذَا الدِّينَ مِن عِندِ اللهِ ﷻ، وَاللهُ نَاصِرٌ دِينَه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، صَدَقَ اللهُ وَعدَه، فَانتَشَر هَذَا الدِّينُ، وعَمَّ المَشَارِقَ وَالمغَارِبَ، ظَهَرَ دِينُ اللهِ عَلَى سَائرِ الأَديَانِ؛ كمَا وَعَدَ اللهُ ﷻ.

قَولُه ﷺ: «وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا»، فِي آخرِ الزَّمَانِ يَعُودُ الإِسلَامُ غَرِيبًا؛ **يَعنِي**: لَا يَتَمسَّكُ بِه إِلَّا القَلِيلُ - الإِسلَامُ الصَّحِيحُ -، وإِلَّا الإِسلَامُ المُدَّعَى هَذَا كثِيرٌ؛ لَا يَبقَى عَلَى الإِسلَامِ الصَّحِيحِ إِلَّا القَلِيلُ مِن النّاسِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٦٩] **قَولُه ﷺ: «طُوبَى»**، طُوبَى **يَعنِي**: الجنّةَ، طُوبَى قِيلَ: الجَنَّةُ، وَقِيلَ شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ.

قَولُه ﷺ: «لِلغُرَبَاءِ»؛ فِي آخرِ الزّمانِ؛ **يَعنِي**: يَصبِرُون عَلَى دِينِهم، وَيَتَمَسَّكُونَ بِه؛ فَلَهم الجَنَّةَ.

---

(١) أخرجه: أحمد رقم ((٣٧٨٤)).

قوله: «**قِيلَ: وَمِنَ الغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ**»»[١]، لَا يَنظُرُونَ لِلنَّاسِ، يَنظُرُونَ لِهَذَا الدِّينِ، وَيتَمَسَّكُونَ بِهِ، وَلَو أَصَابَهم مَا أَصَابَهم.

وَفِي رِوَايةٍ: «طُوبَى لِلغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِن سُنَّتِي»[٢]؛ **يَعنِي**: يَجمَعُون بَيْنَ الوَصْفَين؛ يَصْلُحُون ويُصْلِحُونَ، هَؤلَاءِ الغُرَبَاءُ. دُعَاةُ الشَّرِّ كَثِيرٌ، بَل بِاسمِ الإِسلَامِ، يُدعَونَ بِاسمِ الإِسلَامِ، وَهُم يَدْعُونَ إِلَى الشَّرِّ، «**دُعَاةٌ عَلَى أَبوَابِ جَهَنَّمَ، مَن أَجَابَهُم إِلَيهَا، قَذَفُوهُ فِيهَا**»[٣]، لَكنَّ مَن يَدعُو إِلَى الإِسلَامِ الصَّحِيحِ قَلِيلٌ، وَلَكنَّه هُو الخَيرُ، وَهُو الغَرِيبُ بَيْنَ النَّاسِ، يَصبِرُ عَلَى هَذَا

قَولُه ﷺ: «**طُوبَى لِلغُرَبَاءِ**»، هَذَا مَعنَاه أَنَّه يَحصُلُ عَلَيه ضَغطٌ مِن المُجتَمَعِ وَمِن النَّاسِ، لَكنْ طَالَمَا هُو عَلَى الحقِّ، يَصبِرُ، أَمَّا إِذَا كَانَ عَلى غَيرِ حَقٍّ، فَإِنَّه يَرجِعُ لِلحَقِّ، وَلَا يَبقَى عَلَى مَا هُو علَيه.

الغُرَباءُ الَّذِينَ هُم عَلَى الدِّينِ الصَّحِيحِ، وَلَيسَ الدِّينُ المُدَّعَى، أَو الذِي عَلَيه النَّاسُ، أَو الَّذِي يَقُولُه فُلانٌ وَفُلانُ، لَا، الذِي قَالَه اللهُ ورَسُولُه ﷺ، الدِّينُ الصَّحِيحُ مَا قَالَه اللهُ وقَالَه الرَّسُولُ ﷺ:

الْعِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أُولُو الْعِرْفَانِ

هَذَا الدِّينُ الصَّحِيحُ: قَالَ اللهُ، قَالَ رَسُولُهُ، قَالَ الصَّحَابَة ﷺ هُم أُولُو العِرفَانِ؛ صَحَابَةُ الرَّسُولِ ﷺ.

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (١٦٦٩٠).

(٢) أخرجه: الترمذي رقم (٢٦٣٠).

(٣) أخرجه: البخاري رقم (٣٦٠٦)، ومسلم رقم (١٨٤٧).

وَرَوَاهُ الْآجُرِيُّ، وَعِنْدَهُ: قِيلَ: «مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ». [٧٠]

مَا الْعِلْمُ نَصْبَكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فُلَانِ

الرَّسُولُ ﷺ يقُولُ كذَا، وَفُلانٌ يقُولُ كَذَا، وَفُلانٌ رَجلٌ، وَدَاعِيةٌ، وعَالِمٌ، وَعَليه أُبَّهَة، لَكِنّه ضَالٌّ - والعِيَاذُ بِاللهِ -، لَيْسَ لَه قِيمَةٌ عِندَ اللهِ.

مَا الْعِلْمُ نَصْبَكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فُلَانِ

خُذ النّصُوصَ، واتْرُك آرَاءَ النّاسِ، لَكنْ سَتُصبِحُ غَرِيبًا بَيْنَ النّاسِ، اصْبِر، اصْبِر علَى دِينِك وقَولِ الحَقِّ، وَلَو حَصَلَ عَليكَ مَا حَصَلَ، لَا تَعتَدِ عَلَى النّاسِ، وَلَكنّ الزَمْ الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ.

قَولُه ﷺ: «النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ»؛ يَعنِي: الأَفرَادُ، **يَعنِي**: القَبِيلةُ كُلُّهَا لَيسَ بِها إِلّا فردٌ وَاحِد مُتَمسِّكٌ بِدِينِه، هَذَا غَرِيبٌ بَيْن القَبَائِل.

النُّــزَّاعُ: أَفرَادٌ قلِيلُون يَعرِفُونَ الحَقَّ، وَيَعمَلُون بِه، وَيَصبِرُون عَلَيه.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[٧٠] الآجُرِي: راوي الحَدِيثِ.

قَولُه ﷺ: «الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»، وَلَا يَنظُرُونَ لِلنّاسِ، وَيقُولُ أَحدُهم: كلُّ النّاسِ عَلَى هَذَا، وَأَنَا وَحدِي؟! ابقَ وَحدَكَ، إِذَا كُنتَ عَلَى حَقٍّ، لَا يَضُرُّك، هَذَا عزٌّ لَكَ. تَقولُ: أَنَا - وَاللهِ - أَعِيشُ مَعَ النّاسِ، وَلَن أَذهَبَ أُنَازِعُ النّاسَ. أَصلِح نَفسَكَ، وَلَو فَسَدَ النّاسُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥].

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

وِلأَحمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي حَدِيثِ سَعدِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: «فَطُوبَى يَوْمَئِذٍ لِلغُرَبَاءِ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»[1]. [٧١]

---

[٧١] طُوبَى للغُرَبَاءِ مَتَى؟ إِذَا فَسَد النّاسُ، انظُر! النّاسُ كُلُّهم، لَيْسَ الكفَّارُ، الكُفَّارُ مَعرُوفُون، لَكنْ فَسَدَ المُسلِمُون، فَسَدُوا؛ دَخلَهم مَا دَخلَهم مِن الأفكَارِ، وَالآرَاءِ، والأهوَاءِ، وَالفِرقِ، وَالمنَاهِجِ، والجَمَاعَاتِ المُختَلِفَةِ.

أَنتَ تَلزَمُ طَرِيقَ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَو أَصبَحتَ غَرِيبًا بَيْنَهم، اصْبِر عَلَى الغُربَةِ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، هَؤُلاءِ هُم رِفَاقُك فِي هَذَا الطَّرِيقِ، لَا تَستَوحِشْ؛ مَعَك الرَّسُولُ ﷺ، وَمَعَك الصَّحَابَة رضي الله عنهم وَأَتبَاعهم: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾، كَيفَ تَستَوحِشُ وَهؤلَاءِ مَعَك؟! لَا تَستَوحِشُ وَهَؤُلَاءِ مَعَك فِي الطَّرِيقِ، ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾؛ يُرَافِقُونَك عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ.

كَونُك مَعَ أَبِي بَكرٍ، وَعُمرَ، وعُثمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَالصَّحابَةِ رضي الله عنهم، أَو كَونُك مَعَ فُلانٍ وَعِلّانٍ مِن أَهلِ الضَّلَالِ، وَلَو كَانُوا يَدَّعُونَ الإِسلَامَ، وَهُم عَلَى ضَلالٍ؟ لَا تَذهَبْ مَعَهُم، ابْقَ عَلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، اصْبِر عَلَيه، اثْبُت عَلَيهِ؛ حَتَّى تَصِلَ إِلَى الجَنَّةِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (١٦٠٤).

وَلَهُ عَنِ ابْنِ عَمرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «أُنَاسٌ قَلِيلٌ صَالِحُونَ، فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»[1].[٧٢]

---

[٧٢] لَاحِظ! مَن هُم الغُرَبَاءُ؟ بيَّنَهم الرَّسُولُ ﷺ: «**أُنَاسٌ قَلِيلٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ**»، هَؤلَاءِ هُم الغُرَبَاء.

أَنتَ يُهِمُّك الصَّلاحُ؛ أَنْ تكُونَ مَع الصَّالِحِين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، يَهمُّك الصَّلاحُ والصَّالِحُونَ، ولَا تَنظُر إلَى الكَثرَةِ المُخَالِفَةِ، إِذَا كَانُوا عَلَى غَيرِ حَقٍّ، ابقَ مَعَ الصَّالِحِين، وَلَو كَانُوا قَلِيلِين.

وقَد قَالَ ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه: «**إِنَّمَا الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ**»[2]، أَنتَ الجَمَاعةُ طَالَمَا أَنَّك علَى حَقٍّ، فَأَنتَ الجَمَاعَةُ، وَمَا عَدَاكَ، فَلَيسُوا جَمَاعةً، وَإِنْ كَانُوا كَثِيرِين.

قَولُه ﷺ: «**أُنَاسٌ قَلِيلٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ**»، هَذِه صِفَة.

قَولُه ﷺ: «**مَن يَعصِيهم أَكثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُم**»: الَّذِينَ يَعصُونَك أَكثَرُ مِمَّن يُطِيعُونَك، وَلَو كَانَ الَّذِينَ يُطِيعُونَك قَلِيلِين، اصبِرْ، اترُك المُخَالِفِين، وَلَو كَانُوا كَثِيرِين، لَا تَذهبْ مَعَهُم وَتَغتَرَّ بِهِم، تَقولُ: هَؤُلَاءِ سَيُعاوِنُونَكَ؟ لَا، طَالَمَا هُم عَلَى ضَلالٍ، اترُكهُم، لَا خَيرَ فِيهِم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (٦٦٥٠).

(٢) أخرجه: اللالكائي في اعتقاد أهل السنة رقم (١٦٠).

وفِي الزُّهْدِ عَنهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: **عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمرٍو قَالَ: «إِنَّ أَحَبَّ شَيءٍ إِلَى اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ **الغُرَبَاءُ، قَالَ: الفَرَّارُونَ بِدِينِهِمْ، يَبْعَثُهُمُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ**»، رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنِ الهَيْثَمِ بْنِ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ هُرْمُزَ، عَنْهُ**[1]. [٧٣]

---

[٧٣] **قَولُه** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وفِي الزُّهْدِ عَنهُ**»؛ كِتَابٌ لِلإِمَامِ أَحمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ، كتَابُ الزُّهدِ مَعرُوفٌ مَطبُوعٌ.

الغُرَبَاءُ مَن هُم؟ «**الفَرَّارُونَ بِدِينِهِمْ**»: الذِينَ يَفِرّون بِدِينِهم مِن الفِتنِ، يُهَاجِرون إِلَى بَلَدِ الصَّلاحِ، إِذَا فَسَدَ البَلَدُ، يَخرُجُون إِلَى البَرِّ، يَسكُنون فِي البَرِّ، يَرعُونَ الغنَمَ، يَرعُونَ الإِبلَ فِي الجِبَالِ، يَتَمَسَّكُون بِدِينِهم خَيرًا لَهُم مِن العَيْشِ فِي المُدنِ والقُصُورِ.

قَولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَبْعَثُهُمُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ»، عِيسَى بنُ مَرِيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنزِلُ فِي آخِرِ الزّمانِ، وَيَقتُلُ الدَّجَّالَ، وَيَتوَلَّى أَمرَ المُسلِمِين، وَيَحكُمُهم بِالإِسلَامِ بِدِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَحشُرُهم اللهُ مَعَه يَومَ القِيَامةِ؛ لِأَنَّهم تَبِعُوه عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه: أحمد في الزهد رقم (٤٠٤).

وِلِأحمَدَ: عَنِ المُطَّلِبِ بْنِ حَنْطَبٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «طُوبَى لِلغُرَبَاءِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ الغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يَزِيدُونَ إِذَا نَقَصَ النَّاسُ»(١).[٧٤]

ولِلتِّرْمِذِيِّ مِن حَدِيثِ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ المُزَنِيِّ، عَن أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «طُوبَى لِلغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي»(٢)، قَالَ الأَوْزَاعِيُّ فِي مَعنَى الحَدِيثِ: أَمَا إِنَّه مَا يَذْهَبُ الإِسْلَامُ، وَلَكِنْ يَذْهَبُ أَهلُ السُّنَّةِ، حَتَّى مَا يَبْقَى فِي البَلَدِ مِنْهُم إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ.[٧٥]

---

[٧٤] مَا زَالَ الحَدِيثُ فِي الغُربَاءِ فِي آخِرِ الزّمانِ.

والغَرِيبُ: هُو الّذِي يَعِيشُ مَع غَيرِ جِنسِه، والصَّالِحُون فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَعِيشُون مَعَ غَيرِ جِنسِهم؛ لِذَلِك صَارُوا غُرَبَاءَ.

جَاءَ فِي تَفسِيرِهم - كمَا سَبَقَ -: «**الَّذِينَ يُصلِحُون إِذَا فَسَدَ النَّاسُ**»، هَؤُلاءِ غُربَاءُ.

وَجَاءَ: هُم «**الَّذِينَ يُصلِحُونَ مَا أَفسَدَ النَّاسُ**».

وَجَاءَ فِي هَذَا الحَدِيثِ: «**الَّذِينَ يَزِيدُونَ إِذَا نَقَصَ النَّاسُ**»؛ **يَعنِي**: يَتَمسَّكُونَ بِالدِّينِ، إِذَا النَّاسُ نَقَصُوا مِن الدِّينِ، هُم لَا يُنقِصُون دِينَهم، يَتَمسَّكُونَ بِه، وَكلُّ الرِّوَايَاتِ لَا تَختَلِفُ؛ الغُربَاءُ يَجمَعُونَ هَذِه الأَوصَافَ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[٧٥] **قَولُه ﷺ**: «**مِنْ سُنَّتِي**»، هَذَا فِيهِ تَفسِيرُ مَا أَفسَدَ النّاسُ مِن مَاذَا؟ مِن سُنّةِ الرَّسُولِ ﷺ.

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ١٨٤، ١٨٥).

(٢) أخرجه: الترمذي رقم (٢٦٣٠).

وَفِي المُسنَدِ: عَن عُبَادَةَ ﷺ أَنَّه قَالَ لِرَجلٍ مِن أَصْحَابِه: «يُوشِكُ أَنْ تَرَى الرَّجُلَ قَد قَرَأَ القُرآن عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَعَادَهُ وَأَبْدَاهُ، فَأَحَلَّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، وَنَزَلَ عِنْدَ مَنَازِلِهِ، لَا يَحُورُ فِيكُمْ إِلَّا كَمَا يَحُورُ رَأْسُ الْحِمَارِ الْمَيِّتِ»(١).[٧٦]

فهُم يُبيِّنونَ السّنَّةَ، إذَا جَهِلَها النَّاسُ، أَو تَسَاهَلُوا فِيهَا، يُبيِّنُونَها لِلنَّاسِ؛ **يَعنِي**: يَحتَفِظُون بِالسّنةِ.

الأَوزَاعِي أَحدُ الأَئِمةِ الكِبَارِ مِن أَهلِ الشَّامِ رَحِمَهُ اللهُ يُفسِّرُ هذِا الحَدِيثَ، فَيقولُ: الغُربَاءُ هُم الّذِينَ يَتمسَّكُونَ بِالسّنةِ، إِذَا تركَها النّاسُ، حتَّى وَلَو لَم يَكنْ فِي البَلدِ إِلَّا وَاحدٌ، فهُو أَهلُ السّنةِ، وَهُو الغَرِيبُ، لَا يقُولُ: أُرِيدُ أنْ أَصِيرَ مَعَ النّاسِ، ولَسْت مُنعَزِلًا عَنهُم. لَا، اصبِرْ، تَمَسَّكْ بِالسّنةِ، وَاصْبِر، ولَو كُنتَ وَحدَكَ، فَأَنتَ الجمَاعَةُ، وَأَنتَ أَهلُ السّنَّةِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٧٦] الّذِي يتمسَّك بِالسّنةِ فِي آخِرِ الزَّمانِ يُرخَّصُ عَلَى النّاسِ؛ مِثلَما رَخُصَ عَلَيهم رَأسُ الحِمَارِ الميِّت؛ مِن الزُّهدِ بِالسّنةِ وَأَهلِها.

لَكنَّ المُسلِمَ يَصبِرُ علَى هَذَا، يَصبِرُ عَلى الدِّينِ، يَصبِرُ عَلَى السّنةِ، وَلَا يَنخَرِطُ مَعَ النّاسِ، أَو يَنظُرُ لِرِضَاهُم، إِنَّما يَتمَسَّك بِالسّنةِ النَّبَوِيةِ، وَسَيلقَى مَشقَّةً، وَيَلقَى غُربَةً، ويَلقَى أَذًى، لَكِنْ يَصبِرُ عَلَى هذَا، وَلَو رَخُصَ عَلَى النَّاسِ، وَعيَّرُوه، وَسَبُّوه، وَوَصَفُوه بِالتَّشَدُّدِ، وَوَصَفُوه بِالتَّكفِيرِيِّ، وَوَصَفُوه بِأيِّ وَصفٍ، لَا يَهُمُّه، مَا دَامَ أَنَّه عَلَى السُّنَّةِ وعَلَى الحقِّ، لَا يَهُمُّه كَلَامُ النّاسِ، يَصبِرُ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (١٧١٤٠).

بَابُ لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ

وَلِلبُخَارِيِّ: عَن الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنس بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيهِ مَا نَلقَى مِن الحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ[1]. [٧٧]

---

[٧٧] **قَولُه: «أَتَيْنَا أَنَسَ»**، أَنَسُ بنُ مَالكٍ رضي الله عنه خَادِمُ الرَّسُولِ ﷺ.

شَكَوا إِلَيه مَا يَجِدُون مِن ظُلمِ الحَجَّاجِ؛ الحَجَّاجُ أَمِيرٌ مِن أُمَرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ، أَمِيرٌ عَلَى العِرَاقِ، وَهُو ظَالِمٌ، وشَدِيدٌ، وَعِندَه قَسوَةٌ، فَشَكَوا إِلَى أَنَسِ بنِ مَالكٍ رضي الله عنه مَا يَلقَونَ مِن ظُلمِ الحجَّاج وَقَسوَتِه عَلَيهم.

قوله: **«فَشَكَوْنَا إِلَيهِ مَا نَلقَى مِن الحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا»»**، اصْبِرُوا عَلَى ظُلمِه، عَلَى قَسوتِه.

قَولُه رضي الله عنه: **«فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُم زَمَانٌ إِلَّا الّذي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حتى تلقوا ربكم، سَمِعْتُهِ من نبيِّكم ﷺ»**؛ **«لَا يَأْتِي عَلَيْكُم زَمَانٌ»**، هَذَا مَحلُّ الشَّاهِدِ، **«لَا يَأْتِي عَلَيْكُم زَمَانٌ إِلَّا الّذي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ»**؛ يَتحوَّلُ النّاسُ شَيئًا فَشَيئًا؛ كلُّ أَهلِ فَترةٍ أَسوأُ مِن الّذِينَ قَبلَهم، حتَّى يُصبِحَ الدِّينُ غَرِيبًا فِي النَّاسِ فِي آخِرِ الزّمانِ.

هَذَا الحَدِيثُ فِيهِ أَنَّه كُلَّما تَأَخَّرَ الزّمانُ، اشْتَدّت الغُربَةُ لِأَهلِ الدِّينِ، فَعَلَيهِم بِالصَّبرِ. فَأَنسٌ رضي الله عنه أَمَرَهم بِالصَّبرِ على الحَجَّاجِ، وَهَذا فِيهِ دَليلٌ عَلَى الصَّبرِ عَلَى ظُلمِ الوُلَاةِ - وَإِنْ جَارُوا، وَإِنْ ظَلمُوا -؛ لِأَنَّ فِي هَذَا

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٧٠٦٨).

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعِلْمُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُو؟ قَالَ: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ»[1].[٧٨]

جَمْعًا لِلكَلِمةِ، وَاستِقرَارًا لِلأمنِ. والخُرُوجُ عَلَى وَلِيِّ الأمرِ يُسبِّبُ الشَّرَّ والفِتنَةَ، يُسبِّبُ سَفكَ الدّماءِ وضَياعَ الأمنِ؛ فَهُو أَشدُّ مِن صَبْرِهم عَلَى ظُلم الرَّاعِي.

لَا شَكَّ أنَّ ظُلمَ الرَّاعِي لَا يَجُوزُ، لَكِنّه أَخفُّ مِن ضَيَاعِ الكَلمَةِ وَاختِلَالِ الأمنِ وَسَفكِ الدّماءِ فِي الخُروجِ عَلَيهِ، الصّبْرُ عَلَى ظُلمِهِ أَخفُّ مِن الخُرُوجِ عَلَيهِ وانْفِلَاتِ الأمنِ نِهَائيًّا؛ هَذَا مِن ارتِكَابِ أَخَفِّ الضَّرَرَين لِدَفعِ أعلاهُما؛ كمَا هِيَ القَاعِدةُ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[٧٨] هَذَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ تَزِيدُ الفِتنُ، وَتَشتَدُّ، مَاذَا نَعمَلُ؟

الصَّبْرُ، اصْبِرُوا، تَمسّكُوا بِدِينِكُم، وَاصْبِرُوا، هَذَا هُو الحَلُّ، لَيْسَ لَكُم غَيرُ الصَّبْرِ علَى الدّينِ، ولأنّه وَرَدَ أنَّ القَابِضَ عَلَى دِينِه فِي آخِرِ الزَّمَانِ كَالقَابِضِ عَلَى الجمرِ[2]؛ مِن شدَّةِ مَا يَلقَى، بِسَببِ تَمسّكِهِ بِدِينِه يَلقَى مِن النّاسِ الأَذَى والمُضَايقَةِ وغَيرِ ذَلِك مِن أَنوَاعِ الأذَى، فَيَصبِرُ، لَيْسَ هناكَ حَلٌّ إلَّا الصّبْرُ.

قَولُه ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ»؛ يَعنِي: يَتَقَاربُ الزّمانُ، وَينشَغلُ النّاسُ، وَيَمرُّ الوَقتُ عَلَيهم بِسُرعَةٍ؛ مِثلَمَا هُو مُشَاهدٌ الآنَ، مَا شَاءَ اللهُ

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٥٧).

(٢) أخرجه: أبو داود رقم (٤٣٤١)، والترمذي رقم (٣٠٥٨).

أَسْبُوعٌ وَرَاءَ أُسبُوعٍ علَى الفَورِ، هَذَا مِن تقَارُبِ الزّمَانِ؛ لأنّ النّاسَ مَشغُولُون بِالدّنيَا، ومَشغُولُون بِتِجَارَتِهم، وَمَشغُولُونَ بِوَظَائِفِهم، وَيَذهَبُ الوَقتُ، وَلَا يَدرُونَ.

قَولُه ﷺ: «وَيَنْقُصُ العَمَلُ»، هذَا مَحلُّ الشَّاهِدِ؛ يَنقُصُ عمَلُ النّاسِ، العمَلُ الصَّالِحُ يَعنِي؛ لِأنَّه لَا يَجتَمعُ العمَلُ الصَّالِحُ مَعَ الانْشِغَالِ بِالدّنيَا، لَا بدَّ أنْ يَقضِي أَحدُهم عَلَى الثّانِي، أَو يُغلَّبُ عَلَيه، فَالّذِي يَنشَغِلُ بِالدّنيَا، يَخِفّ عَلَيه الدِّينُ، والّذِي يَنشَغِلُ بِالدّنيَا، تَخِفّ عَلَيهِ الدّنيَا.

قَولُه ﷺ: «وَيُلْقَى الشُّحُّ»، الشَّحُّ **يَعنِي**: إِمسَاكُ المَالِ، وعَدمُ الإِنفَاقِ فِي سَبيلِ اللهِ.

قَولُه ﷺ: «وَتَظْهَرُ الفِتَنُ»، الّتِي هِي الفِتنُ فِي الدِّينِ؛ **يَعنِي**: فِتنَةُ المَالِ، فِتنَةُ النّسَاءِ، فِتنَةُ التَّساهُلِ فِي أمُورِ الدّنيَا، فِتنَةُ التَّشبُّهِ بِالكفَّارِ، هَذِه فِتنٌ كلُّها تكثُرُ.

قَولُه ﷺ: «وَيَكْثُرُ الهَرْجُ»، الهَرْجُ هُو القَتلُ؛ **يَعنِي**: سَفكُ الدِّمَاءِ - والعِيَاذُ بِاللهِ -، إِذَا جَاءَت الفِتنُ، وَتَفرَّقَ النّاسُ، بَدَلَ الجمَاعَةِ تَفرّقُوا، حَصَلَ بَينَهُم القِتَالُ، وَقَتَلَ بَعضُهم بَعْضًا - كَمَا هُو مُشَاهَد -، فَلَا أَمَانَ إِلَّا بِجمَاعَةٍ، وَلَا جمَاعَةَ إِلّا بإِمَامَةٍ، وَلَا إِمَامةَ إِلّا بِسَمعٍ وَطَاعةٍ، لَا بدَّ مِن هَذِه الأمُورِ.

قوله: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُو؟ قَالَ: «القَتْلُ القَتْلُ»»، الهَرْجُ **يَعنِي**: **«القَتْلُ القَتْلُ»**؛ أيْ: يَكثُرُ القَتلُ، إِذَا كَثُرَ الخِلافُ، تَفرّق النّاسُ، قَتلَ بَعضُهم بَعضًا، وَهَذا مِن مَفَاسدِ تَركِ الجمَاعَةِ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

بَابُ تَحرِيمِ رُجُوعِ المُهَاجِرِ إِلَى اسْتِيطَانِ وَطَنِهِ

وَلَه عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ﷺ، وقَد قَالَ لَهُ الحَجَّاجُ: ارْتَدَدْتَ عَلَى عَقِبَيْكَ؟ تَعَرَّبْتَ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَذِنَ لِي فِي الْبَدْوِ»[1]. [٧٩]

---

[٧٩] **قَولُه** رَحِمَهُ اللهُ: «**بَابُ تَحرِيمِ رُجُوعِ المُهَاجِرِ إِلَى اسْتِيطَانِ وَطَنِهِ**»، مَن هَاجَرَ مِن وَطنِه بِدِينِه - فَرّ بِدِينِه مِن وَطنِه - وَطنُهُ مَحلّ شَرٍّ، فَهَجَرَه، وَسَافرَ إِلَى بَلدٍ أَحسَنَ؛ لِيَتَمسَّكَ بدينِه، يَبقَى، وَلَا يَرجِعُ، وَلَو تَحسَّن بَلدُه، لَا يَرجِعُ إِلَيهِ؛ إِبقَاءً لِلهِجرَةِ.

وَلِذَلِك الصّحابَةُ ﷺ هَاجرُوا إِلَى المَدِينةِ فِرَارًا بِالدِّينِ مِن مَكّةَ، لَمَّا فُتِحَت مَكّةُ، ودَخلَت فِي وِلَايةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَسلَمَ أَهلُها، لَم يَرجِعِ الصَّحَابَةُ ﷺ إِلَيهَا مِن أَهلِ الهِجرَةِ، حتَّى تَبقَى لَهم الهِجرَةُ، فَمِن تَرَك وَطَنَه للهِ، وتَرَك شَيئًا للهِ، لَا يَرجِعُ فِيهِ.

قَولُه ﷺ: «**لَا، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَذِنَ لِي فِي الْبَدْوِ**»؛ البَدوُ يَعنِي: بَدَلُ الحَاضِرةِ؛ يكُونُ مَعَ البَدوِ - مَعَ الأَعرَابِ -، إِذَا احتَاجَ إِلَى هَذَا، مِثلَمَا سَبَقَ أَن كَونَهُ يَرعَى غَنمًا فِي الجبَلِ أَفضَلُ مِن أَنْ يَبقَى فِي البَلدِ الّذِي فِيه شَرٌّ، فيَفِرّ بِدِينِه مِن البَلدِ الّذِي فِيهِ شَرٌّ، وَلَو يَرعَى الغَنَمَ، وَلَو يَعِيشُ وَحدَه، يَتَمَسّكُ بِدِينِه.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٨٦٢).

بَابُ إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفِهِمَا

وَلِلبُخَارِيِّ عَن الأَحْنَفِ أَنَّه قَالَ: خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَحْنَفُ؟، فَقُلْتُ: أُرِيدُ نَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ - يَعْنِي عَلِيًّا - قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا أَحْنَفُ ارْجِعْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» فَقُلْتُ: أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ»[1]. [٨٠]

---

[٨٠] **قوله رَحِمَهُ اللهُ: «بَابُ إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفِهِمَا»**؛ تَحرِيمُ القَتلِ بَينَ المُسلِمِين: لَا يَجُوز القَتلُ بَيْن المُسلِمِين، وَلَو اختَلَفُوا، لَا يَتقَاتلُون؛ لأَنَّهم إِخوَةٌ، وَلَا يَتقَاتلُون مِن أَجلِ المَالِ، مِن أَجلِ العَصَبيّةِ؛ إِخوَةٌ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

والأَخُ لَا يَقتُلُ أَخَاهُ فِي الإِسلَامِ، ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، لَا تَترُكُوهُم يَتقَاتَلُون، أَصلِحُوا.

﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [الحجرات: ٩]؛ لَا تَقبَلُ الصُّلحَ، تُرِيدُ أَنْ تَقتُلَ، ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ [الحجرات: ٩]؛ قَاتِلُوهَا ﴿حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ [الحجرات: ٩].

لَا يُترَكُون يَتقَاتَلُون؛ بَل نَفصِلُ بينَهم، وَنُصلِحُ بَيْنَهم، وَإِذَا قَبِلُوا، فَالحَمدُ للهِ، إِذَا لَم يَقبَلْ أَحَدُهُمْ، فَالَّذِي لَا يَقبلُ يُقَاتَلُ؛ مِن أَجلِ مَنعِ

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٣١)، ومسلم رقم (٢٨٨٨).

الفِتنَةِ بَيْن المُسلِمِين، هَذَا مَنهجُ الرَّسُولِ ﷺ فِي الفِتَنِ.

قَولُه ﷺ: «**بِسَيْفِهِمَا**»؛ كلُّ وَاحِدٍ يُرِيدُ أنْ يَقتُلَ الآخِرَ، فهما مُسلِمَان وكلٌّ وَاحِدٍ يُريدُ أنْ يَقتُلَ الآخَرَ، حَرامٌ هَذَا.

قَولُه ﷺ: «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيهِما، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولُ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْل صَاحِبِهِ**»؛ يُعَاقَبُ عَلَى نِيتِه.

قَولُه: «**أُرِيدُ نَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ** ﷺ»؛ يَعْنِي: عَلِيًّا رضي الله عنه، لمَّا حَصَلَت الفِتنَةُ بَيْن أَهلِ الشّام وَبَيْن عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، الخَلِيفَةُ الرَّابِعُ رضي الله عنه، بَعضُ المسْلِمِين انْضَمَّ إِلَى عَليٍّ رضي الله عنه؛ نُصرةً لِابنِ عَمِّ الرَّسُولِ ﷺ، وبَعضُهم انْضَمَّ إِلَى جَيشِ الشّام معَ مُعَاوِيةَ رضي الله عنه، كلُّ الفَرِيقَين مُسلِمُون؛ أَهلُ الشّام وَالّذِينَ مَعَ عَلِيٍّ رضي الله عنه كلُّهُم مُسلِمُون، فَهِي قِتَالٌ بيْن المُسلِمِين، هُنَاكَ فِتنةٌ.

قَولُه ﷺ: «**إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيهِما، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»، هَذَا أَبُو بَكْرَة رضي الله عنه لَقِي هَذَا الرجُلَ لمَّا حَصَلتْ الحَربُ بَيْن عَليٍّ ومُعَاوِيةَ رضي الله عنهما، عَلِيٌّ رضي الله عنه عَلَى أَنَّه الخَلِيفةُ وَمُعاوِيةُ رضي الله عنه يَطلُبُ الّذِينَ قَتَلُوا عُثمَانَ رضي الله عنه، يُرِيدُ القَصَاصَ مِنهُم، كلُّ وَاحِدٍ مِن الصَّحَابِيَّين مُجتَهِدٌ رضي الله عنهما، هَذَا عَلَى أنّه خَلِيفةٌ، وهُم خَرَجُوا عَلَيه، وَهَؤلَاءِ عَلَى أَنَّهم يُطَالِبُون بِدَمِ عُثمَانَ رضي الله عنه، يَطلُبُون الّذِين قَتلُوه، يُرِيدُون القَصَاصَ مِنهُم.

فَخَرَجَ هَذا الرَّجلُ يُرِيدُ أنْ يَنضَمَّ إِلَى علِيٍّ الخَلِيفَةِ، فَلَقِيَه أَبُو بَكرَةَ رضي الله عنه، سَأَلَه: أَينَ تَذهَبُ؟ قَالَ: «**أُرِيدُ نَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ** ﷺ»،

هَذَا غَرضٌ طَيِّبٌ، لَكنْ لَمَّا كَانَ فِيهِ فِتنَةٌ بَيْن المُسلِمين، قَالَ لَه: ارْجِعْ، لَا تَدخُلُ فِي الفِتنَةِ؛ فَإِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيهِما، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولِ فِي النَّارِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولُ؟، هذَا القَاتِلُ فِي النَّارِ؛ لِأنَّه قَتَلَ، لَكنَّ المَقتُولَ لِمَاذَا صَارَ فِي النّارِ، وَهُو مَقتُولٌ؟ دخَلَ النّارَ بِنِيتِه؛ لِأنَّه يَنوِي قَتلَ صَاحِبِه، لَو حَصَلَ لَه، فَهَذَا فَعَلَ القَتْلَ، وهَذَا نَاوٍ لِلقَتلِ، وَهَذا دَليلٌ عَلَى أنَّ الإِنسَانَ يُؤَاخذُ علَى النّيةِ.

قَولُه ﷺ: «**إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ**»: القَتِيلُ كَانَ يُرِيدُ قَتلَ صَاحِبِه، فيُعَاقَبُ عَلَى نِيتِه - والعِيَاذُ بِاللهِ -.

فهَذَا الحَدِيثُ فِيهِ: أَنَّ الإِنسَانَ لَا يَدخُلُ فِي الفِتنَةِ بَيْن المُسلِمين، يَعتَزِلُ الفِتنَةَ مَهمَا أمكَنَه ذَلِك؛ إنْ حَصَلَ، يُصلِحُ بَينَهُم، هَذَا مَطلُوبٌ، إِذَا لَم يَحصُلْ الصُلْحُ بَينَهُم؛ فَهُو يَتَجنَّبُ القِتالَ، وَلَا يَدخُلُ مَعَ هَذَا، وَلَا مَعَ هَذَا.

✽ ✽ ✽ ✽ ✽

وَلِمُسلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ» فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»(١).[٨١]

---

[٨١] **قَولُه ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ»؛ يَعنِي:** فِتنَةً بَيْن المُسلِمين؛ يَتقاتَلُون، وَلَا يَدرِي القَاتِلُ مَا السَّببُ أَنَّه قَتلَ هَذَا المُسلِمَ، والمَقتُولُ لَا يَدرِي مَا سَببُ قَتلِه؛ **يَعنِي:** فِتنَةٌ لَيْسَ مَعَها شُعُورٌ؛ لِأَنَّ الفِتنَةَ إِذَا اشتَعَلَت، يَصعُبُ إِطفَاؤُها، لَكنْ قَبْلَ أَنْ تَشتَعِلَ مِن المُمكِنِ تَلافِيهَا، لَكنْ إِذَا نَشَبَت - والعِيَاذُ بِاللهِ - الفِتنَةُ، صَعُبَ إِطفَاءُ الفِتنَةِ، فيَقتُلُ وَهُو لَا يَدرِي مَن الَّذِي أَمَامَه، وَلَا مَن قَتلَ.

هَذَا فِيهِ شَرُّ الفِتَنِ - والعِيَاذُ بِاللهِ -، وَفِيهِ أَنَّ المُسلِمَ يَتجَنَّبُ الفِتنَ، وَلَا يَدخُلُ فِيهَا بَيْن المُسلِمِين، وَإِنَّمَا يُصْلِحُ بَينَهم - إِذَا أَمكَنَ - وَإِذَا لَم يُمكِنْ يَعتَزِلُ الفِتنَةَ، يَبعِدُ عَنهَا.



---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٠٨).

بَابُ هَلَاكِ الأُمَّةِ بَعْضِهِم بِبَعضٍ

ولِمسلم: عن ثوبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ - قال ابنُ مَاجَه: «يَعْنِي الذّهبَ والفضّةَ - وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[1].[٨٢]

---

[٨٢] قَولُه ﷺ: «حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُم يُهْلِكُ بَعْضًا»؛ هَلاكُ الأُمةِ بَعضُهم بِبَعضٍ، فِي آخِرِ الزّمانِ يُهلِك بَعضُهم بَعضًا بِالفِتنِ، لَا لِشَيءٍ، إِلَّا لِلهَوَى والعَصَبِيةِ، وَاللهُ أَعلَمُ بِالأَسبابِ.

قَولُه: «إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ»، إِذَا قَضَيتُ قَضَاءً؛ قَدْرًا يَعنِي: القَدرُ.

هَذَا الحَدِيثُ مِن مُعجِزَاتِ الرَّسُولِ ﷺ.

قَالَ ﷺ: «إِنّ الله زَوَى لِيَ الأَرْضَ»، جَمَعَ الأَرضَ لِمُحمّدٍ ﷺ، جَمَعَها لَه، مَشَارِقَها وَمَغَارِبَها، حتَّى إِنَّه ﷺ نَظَرَ إِلَيها، نَظَرَ إِلَى الأَرضِ كلِّها بِهَذه الصُّورَةِ، الّتِي زَوَاها اللهُ لَه، واللهُ عَلَى كلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٨٩).

قَولُه ﷺ: «وإنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا ما زُوِيَ لِي مِنْهَا»، وَقَد حَصَلَ مَا أَخبَرَ بِه ﷺ؛ فَأمَّتُهُ ملَكَت مَشَارِقَ الأَرضِ ومغَارِبَها بِالفتُوحَاتِ والدَّعوَةِ إِلَى اللهِ، اتَّسَعَت مَملَكَةُ المُسلِمِين عَلَى المشَارِقِ والمغَارِبِ، هَذَا تَحقَّقَ، وَهَذَا مِن مُعجِزَاتِ الرَّسُولِ ﷺ.

قَولُه ﷺ: «وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ»، وأُعطِيَ الكَنزَيْن - الأَبْيَضَ وَالأَصفَرَ -، هَذَا إِشَارةٌ إِلَى فَتحِ فَارِسَ والرُّومَ؛ لِأَنَّ عِندَهُما الكُنُوزَ؛ فَالفِضّةُ هَذِه لِلفرسِ، وَالذَّهبُ لِلرُّومِ، وَسَتَرِثُهُمَا هَذِه الأمّةُ، تَرِثُ الكَنزَيْن؛ الذّهَبَ والفِضّةَ التِي عِندَ الرُّومِ وَعِندَ الفُرسِ، فَفِيه إِشَارةٌ إِلَى سُقُوطِ دَولةِ الفُرسِ وَسُقوطِ دَولَةِ الرُّومِ بِيَدِ المُسلِمِين، وَقَد حَصلَت هَذِه - أيضًا -، سَقَطت دَولةُ الفُرسِ، وَسَقطت دَولَةُ الرُّومِ، وَأَخذَ المُسلِمُون كُنُوزَهم وَأَموَالَهم، وَأَنفقُوها فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ؛ كَمَا فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رضي الله عنه.

قَولُه ﷺ: «وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وأنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهُم عَدُوًّا مِن سِوَى أَنْفُسِهُم، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُم»، ثمَّ سَأَلَ النّبيُّ ﷺ ثَلاثَةَ أَسئِلَةٍ، دَعَا رَبَّه بِثَلاثِ دَعوَاتٍ، استَجابَ لَه فِي ثِنتَيْن، **وَمَنَعَه مِن الثَّالِثَةَ:**

الدَّعوَةُ الأُولَى: «أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ»؛ يَعنِي: بِجَدبٍ عَامٍّ فِي الأَرضِ، أَلّا يُهلِكَها بِسَنةٍ، **السَّنَةُ معْنَاهَا:** الجَدبُ، تُسَمَّى السَّنةُ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]؛ **يَعنِي:** بِالجَدبِ، أَجدَبَتِ الأَرضُ عِندَهم.

«**بِسَنَةٍ عَامَّةٍ**»؛ نَعَم، يَحصُلُ الجَدبُ فِي بَعضِ البِلادِ دُونَ بَعضٍ، أَمَّا أَنْ تُجدِبَ كلُّ بِلَادِ المُسلِمِين، فَقَد استَجَابَ اللهُ لِرَسُولِه ﷺ، فَلَا يَحصُلُ الجَدبُ فِي كلِّ بِلادِ المُسلِمِين، بَل يَحصُلُ فِي بَعضِها، استَجَابَ لَه فِي هَذِه أَلَّا يُهلِكَهم بِسَنَةٍ عَامَّةٍ؛ **يَعنِي**: بِجَدبٍ عَامٍّ.

الدَّعوَةُ الثَّانِيةُ: أَلَّا يُسلِّط عَلَيهِم عَدُوًّا مِن سِوَى أَنفُسِهم مِن الكفَّارِ، لَا يُسَلِّطُ الكفَّارَ عَلَى المسلِمِين يَستَأصِلُونَهم جَمِيعًا، أَعطَى اللهُ رَسُولَه ﷺ هَذَا؛ أَنَّه لَا يُسَلِّط الكفَّارَ عَلَى المُسلِمِين، حتَّى يُزِيلُوا الإِسلَامَ وَالمُسلِمِين مِن الأَرضِ، لَا بدَّ أَنْ يَبقَى مِن المُسلِمِين، لَا بدَّ أن يَبقَى مِن الإِسلَام شَيءٌ، أَمَّا التَّسلِيطُ العَامُّ، فَلَا، فقد استَجَابَ اللهُ لِرَسُولِه ﷺ، أَلَّا يُسَلِّطَ عَلَيهم عَدُوًّا مِن سِوَى أَنفُسِهم.

الدَّعوَةُ الثَّالِثةُ: سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ ربَّه أَلَّا يُسَلِّط المُسلِمِين بَعضَهم عَلَى بَعضٍ، فَمَنَعَه اللهُ ذَلِك، مَنعَ، وَلَم يَستَجِبْ لَه؛ أَنَّه سَيَحصُلُ بَيْنَ المُسلِمِين تَسَلُّط بَعضِهم عَلَى بَعضٍ وفِتنَةٍ.

قَولُه ﷺ: «**وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُم بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِم عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِم، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُم، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِم مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَو قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُم يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُم بَعْضًا**»، هذا محَلُّ الشَّاهِدِ مِن الحَدِيثِ؛ أَنه سَيَحصُلُ بَيْن المُسلِمِين قِتَالٌ، وَشَرٌّ، وَفِتنةٌ بَيْنَهم، هَذِه هِي المُخِيفَةُ.

نَعَم، انتَبِهُوا! حَدِيثٌ عَظِيمٌ هذَا.

قَوْلُه ﷺ: «**إنّ الله زَوَى لِيَ الأَرْضَ**»، اللهُ عَلَى كلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، **يَعنِي**: صَغَّرَها، صَغَّرَ الأَرضَ أَمَامَ الرَّسُولِ ﷺ، حتَّى صَارَت فِي مَشهَدِ الرَّسُولِ ﷺ، يُشَاهِدُها كُلَّها.

قَوْلُه ﷺ: «**فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَها**»، هَذِه مُعجِزَةٌ، هَذِه آيَةٌ وَاحِدَةٌ.

قَوْلُه ﷺ: «**وإنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا ما زُوِيَ لِي مِنْهَا**»، هَذِه المُعجِزَةُ الثَّانِيةُ؛ أَخبَرَ أنَّ أُمَّتَه سَتَملِكُ مَا زُوِيَ لَه مِن الأَرضِ مِن المَشَارِقِ والمَغَارِبِ، وقَدْ حَصَلَ.

قَوْلُه ﷺ: «**وَأُعْطِيْتُ الْكَنْزَيْن: الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ**» قال ابنُ مَاجَه: «**يَعْنِي الذَّهبَ والفضّةَ**»؛ هِي كنُوزُ فَارِسَ والرُّومِ، الأَبيَضَ وَالأَحمَرَ **يَعنِي**: الذَّهَبَ وَالفِضةَ.

قَوْلُه ﷺ: «**وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ**»؛ **يَعنِي**: بِجَدبٍ عَامٍّ.

قَوْلُه ﷺ: «**وأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهُم عَدُوًّا مِن سِوَى أَنْفُسِهُم، فَيَسْتَبِيْحَ بَيْضَتَهُم**»، هَذِه المَسأَلَةُ الثَّانِيةُ، والثَّالِثةُ؟ **قَوْلُه** ﷺ: «**وَإنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُم بِسَنَةٍ عَامَّةٍ**»؛ هَذِه المَسأَلَةُ الأُولَى، استَجَابَ اللهُ.

قَوْلُه ﷺ: «**وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهُم عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِم**»؛ هَذِه الثَّانِيةُ، استَجَابَها اللهُ.

قَوْلُه ﷺ: «**يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُم، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهُم مَنْ بِأَقْطَارِهَا**»؛ مَن

بِأقطارِها لَا يستَطِيعُونَ أنْ يُزِيلُوا الإِسلَامَ مَهْمَا بَلَغَ، الإِسلَامُ سَيبقَى، إلَى أنْ تَقُومَ السَّاعَةُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُم مَنْ خَذَلَهُم وَلَا مَن خَالَفَهُم حَتَّى يَأتِيَ أَمرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**»[1]، فَالإِسلَامُ لَا يَزُولُ نِهَائيًا مِن الأَرضِ، سَيبقَى، استَجَابَ اللهُ لِرَسُولِه هَذِه.

قَولُه: «**أَو قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا**»، حتَّى هَذِه النِّسبَةِ الأَخِيرةِ: إنَّما بَعضُهم يتَسَلَّط عَلَى بَعضٍ، تَحصُلُ الفِتنَة بَينَهم، اللهُ مَنَعَها، وَلَم يَستَجِبْ.

قَولُه ﷺ: «**حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُم يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُم بَعْضًا**»، فَإِذَا حَصَلَت، بَعضُهم يَقتُلُ بَعضًا، وَيَسبِي بَعضُهُم بَعضًا - المُسلِمِين فِيمَا بَينَهُم -، فَهَذَا سَيَحصُلُ، وَسَيَقَعُ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٩٢٠).

زَادَ أَبُو دَاوُدَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»[1].[٨٣]

---

[٨٣] **قَولُه ﷺ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَةَ الْمُضِلِّينَ»**، هَذَا مَا خَافَه الرَّسُولُ ﷺ؛ الأَئِمّةَ المُضِلّينَ مِن عُلَماءِ الضَّلَالِ، وَدُعَاة الشّرِّ، دُعَاةَ الضَّلالِ، وَدُعَاةَ الفِتنَةِ - وَمَا أَكثَرَهم! -، يَتَّسِمُون بِالدَّعوَةِ إِلَى الدِّينِ، وَهُم يَدعُونَ ضِدَّ الدِّينِ، يَلبِسُون عَلَى النّاسِ، هَؤُلَاءِ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - خطَرٌ عَلَى المُسلِمِين، هَذِه وَاحِدَةٌ يَخَافُ الرَّسُولُ مِنهَا.

قَولُه ﷺ: «وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي»، وَهَذا الثَّانِيةُ، إِذَا وَقَعَت الفِتنَةُ، فَإِنَّها تَستَمِرّ فِيهِم، وَقَد وَقَعَت بِقَتلِ عُثمَانَ ﷺ؛ لَمَّا قَتلُوا عُثمَانَ، انْفَتَحَ بَابُ الفِتنَةِ عَلَى المُسلِمِين، وَلَا يَزَالُونَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالفِتنُ بَينَهُم، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ !

قَولُه ﷺ: «لَمْ يُرْفَع عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، هَذِه المُشكِلَةُ، خَطِيرَةٌ هَذِه.

قَولُه ﷺ: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِن أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِين»، هَذِه - أيضًا - مسْأَلَةٌ عَظِيمةٌ؛ الرِّدّةُ، يَرتَدُّ كَثِيرٌ مِن المُسلِمِين فِي آخِرِ الزَّمَانِ، يَلحَقُون بِعَبَدَةِ الأَوثَانِ، وَهَذِه حَاصِلَةٌ؛ كَثِيرُون الّذِينَ يَرتَدّون

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٥٢).

الآنَ عَنْ الدِّينِ، وَيَتَّبِعُون فَارِسَ وَالرُّومَ، ويمدَحُونَهم، وَيَتَعَلَّقُون بِهِم، وَيُعَظِّمُونَهم، وأنَّهم هُم النّاسُ، وَهُم الّذِينَ عِندَهم الحَضَارةُ، وَعِندَهم الرُّقِيُّ والتَّقدُّمُ، وَلَا يَنظُرُونَ إلَى دِينِهم، بَل يَنظرُونَ إِلَى مَا مَعَهُم مِن الدّنيَا وَالفِتنَةِ، وَيرتَدّون عَن الدِّينِ - وَالعِياذُ بِاللهِ -، يَقُولُونَ: هَذَا دِينُنَا لَيْسَ بِه خَيرٌ.

هَؤُلَاءِ لَيْسُوا عَلَى دِينِنَا، وَانظُر مَاذَا صَارُوا الآنَ، يقُولُونَ: هَذَا الدِّينُ يَمنعُنَا عَن الرُّقِيِّ والتَّقدّمِ والحَضَارَةِ، أَلَا تَسمَعُون هَذَا؟ هَذَا وَاقِعٌ الآنَ؛ يَزهَدُون بِالدِّينِ، وَيقُولُونَ: إنَّه هُو الّذِي يَعُوقُ المُسلِمِين.

الدِّينُ لَم يَعُقِ المُسلِمِين؛ الدِّينُ يَحثُّ على طَلبِ الرّزْقِ، يَحُثّ على الصِّنَاعةِ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

هذَا الدِّينُ يَحثُّ، لَكِنَّ المُسلِمِين تكَاسَلُوا، الذَّنبُ ذَنبُ المُسلِمِين، لَيْسَ ذَنبَ الدِّينِ، لَا، هُم انْقَلَبُوا عَلَى الدِّينِ، الآنَ يَقُولُون: الدِّينُ هُو الّذِي أَخَّرَهم.

قَولُه ﷺ: «وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِن أُمَّتِي الأَوْثَانَ»؛ تَعُودُ عِبَادةُ الأَوثَانِ فِي هَذِه الأمّةِ، يَقولُونَ: لَا، لَا يُمكِنُ؛ المُسلِمُون لَا يَرتَدُّون عَن الدِّينِ، لَا يُمكِنُ، وعِبَادةُ الأَصنَامِ هَذِه لَيْسَت شِرْكًا، هَذَا تَوَسُّلٌ إِلَى اللهِ، يُسَمُّونَه تَوَسّلًا إِلَى اللهِ، يَعبُدُونَ الأَموَاتَ، وَيَستَغِيثُونَ بِهم، يقُولُونَ: لِأَنَّهم يُقَرِّبُونَنا إِلَى اللهِ زُلفَى، وَيَشفَعُون لَنَا عِندَ اللهِ، يسمُّونَه بِهَذا، يُسَمّون الشّركَ بِهَذا الاسْمِ، هَذِه فِتنَةٌ عَظِيمةٌ.

قَولُه ﷺ: «وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ»، وَهَذِه - أَيضًا - مُصِيبةٌ؛ أَنّه يَظهَرُ نَاسٌ يَدَّعُونَ النُّبُوةَ، وَلَا نُبُوّةَ بَعدَ مُحَمّدٍ ﷺ:

«**لا نَبِيَّ بَعْدِي**»؛ فهُو خَاتَمُ النَّبيِّين ﷺ.

اللهُ ﷻ قَالَ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

قَولُه ﷺ: «**وَأَنَا خَاتَمُ النّبيِّين لا نَبِيَّ بَعْدِي**»، فَالّذِي يُصَدّقُ مَن يَدَّعِي النُّبوَّةَ كَافِرٌ، الّذِي يُصدِّقُ مَن يَدَّعِي النّبوَّةَ بَعدَ الرَّسُولِ يكُونُ كَافرًا - والعِيَاذُ بِاللهِ ـ؛ لأنَّ النبُوَّةَ خُتِمَتْ.

قَولُه ﷺ: «**كُلُّهُم يَزْعُم أَنَّه نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبيِّين لا نَبِيَّ بَعْدِي**»؛ لَا تُصَدِّقُوهم، لَا تُصَدِّقُوا الّذِين يَدَّعُونَ النُبُوَّةَ.

قَالَ ﷺ: «**ولا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ لَا يَضُرُّهُم مَن خَالَفَهُم، حَتَّى يأْتِيَ أَمْرُ الله**»، هَذِه البُشرَى، بَعدَ هَذِه الفِتنِ وهَذِه الشُّرُورُ - الحَمدُ للهِ -، الدِّينُ بَاقٍ مَعَ الفِتنِ وَمَعَ الشُّرُورِ، الدِّينُ بَاقٍ.

لَكِنَّ مَن يَتمسَّكُ بِه؟ هَذِه هِي المُهِمَّةُ؛ الّذِي يَتَمَسَّكُ بِه يَحتَاجُ إِلَى صَبْرٍ، يَحتَاجُ إِلَى عِلمٍ، يَحتَاجُ إِلَى ثَباتٍ، وَلِذَلِك يَقِلُّ التَّمسُّكُ بِه.

واللهِ! هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ جِدًّا.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ولِمسْلِم عَنْ سَعْدٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا»[1].[٨٤]

---

[٨٤] **قولُه ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ»**، العَالِيَةُ يَعنِي: فِي المَدِينةِ.

قَوْلُه ﷺ: «أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ، فَأَعْطَانِيهَا»؛ يَعنِي: بِالجَدبِ، بِجَدبِ العَامِ.

قَوْلُه ﷺ: «وَسَأَلْتُهُ: أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَنِيهَا»، هَذِه الثَّالِثَةُ الَّتِي لَم يَستَجِبِ اللهُ ﷻ لِرَسُولِه، وَهِي أَلَّا يَحصُل فِي الأُمةِ فِتنَةٌ؛ يَقتُلُ بَعضُهم بَعضًا، وَيَسبِي بَعضُهم بَعضًا.

قَوْلُه ﷺ: «فَمَنَعَنِيهَا»؛ أَنَّه سَيَحصُلُ فِتنَةٌ بَيْن النّاسِ، واقتِتَالٌ بَيْن المُسلِمِين، وَقَد حَصَلَ هَذَا.

فهَذَا فِيهِ تَجنُّبُ الفِتنِ مَهْمَا أَمكَنَ، الفِتنُ سَتَقَعُ، فَإِذَا وَقَعَت، فَأَنتَ إِمّا تَسعَى بِالإِصلَاحِ، إنْ استَطَعتَ، وَكُفَّ المُسلِمِين بَعضَهم عَن بَعضٍ، هَذَا وَاجِبٌ، إِذَا لَم يَكُنْ لِلإِصلَاحِ مَجالٌ، أَنتَ تَجَنَّبِ الفِتنَةَ، لَا تَدخُلْ فِيهَا، اعتَزِلْ الفِتَنَ، وهَذَا مِثلُ الحَدِيثِ السَّابِقِ، مِثلُه تَمامًا، **«إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ»**؛ مِثلُهُ تَمامًا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٩٠).

بَابُ كَفِّ اللِّسانِ فِي الْفِتْنَةِ

وَلِأَبِي دَاوُدَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّه قَالَ: قَاَل رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ تَسْتَنْظِفُ الْعَرَبَ قَتْلَاهَا فِي النَّارِ، اللِّسَانُ فِيهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ السَّيْفِ»(١).

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: غَرِيبٌ، سَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَقُولُ: لَا يُعرَفُ لِزِيَادِ بْنِ سَيمِينَ عَن ابْنِ عُمَرَ غَيرِ هَذَا.[٨٥]

---

[٨٥] انْتَبِهُوا! «**كَفُّ اللِّسانِ فِي الْفِتْنَةِ**»: إِذَا صَارَ هُنَاكَ فِتنَةٌ، كُفَّ يَدَك لَا تَدخُلُ فِيهَا؛ لِأَنَّها بَيْن مُسلِمين، تَقتُلُ مُسلِمًا؟! لَا يَجُوزُ هَذَا، وَكُفَّ لِسَانَك - أَيضًا -، لَا يَكفِي كفَّ اليَدِ؛ لأنَّ بَعضَ النّاسِ يَكُفُّ يَدَه، يَصِيرُ جبَانًا لَا يُرِيدُ القِتَالَ، هَذَا حَالُ كَثِيرٍ مِنّا، لَكِنّه لَا يَكُفُّ لِسَانَه؛ يُحرِّضُ عَلَى الفِتنَةِ، ويَقُولُ: هَذَا جِهَادٌ.

كُفَّ لِسَانَك عَن تَحرِيضِ المُسلِمين عَلَى الفِتنَةِ؛ لأنَّ هَذَا يُقلِّلُ مِنهَا، أَمَّا إِذَا شَجَّعتَهم عَلَى القِتَالِ، وَقُلتَ: اذْهَبُوا قَاتِلُوا، تقُولُ لِأَولَادِ المُسلِمين: اذْهَبُوا قَاتِلُوا؟ لَا يَجُوزُ هَذَا، كُفَّ لِسَانَك، اسْكُت، لَا تَزِدِ الشَّرَّ شرًّا. هُو لَا يَذْهَبُ، لَكِن يُذْهِبُ أَولَادَ النَّاسِ.

والغَرِيبُ: مَا تَفرَّدَ بِروَايَتِه وَاحدٌ هَذَا هُو الغَرِيبُ، مَا تفرَّدَ بِروَايَتِه وَاحِدٌ.

وَهَذا الحَدِيثُ أَخبَرَ ﷺ فِيهِ أَنَّها سَتَكُونُ فِتنَةٌ، يَحصُلُ فِيهَا قَتلٌ، ويَكُونُ «**اللِّسَانُ فِيهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ السَّيْفِ**»، انْتَبِهُوا! هَذَا مَحلُّ الشَّاهِدِ.

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٦٥)، والترمذي رقم (٢١٧٨).

ولأبي داود: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَتَكُونُ فِتْنَةٌ صَمَّاءُ، بَكْمَاءُ، عَمْيَاءُ، مَنْ أَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْ لَهُ، وَإِشْرَافُ اللِّسَانِ فِيهَا كَوُقُوعِ السَّيْفِ»[1].[٨٦]

يكُونُ اللّسَانُ فِيهَا - التَّحرِيضُ، والمُحَاضَرَاتُ، والخُطَبُ، وَحَثُّ النّاسِ عَلَى أنْ يَدخُلُوهَا، وَيقتُلُ بَعضُهُم بَعضًا - أَشَدُّ مِن السَّيْفِ، السَّيفُ يُمكِنُ أنْ يَقتُلَ وَاحِدًا أَو اثْنَين، لَكِنَّ لِسَانَك هَذَا يُحَرِّضُ الأُمّةَ بَعضَها عَلَى بَعضٍ.

فَعَلَى المُسلِمِ أنْ يَكُفَّ لِسَانَه؛ إمَّا أنْ يَقُولَ خيرًا، وَإمّا أنْ يَصمُتَ؛ قَالَ ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»**[2]، لَا تَزِدْ الشَّرَّ شرًّا، اسْكُت، إذَا لَم تَأتِ بِخَيرٍ، فَكُفَّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[٨٦] **قَولُه ﷺ:** «**صَمَّاءُ**»؛ **يَعنِي**: لَا تَسمَعُ، لَا يُقبَلُ الكَلَامُ فِيهَا، لَا يَقبَلُ النَّاسُ النَّصِيحَةَ.

قَولُه ﷺ: «**بَكْمَاءُ**»؛ **يَعنِي**: لَا تَنطِقُ بِخَيرٍ، إنَّمَا تَنطِقُ بِالشَّرّ.

قَولُه ﷺ: «**عَمْيَاءُ**»: لَا تَرَى الحَقَّ، وَتُبصِرُ الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ، عَمْيَاءُ - والعِيَاذُ بِاللهِ - صَمَّاءُ، هَذِه فِتنَةٌ شَدِيدَةٌ.

أَخبَرَ النَّبيُّ ﷺ أَنّها «**سَتَكُونُ**»، الرَّسُولُ ﷺ لَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، وَسَتَكُونُ بَيْنَ المُسلِمِين.

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٦٤).

(٢) أخرجه: البخاري رقم (٦٠١٨)، ومسلم رقم (٤٧).

وَلابْنِ مَاجَه عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ مَرفُوعًا: «إِيَّاكُمْ وَالْفِتَنَ، فَإِنَّ اللِّسَانَ فِيهَا مِثْلُ وَقْعِ السَّيْفِ»(١). [٨٧]

ولَهُما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّه سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»(٢). [٨٨]

الرَّسُولُ ﷺ أَخبَرَنَا بِهَذا، لَا يُرِيدُ أَنْ يُخِيفَنا؛ بَلْ يُرِيدُ أَنْ يُحَذِّرَنا عِندَ حُصُولِ هَذِه الأُمُورِ مَاذَا نعمَلُ، هَذَا قَصدُ الرَّسُولِ ﷺ.

قَولُه ﷺ: «اللِّسَان فِيهَا كَوُقُوعِ السَّيْفِ»: لِسَانٌ يُحرِّضُ النَّاسَ، يُرَغِّبُ فِي الجِهَادِ، وَهُو فِي غَيرِ مَحَلِّه، وَيَحُثُّ النَّاسَ عَلَى الدُّخُولِ فِيهَا، وَقَتلِ بَعضِهم بَعضًا، لَا يَقُولُ لَهُم: يَا مُسلِمِين، كُفُّوا أَيدِيكُم، يَا مُسلِمِين، انْتَهُوا فِيمَا بَيْنَكُم؛ أَنتُم إِخوَانٌ، لَا يَقُولُ هَكَذا، لَا، بَل يَقُولُ: اقْتُلُوا، قُولُوا، اذْهَبُوا.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[٨٧] مِثلُ الَّذِي قَبْلَه، اللِّسَانُ خَطِيرٌ جِدًّا، اللِّسَانُ أَشَدّ مِن السَّيفِ، السَّيفُ يُمكِنُ أَنْ تَقتُلَ بِه وَاحِدًا، اثْنَين، لَكنَّ اللِّسَانَ تَقتُلُ بِه أُمَّةً.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[٨٨] الكَلِمَةُ الوَاحدَةُ مِن كلَامِ السُّوءِ المُحرَّمِ، مِن كَلَامِ الفِتنَةِ يَهوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبعَدَ مِمَّا بَيْن المَشرِقِ وَالمَغرِبِ.

قَولُه ﷺ: «سَبْعِينَ خَرِيفًا»: سَنَةً؛ **يَعنِي**: فِي قَعرِ جَهَنَّمَ، وَهِي كَلِمةٌ وَاحِدةٌ خَبيثةٌ.

---

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٣٩٦٨).

(٢) أخرجه: البخاري رقم (٦٤٧٧)، ومسلم رقم (٢٩٨٨).

قَوْلُه ﷺ: «لَا يُلقِي لَهَا بَالًا»: لَا يَدرِي مَا عَوَاقِبُهَا، وَلَا يَدرِي مَا الَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَيهَا.

الوَاجِبُ عَلَى المُسلِمِ قَبلَ أَنْ يَتكلَّمَ أنْ يَزِنَ كَلَامَه، وَيَنظُرَ عَوَاقِبَه وَآثارَه قَبلَ أَنْ يَتكلَّمَ، يَزِنُ كَلَامَه بِالمِيزَانِ الصَّحِيحِ، إنْ كَانَ كَلَامُهُ يُسبِّبُ الخَيرَ يَتَكَلَّمُ، وإنْ كَانَ كَلامُه يُسبِّبُ الشَّرَّ يُمسِكُ؛ عِندَكَ نَاسٌ عَوَامٌّ، عِندَكَ نَاسٌ جُهَّالٌ، عِندَكَ نَاسٌ مُتَحَمِّسُون، فَرَاعِ المَكَانَ والجَمَاعَةَ الَتِي تَتكلَّمُ فِيهَا، كَلِمةٌ وَاحِدةٌ يَهوِي بِهَا فِي النَّارِ؛ قَالَ رَجلٌ: «**وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ**»، أَيِسَ مِن رَحمَةِ اللهِ، وَحَلَفَ عَلَى اللهِ أَنَّه لَا يَغفِرُ لِفُلانٍ، أَسَاءَ الأَدَبَ مَعَ اللهِ ﷻ؛ أَنَّه لَا يَغفِرُ لِفُلَانٍ. قَالَ اللهُ ﷻ: «**مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ**» يَعنِي يَحْلِفُ عَلَيَّ. «**أَنْ لَا أَغفِرُ لِفُلَانٍ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**»(١).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ القَائِلَ رَجلٌ عَابِدٌ، قَالَ أَبُو هُرَيرَةَ «**تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوبقَتْ دُنيَاهُ وَآخِرَتَه**»(٢)، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ!

هَذَا فِيهِ خَطرُ اللسَانِ وَخَطرُ الكَلَامِ فِي الفِتنَةِ، خَطَرُ الكَلَامِ فِي غَيرِ مَحلِّه، أَمسِكْ لِسَانَك، إِلَّا بِالحَقِّ، هَذِه قَاعِدةٌ خُذْهَا مَعَكَ: «**مَن كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيرًا، أَو لِيَصْمُتْ**»(٣)، يَسَعُكَ السُّكُوتُ يَا أَخِي.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٦٢١).

(٢) أخرجه: أبو داود رقم (٤٩٠١)، وأحمد رقم (٨٢٩٢).

(٣) أخرجه: البخاري رقم (٦٠١٨)، ومسلم رقم (٤٧).

مِن أَحَادِيثِ النَّهيِ عَن السَّعيِ فِي الفِتنَةِ

وِلِأَبِي دَاوُدَ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ فِيهِ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فِيهِ بِالْوَصِيفِ؟» يَعْنِي الْقَبْرَ، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، - أَوْ قَالَ: مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ -، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ» - أَوْ قَالَ: «تَصْبِرُ» - ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا أَبَا ذَرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ أَحْجَارَ الزَّيْتِ قَدْ غَرِقَتْ بِالدَّمِ؟» قُلْتُ: مَا يَخْتَارُ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا آخُذُ سَيْفِي فَأَضَعُهُ عَلَى عَاتِقِي؟ قَالَ: «شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذَنْ» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «تَلْزَمُ بَيْتَكَ»، قُلْتُ: فَإِنْ دُخِلَ عَلَيَّ بَيْتِي؟ قَالَ: «فَإِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ ثَوْبَكَ عَلَى وَجْهِكَ يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: لَمْ يَذْكُرِ الْمُشَعَّثَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ غَيْرَ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ(١).[٨٩]

---

[٨٩] الرَّسُولُ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَن يُعلِّم الأمُورَ المُهِمّةَ، يُلقِيهَا بِطَرِيقِ السّؤَالِ، ثمَّ يُجِيب ﷺ؛ لأنَّ هَذَا مِن وَسَائلِ التَّعلِيمِ وَالتَّبلِيغِ؛ سُؤَالٌ ثم جَوَابٌ.

قَولُه رَحِمَهُ اللهُ: «**فَذَكَرَ الحَدِيثَ**»؛ ذَكَرَ الحَدِيثَ السَّابِقَ يَعنِي.

قَولُه ﷺ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فِيهِ بِالْوَصِيفِ؟»، إِذَا نَزَل المَرضُ، نَزَلَت الأَوبِئَةُ بِالنَّاسِ، وَهَذَا يَحصُلُ،

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٦١).

فَالعِلَاجُ مَطلُوبٌ، إذَا كَانَ هُنَاكَ عِلاجٌ؛ «**مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»[1]. العِلَاجُ مَطلُوبٌ، إِذَا كَانَ العِلاجُ لَا يُجدِي، عَلَيكَ بالصَّبْر، وَلَا تَجزَع عِندَ حُدُوثِ هَذَا، عَلَيكَ بِالصَّبْرِ، وَيَختَارُ اللهُ لَكَ مَا يَشَاءُ.

قَولُه: «**أَو قَالَ: تَصْبِرُ**»، هَذِه وَاحِدَةٌ ذَهَبَت، الثَّانِيَةُ؟

قوله: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْك، قَالَ: «كَيْفَ أَنْتَ إذا رَأَيْتَ أَحْجَارَ الزَّيْتِ قَدْ غَرِقَتْ بالدَّمِ**»»؛ أَحجَارُ الزَّيتِ أَحجَارٌ فِي المَدِينةِ، أَحجَارٌ عَلَى طَرَفِ المَدِينةِ، يَسمُّونها أَحجَارَ الزَّيتِ؛ لِأَنَّه كَانَ يُبَاعُ عِندَها الزَّيتُ، سَمُّوهَا أَحجَارَ الزَّيتِ.

قوله: «**قُلْتُ: مَا يَخْتَارُ اللهُ لِي وَرَسُولُه، قَالَ: «عَلَيْكَ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ**»»، هذا - وَاللهُ أَعلَمُ - حَصَلَ فِي وَقعَةِ المَدِينَةِ، فِي وَقتِ يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيةَ، لمَّا خَرَجُوا عَلَيهِ، غَزَا المَدِينَةَ؛ وَقْعَةُ الحرَّةِ المَشهُورَةِ، وَقَتَلَ قَائِدُ يَزِيدِ مِن أَهلِ المَدينَةِ مَقتَلةً عَظِيمةً، لَعلَّ هَذَا هُو الّذِي قَصَدَه الرَّسُولُ ﷺ.

أَمَرَ أَبَا ذَرٍّ ﷺ عِندَ هَذَا أنَّه لَا يَدخُلُ فِي الفِتنَةِ، لَا يَدخُلُ فِي هَذِه الفِتنَةِ؛ لِأَنَّها بَيْنَ المُسلِمِينَ.

وعَمِلَ بِهَذا ابْنُ عُمَرَ ﷺ؛ جمَعَ أَولَادَه، وَكَسَرَ سَيْفَه، وَأَمَرَهم أَلَّا يَدخُلُوا فِي هَذِه الفِتنَةِ.

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (٣٥٧٨)، والحاكم رقم (٧٤٢٤)، والبيهقي رقم (١٩٥٦٠).

فإذَا كَانَ قِتَالٌ بيْن المُسلِمِين، إمّا أنْ تُصلِحَ بيْنَهم - إنْ استَطَعْتَ -، وَإمَّا ألَّا تَدخُل فِيهَا؛ حتَّى لَا تُزِيدَ الشرَّ شرًّا، لَا تَدخُلْ فِيهَا بِالسَّيفِ أَو بِلِسَانِك، لَاحِظُوا! اللّسَان أَشَدُّ.

يَقُولُ أَبُو ذَرٍّ ﷺ: اللهُ أَعلَمُ مَاذَا يكُونُ، أَو أَكُونُ كَمَا يَختَارُ اللهُ لِي ورَسُولُه.

قوله: «قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا آخُذُ سَيْفِي فَأَضَعُهُ عَلَى عَاتِقِي؟ قال: «شَارَكْتَ الْقَومَ إِذًا»»، إذَا أَخَذتَ سَيفَك، وَدَخَلت فِيهَا، شَارَكْتَ القَومَ فِي القَتلِ، قَتلِ المُسلِمِين بَعضِهم مِن بَعضٍ، لَا تَأخُذْ سَيفَكَ.

قَولُه ﷺ: **«شَارَكْتَ القَومَ إِذًا»**: شَارَكتَهُم فِي الفِتنَةِ، إِذَا دَخَلْتَ فِيهَا، وَحَمَلْتَ سَيفَكَ مَعَهُم، دَخَلتَ فِيهَا. هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ.

قَولُه: «قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «تَلْزَمُ بَيْتَكَ»»، تلزم بيتك، لا تخرج؛ تسلم من الناس، ويسلم منك الناس، وهذا يقلل الفتنة، إذا لم تستطع منع الفتنة، على الأقل خففها، هذه قاعدة: «إذا لم تستطع إزالة الشر، على الأقل خففه، إذا لم تستطع إزالته ولا تخفيفه، ابتعد عنه».

قوله: «قُلْتُ: فَإِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي؟ قَالَ: «فَإِنْ خَشِيْتَ أَن يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ ثَوْبَكَ عَلَى وَجْهِكَ يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ»»، هَذِه قَضِيةُ الصَّائِلِ إِذَا دَخَلَ عَلَيكَ بَيتَكَ، انتَبِهُوا!

أَتَقتُلُه؟ إنْ كَانَ فِي وَقتِ فِتنةٍ، فَلَا تَقتُلْهُ، ولَو قَتَلَكَ، لَا تَقتُلْهُ؛ لِأَنَّ هَذَا يُزِيدُ الفِتنَةَ، أَمَّا إِذَا كَانَ لَيسَ وَقتُ فِتنَةٍ، وَدَخَل عَلَيكَ صَائِلٌ، فَاقتُله؛ دَفْعُ الصَّائِلِ: ادْفَعهُ بِالكَلَامِ، بِالضَّربِ، إِذَا لَم يَندَفِعْ إِلَّا بِقَتلِه، اقتُله.

هَذَا فِي غَيرِ الفِتنَةِ، وَالنَّاسُ آمِنُونَ، دَخَلَ عَلَيكَ لِصٌّ أَو خَائِنٌ، فَهَذَا تَدفَعُه بِأَسهَلِ الدَّفعِ، فَإِذَا لَم يَمتَنِعْ، فَلَا يُمنَع مِن قَتلِه؛ دَفْعًا لِشَرِّه، أَمَّا فِي الفِتنَةِ، لَا، لَا تَقتُلِ الدَّاخِلَ عَلَيكَ؛ مِثلُ مَن؟ عُثمَانُ ﷺ الخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ، لَمَّا دَخَلُوا عَلَيهِ، أَمسَكَ عَن القَتلِ، وَأَمَرَ مَن حَولَه أَن يُمسِكُوا، هَذَا الفِقهُ فِي الدِّينِ؛ لِأَنَّ هَذَا يُزِيدُ الفِتنَةَ، انْتَهَى الأَمرُ بِقَتلِه شَهِيدًا ﷺ.

مِثلُ ابْنَي آدَمَ، لَمَّا قَالَ لَه أَخُوهُ: لَأَقتُلَنَّك، لَم يَقُم، وَأَخَذَ السَّيفَ وَقَالَ: أَنَا الَّذِي سَأَقتُلُك. لَا، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ - ٣٠]، والعِيَاذُ بِاللهِ!

فَإِذَا كَانَ الوَقتُ وَقتَ فِتنةٍ، فَلَا تُدَافِعْ عَن نَفسِك؛ لِأَنَّ هَذَا يُزِيدُ الفِتنَةَ، إِذَا كُنتَ لَا تُدَافِعُ عَن نَفسِكَ، فَكَيفَ تَدخُلُ أَنتَ فِي الفِتنَةِ مِن بَابِ أَولَى؟!

قَولُه ﷺ: «فَأَلْقِ ثَوبَكَ عَلَى وَجهِكَ»؛ يَعنِي: استَسْلِمْ؛ لِأَنَّ قَتلَكَ إِيَّاه لَن يُفِيدَ شَيئًا، وَلَا بِكَافِ الشَّرَّ، يُزِيدُ الشرَّ شَرًّا.

قَولُه ﷺ: «يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثمِهِ»، هَذَا كَمَا فِي الآيَةِ: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [المائدة: ٢٩].

زَادَ ابنُ مَاجَه: «كَيْفَ أَنْتَ، وَجُوعًا يُصِيبُ النَّاسَ، حَتَّى تَأْتِيَ مَسْجِدَكَ فَلَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِكَ، وَلَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - أَوْ مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ - قَالَ: «عَلَيْكَ بِالْعِفَّةِ»؟[1]. [٩٠]

الدِّفَاعُ عَن النَّفسِ فِي الفِتنَةِ لَا يَجُوزُ، إذَا كَانَ الدِّفَاعُ لَا يَجُوزُ، فَكَيفَ بِالبِدَايةِ؛ أَنّكَ تَبدَأُ أَنْتَ؟! لَا يَجُوزُ؛ لِأنّه يُزِيدُ الفِتنَةَ فِتنَةً، وَخُذُوا قِصةَ عُثمَانَ ﷺ تَمامًا.

أَمَّا إذَا كَانَ الوَقتُ وَقتَ أمَانٍ، وَدَخلَ عَلَيكَ لِصٌّ مُعتَدٍ، فَأَنتَ تَدفَعُه بِالأَسهَلِ، فَالأَسهَلُ، إذَا لَم يَندَفِعْ إلَّا بِقَتلِه، فَاقتُلْه.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[٩٠] **قوله** رَحِمَهُ اللهُ: «**زَادَ ابْنُ مَاجَه**»؛ زَادَ ابنُ مَاجَه فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ ﷺ رِوَايَة.

إذَا زَادَت الفِتنَةُ، وَأَصبَحْتَ لَا تَستَطِيعُ أنْ تَذهَبَ لِتُصلِّي فِي المَسجِدِ - لَا حَولَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِاللهِ -، أَو إذَا خَرَجْتَ، لَا تَستَطِيعُ أنْ تَرجِعَ لِبَيتِكَ مِن الفِتنَةِ، مَاذَا تَفعَلُ؟

عَلَيكَ بِالعِفّةِ عَن الدَّمِ، تَعَفَّف عَن الدَّمِ؛ فَإذَا قَتَلُوكَ، فَأَنتَ شَهِيدٌ.

هذِه الأَحَادِيثُ كلُّها فِي أنَّ الفِتنَةَ إذَا كَانَت بَيْن المُسلِمِين، فَالمُسلِمُ يَعتَزِلُها، وَلَا يَدخُلُ فِيهَا - لَا بِسَيفٍ، وَلَا بِلسَانٍ -، يَعتَزِلُها؛ لَا يُزِيدُ الشرَّ شَرًّا.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٣٩٥٨).

وفِي حَدِيثٍ عَن ابْنِ مَسعُودٍ ﷺ: وَذَكَرَ الْفِتْنَةَ، قَالَ: «الْزَمْ بَيْتَكَ»، قِيلَ: فَإِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي؟ قَالَ: «فَكُنْ مِثْلَ الْجَمَلِ الأَوْرَقِ الثَّفَالِ الَّذِي لَا يَنْبَعِثُ إِلَّا كَرْهًا وَلَا يَمْشِي إِلَّا كَرْهًا». رواه أبو عبيد[1].[٩١]

---

[٩١] «**الْزَمْ بَيْتَكَ**»، لَا تَخرُج والنَّاسُ فِي فِتنَةٍ وَشَرٍّ، الزَمْ بيتَكَ؛ أَسلَمُ لَكَ.

«**قِيلَ: فَإِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي؟ قَالَ: «فَكُنْ مِثْلَ الْجَمَلِ الأَوْرَقِ الثَّفَالِ الَّذِي لَا يَنْبَعِثُ إِلَّا كَرْهًا وَلَا يَمْشِي إِلَّا كَرْهًا»**» أيْ: كُنْ مِثلَ البَعِيرِ الَّذِي يَبْرُكُ، وَلَا يُطِيعُ، يَثُورُ، وَإِنْ ثَارَ، لَا يُطِيعُ ولَا يَمشِي، لَا تَقُم فِي الفِتنَةِ، وَإِنْ قُمتَ فِي الفِتنَةِ، لَا تَمْشِ، وَهَذا كَمَا سَبَقَ: «**الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي**»[2]، فكُلَّمَا قَلَّلْتَ الفِتنَةَ، فَهُو مَطلُوبٌ.

لَيتَ قَومَنَا يَعلَمُون هَذِه الأَحَادِيثَ، وَيُطبِّقُونَها؛ لِأَجلِ أنْ تَخِفَّ الفِتَنُ بَيْنَ المُسلِمِين.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ٨١).

(٢) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٦٢).

وَلِأَبِي دَاوُد عَنْ الْمِقْدَادِ ﷺ مَرفُوعًا: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا»[1].[٩٢]

[٩٢] **قَولُه ﷺ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ»؛ يَعنِي**: تَجَنَّبَ الفِتَنَ مَهمَا استَطَعْتَ؛ بِسِلاحِكَ، وَلِسَانِك، تَجَنَّبهَا، لَا تَزِد الشرَّ شرًّا، لَا تُحَرِّضِ المُسلِمِين بَعضَهم عَلَى بَعضٍ.

قوله ﷺ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ»؛ يَعنِي: كرَّرَ الرَّسُولُ ﷺ **«إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ»**؛ يَحثّنَا عَلَى تَجنُّبِ الدُّخُولِ فِي الفِتنِ بِقَولٍ أَو بِفِعلٍ، وَإِنَّما غَرَضُنَا الإِصلَاحَ إِذَا أَمكَنَ، إِذَا لَم يُمكِنْ، فَلا تَدخُلُ فِيهَا، ابْتَعِد عَنهَا.

قَولُه ﷺ: «وَلَمَنِ ابْتُلِيَ، فَصَبَرَ، فَوَاهًا!»؛ مَن صَبَر عَلى الفِتنَةِ، وَلَم يَدخُلْ فِيهَا، وَحَبَس نَفسَه، **«فَوَاهًا!»**؛ هَذَا حَثٌّ مِن الرَّسُولِ ﷺ، بِمَعنَى: هَذَا أَفضَلُ لَه.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٦٣).

بَابٌ مِن أَمَارَاتِ السَّاعَةِ

وَلِلبُخَارِيِّ: عَن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَم، فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَم، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»(١). [٩٣]

---

[٩٣] **قولُه** رَحِمَهُ اللهُ: **«بَابٌ: مِن أَمَارَاتِ السَّاعَةِ»؛ أَمَارَاتُ السَّاعَةِ:** عَلَامَاتُ السَّاعَةِ يَعنِي.

قَولُه ﷺ: **«وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ»؛ مِن أَدَمٍ:** يَعنِي مِن جِلدٍ، **الأَدَمُ:** الجِلدُ المَدبُوغُ.

قَولُه ﷺ: **«اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ»؛** ست حوادث بين يدي الساعة.

قَولُه ﷺ: **«مَوْتِي»**، هَذِه الأُولَى: مَوتُ الرَّسُولِ ﷺ.

قَولُه ﷺ: **«ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»**، وَقَد فُتِحَ فِي عَهدِ عُمرَ ﷺ.

قَولُه ﷺ: **«ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ»، المُوتَان:** هُو الوَبَاءُ - والعِيَاذُ بِاللهِ -، الّذِي يَمُوتُ كَثِيرٌ فِيهِ.

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٣١٧٦).

قَولُه ﷺ: «**ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ، حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا**»؛ **ثمَّ استِفَاضةُ المَالِ**: كثْرةُ الثَّروَةِ، هَذِه فِتنةٌ، وهِيَ مِن عَلَاماتِ السَّاعَةِ، كَثرةُ الأَموَالِ بِأَيدِي النَّاسِ هَذِه مِن عَلَاماتِ السَّاعَةِ. لَا يَكفِيهِ المَبلَغُ القَلِيلُ، المِائَةَ دِينَارٍ فِي ذَاكَ الوَقتِ كَانَت ثَروَةً، يَقُولُ: يُعطَى إِيَّاهَا، ولَا يَرضَى، يُرِيدُ أَكثَرَ، لَا يَقنَعُ.

قَولُه ﷺ: «**ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ**»، هذِه المُشكِلةُ: فِتنَةً عَامّةً تَدخُلُ البُيُوتَ، وَاللهُ أَعلَمُ إِنّها وَسَائلُ الإِعلَامِ الآنَ، وهَذِه الوَسَائلُ - الإِنْتَرنِت -، ولَا أَدرِي مَاذَا تَنقُلُ هَذِه الشُّرُورُ، تُدخِلُها علَى النّاسِ فِي بيُوتِهم، أَنتَ لَم تَذهَبْ إِلَيهَا، لَكنْ هِي دَخَلَت عَلَيكَ وَأَنتَ عَلَى فِرَاشِك، عِندَكَ هَذَا الصَّنَمُ الّذِي بِجِوَارِك، تُحرِّكُه يَأتِي لَكَ بِكلِّ شَرٍّ وَكلِّ بَلَاءٍ، هَذِه فِتنَةٌ.

قَولُه ﷺ: «**ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ**»؛ هُدنَةٌ تكُونُ بَينَكُم وَبَينَ الرُّومَ - بَنِي الأَصفَرِ **يَعنِي**: الرُّومِ -، هُدنَةٌ بَيْن المُسلِمِين وَبينَ الرُّومِ؛ تَرْكُ القِتَالِ بينَهُم.

قَولُه ﷺ: «**فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**»، فيَغدِرُ الرّومُ العَهدَ الّذِي بَينَكم وبينَهُم، يَغدِرُونَ ويَغزُونَ المُسلِمِين؛ لِأَنَّ مِن طَبِيعَةِ الكفَّارِ الغَدرِ والخِيَانةِ، وَمِن طَبِيعَةِ المُسلِمِين الوَفَاءُ بِالعُهُودِ.

هَذِه مِن عَلَامَات السّاعَةِ، ولَيْسَت كلُّ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ، عَلَامَاتُ السَّاعَةِ كَثِيرةٌ، لَكنْ هذِه مِنهَا.

أَمَاراتُ السَّاعَةِ أَو أَشرَاطُ السَّاعَةِ هِي الحَوَادِثُ الّتِي تَحدُثُ قُربَ قِيَام السَّاعَةِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]. أيْ: عَلَامَاتُها.

وأَوّلُ عَلَاماتِ السّاعةِ بِعثَةُ الرّسُولِ ﷺ، قَالَ ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»، وَأَشَارَ بِأُصبُعَيْهِ السَّبَّابَةُ والوُسطَى[1].

وهُو ﷺ نَبِيُّ السَّاعَةِ، وَتَستَمِرّ العَلَامَاتُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السّاعةُ، لَكِنْ تَختَلِفُ العَلَاماتُ؛ مِنهَا عَلَامَاتٌ صُغرَى، وَمِنهَا عَلَامَاتٌ كُبرَى مُتَتَابِعةٌ، وَهِي مَحلُّ البَحثِ الآن اَلعَلَامَاتُ الكُبرَى.

* * * * *

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٥١).

بَابُ مَلَاحِمِ الرُّومِ

ولِمُسلِم عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى إِلَّا: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ، قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ، حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ هَكَذَا - وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ - فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ، نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً - إِمَّا قَالَ لَا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا - حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ، كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ، هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ

فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ - أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ -»(١). [٩٤]

---

[٩٤] **قولُه** رَحِمَهُ اللهُ: «**بَابُ مُلَاحِمِ الرُّومِ**»؛ **يَعنِي**: الحُروبَ، المَلاحِمُ هِي الحُرُوبُ، والرُّومُ هُم بَنُو الأَصفَر.

«**فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى**»، هِجِّيرَى يَعنِي لَيسَ لَه عَادةٌ، **هِجِّيرَى**: يَعنِي عَادَة.

قَولُه رَحِمَهُ اللهُ: «**إِلَّا: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ**»، وكَانَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُود رضي الله عنه الصحَابِيّ الجَلِيلُ هُو القَاضِي وَالدَّاعِيةُ فِي الكُوفَةِ، وَكَانَ الأَمِيرُ أَبَا مُوسَى الأَشعَرِيَّ رضي الله عنه.

قَولُه رضي الله عنه: «**وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً**»؛ **يَعنِي**: يكُونُونَ شُرطَةً.

قَولُه رضي الله عنه: «**فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً - إِمَّا قَالَ لَا يُرَى مِثْلُهَا وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا - حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا**»؛ هَذا الحَدِيثُ فِيهِ ذِكرُ مَا يكُونُ مِن الحَربِ بَيْن المُسلِمِين وَبينَ الرّوم فِي آخِرِ الزّمانِ، وأنّه فِي النّهايَةِ تكُونُ الغَلَبةُ لِلمُسلِمِين، وَذَلِك فِي أَرضِ الشَّامِ.

قَولُه رضي الله عنه: «**فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ، كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ**»؛ **يَعنِي**: يُقتَلُون، يُقْتَل بَنُو الرّجُلِ، القَبِيلَةَ أَو الأُسَر تُقتَلُ، وَلَا يَبقَى إِلّا وَاحدٌ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٩٩).

قَولُه ﷺ: «**فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ؟**»، هذَا يُفسِّرُ أَوّلَ الحَدِيث: «**لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ**»؛ لأنّهم يُقتَلُون، وَلَا يَبقَى إِلّا القَلِيلُ.

قَولُه رَحِمَهُ اللهُ: «**فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ**»؛ بَينمَا المُسلِمُون فِي الغَزوِ يُقاتِلُون الرُّومَ، وَحَصَلَ لَهُم النَّصرُ؛ إِذ جَاءَهم الصَّرِيخُ.

و«**الصَّرِيخُ**»: هُو الّذِي يُحذِّرُهم مِن شَيءٍ حَصَلَ، وَهُو الّذِي يَأتِي نَذِيرًا، يُخبِرُهم عَن شَيءٍ حَصَلَ بَعدَهم، وَهَذَا الشَّيءُ أنّه خَرَجَ الدَّجّالُ فِي قَومِهم، فَيَترُكُونَ الغَزوَ، ويَرجِعُون إِلَى أَهلِهم؛ لِأَجلِ مُقَابلَةِ الدَّجّالِ ودَفعِ شَرّهِ.

و«**الدَّجَّالُ**»: هُو رَجلٌ مِن اليَهُودِ، يَخْرجُ فِي آخِرِ الزّمَانِ، خُرُوجُه مِن عَلَامَاتِ السّاعةِ الكبْرَى، سُمّي المَسِيحُ الدّجّالُ مِن الدَّجَلِ، وهُو كَثْرةُ الكَذِبِ؛ لأنّه كذَّابٌ كثِيرُ الكذِبِ، مَعَه فِتنةٌ عَظِيمةٌ، تَغُرُّ كَثِيرًا مِن النّاسِ، يَنخَدِعُون بِه، ولَا يَبقَى إِلّا أَهلُ الإِيمَانِ الصّحِيحِ، يَثبُتُونَ عَلى دِينِهم، حتّى يَأتِي الفَرجُ مِن اللهِ ﷻ، وَإِلّا سَيحصُلُ علَى المُسلِمِين فِتنةٌ مِن الدّجّالِ؛ بِمَا معَه مِنَ الخوَارِق، مَعَه خَوَارِقُ شَيطَانِيةٌ، تُؤثّر عَلَى الجُهّالِ وَضِعافِ الإِيمَانِ، يَغتَرّون بِه، وَيَتّبِعُونَه - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، وَلَا يَبقَى إِلّا المُؤمِنُ القَوِيُّ فِي إِيمَانِه الثّابِتُ علَى دِينِه، مَعَ مَا يَتعرّضُ لَه مِن الخطَرِ، لَكنَّهُ يَثبُتُ عَلَى دِينِه، فَفِتنَةُ الدَّجّالِ فِتنَةٌ عَظِيمةٌ.

وبينَما هُم كَذَلِك؛ إِذ نَزَل المَسِيحُ عِيسَى بنُ مَريَمَ ﷺ مِن السَّماءِ، حَضرَ مَعَهُم صَلاةَ الفَجرِ، وَهُم يُصَلّونَ خَلفَ إِمَامِهم المَهدِيِّ، حَضر مَعهُم صَلَاةَ الفَجرِ، صَلّى مَعَهُم المَسِيحُ ﷺ، ثمَّ يَطلُبُ الدَّجّالَ، حتّى يَجِدَهُ، فَيَقتُلَهُ، يقتُلُه شَرّ قِتلَة عِندَ بَابِ لُدٍّ - مَكانٌ مِن فِلَسطِين -، يَطلُبُ الدّجَّالَ، حتّى يَجدَه فِي هَذَا المَكانِ، فيَقتُله، وَيَستَرِيحُ المُسلِمُونَ مِن شَرّهِ.

قَولُه ﷺ: «**فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ**»؛ **يَعنِي**: إِذَا جَاءَهم الصّرِيخُ، وأخبَرَهم بِظُهُورِ الدّجَّالِ، وأنّه خَلَّفَهم - **يَعنِي**: جَاءَ بَعدَهم -، تَركُوا مَا بِأَيدِيهم، وَتَركُوا الغَزوَ مَع الرُّومِ وَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهم؛ لِيَدفَعُوا عَنهَا شَرَّ الدَّجّالِ.

قَولُه ﷺ: «**فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً**»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ - أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ-** »؛ مِن المُسلِمِين يَستَطلِعُون أَمرَ الدّجَّالِ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

وَلَهُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[1].[٩٥]

---

[٩٥] قَولُه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ، أَوْ بِدَابِقَ»، «الأَعْمَاقِ» مَكانٌ مِن الشّامِ، وَ«دَابِقَ» - أَيضًا - مَكان بالشام.

قَولُه ﷺ: «فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ»، هذَا فِي قِتَالِهم مَعَ الرّومِ، قُسْطُنْطِينِيَّةَ عَاصِمةُ التُّركِ.

قَولُه ﷺ: «فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ»، هَذَا مِثلُ الحَدِيثِ الّذِي قَبلَه، بَينَمَا هُم يُقَاتِلون الرُّومَ - ظَفرُوا بِالرّومِ، وَأَخذُوا الغَنَائِمَ -، إِذْ جَاءَهم النَّذِيرُ بِأَنَّ الدّجّالَ قَد خَرَجَ فِي أَهلِيهِم.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٩٧).

....

قَولُه ﷺ: «فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَأَمَّهُمْ»، بَينَمَا هُم فِي كَربٍ وَشِدةٍ مَع الدّجّالِ، وَيتهَيّؤُونَ لِقتالِ الدّجّالِ وَحِزبِه، عَرَضَت صَلاةُ الفَجرِ، بينَمَا هُم كَذَلِك، نَزَلَ عِيسَى عليه السلام.

واللهُ ﷻ أَخبَرَ أَنَّه رَفَعَ عِيسَى إِلَيه حَيًّا، لمَّا تَآمَرَ عَلَيهِ اليَهُودُ، يُرِيدُون قَتلَه، رَفَعَه اللهُ مِن بَينِهِم، وَلَم يَشعُرُوا بِذَلِك، وَأَلقَى شَبَهَه عَلَى رَجلٍ مِن القَومِ، ظَنّوا أَنّه المَسِيحُ، فَقَتَلُوه، وَصَلَبُوه، وَنَجّى اللهُ المَسِيحَ ﷺ، ورَفَعَه إِلَيهِ حيًّا بِرُوحِه وَبَدنِه.

ثُمَّ فِي آخِرِ الزّمانِ يَنزِلُ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]، هذَا إِذَا نَزَلَ، فَإِذَا نَزَلَ، يُؤمِنُونَ، وَلَا يَبقَى فِي الأَرضِ إِلَّا الإِسلَامُ، لَا يَبقَى دِينَانِ فِي الأَرضِ، وَيُحكَمُ بِشَرِيعَةِ مُحَمّدٍ ﷺ، حتَّى يَخرُجَ يَأجُوجُ وَمَأجُوجُ فِي آخِرِ حيَاةِ عِيسَى بنِ مَريَمَ عليه السلام، وَهَذِه آفَةٌ أُخرَى تَظهَرُ عَلَى المُسلِمِين.

تَخلَّصُوا مِن الدّجّالِ، وَسَادَ حُكمُ المُسلِمِين، وَانتَشَر الإِسلَامُ، وَوُضِعَت الجِزيَةُ، وقُتِلَ الخِنزِيرُ، وَصَارَت العِبادَةُ للهِ وَحدَه، بَينَما هُم كَذَلِك، ظَهَرَ عَلَيهِم جَيشٌ لَا يَطِيقُونَه، وهُم يَأجُوجُ وَمَأجُوجُ.

قَولُه ﷺ: «فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ، كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ»، إِذَا رَأَى الدّجّالُ عِيسَى بنَ مَريَمَ عليه السلام، خَارَ، وَلَم يَستَطِعْ الحَرَكَةَ، وَذَهَبَت قُوَاهُ.

قَولُه ﷺ: «فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ، حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»؛ عِيسَى بنُ مَريَمَ عليه السلام يَقتُلُ الدّجّالَ بِيَدِه مُبَاشَرَةً، فيُرِيحُ اللهُ المُسلِمِين مِن الدّجالِ، وَيَتولّى المَسِيحُ عِيسى بنُ مَريَمَ عليه السلام.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

وَلَهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا - قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ - الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ»(١). [٩٦]

---

[٩٦] **قَولُه ﷺ: «فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا»**؛ المُسلِمُون يَغزُون هَذِه البَلدَةَ، الظَّاهرُ أنَّها القُسطَنطِينِيَّةُ، يَغزُونَها، ويُكبِّرُون اللهَ تكبِيرًا، ويُهلِّلُون، ثمَّ تَسقُطُ، كلَّما كبَّروا وهلَّلُوا، سَقَطَ جَانبٌ مِنهَا بِدُونِ قِتالٍ.

قَولُه: «قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ - الَّذِي فِي الْبَحْرِ»؛ يَعنِي: الجَانِبَ الّذِي فِي البَحرِ مِنهَا يَسقُطُ بِالتَّكبِيرِ.

قَولُه ﷺ: «فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ»، هذَا مِثلُ الحَدِيثِ الأوَّلِ، إلَّا أنَّه أَوضَحَ مِنه، وَأنَّهم ظَفرُوا بَعدَهم، وَانتَصرُوا عَلَيهِ بِدُونِ قِتالٍ؛ بَل بِذِكرِ اللهِ ﷻ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٢٠).

وَلِابْنِ مَاجَه: مِن حَدِيثِ كَثِيرِ بْنِ عَبدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوفٍ، عَن أَبِيهِ: عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ أَدْنَى مَسَالِحِ الْمُسْلِمِينَ بِبَوْلَاءَ» ثُمَّ قَالَ ﷺ: «يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ» قَالَ: بِأَبِي، وَأُمِّي، قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتُقَاتِلُونَ بَنِي الْأَصْفَرِ، وَيُقَاتِلُهُمُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِكُمْ، حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ رُوقَةُ الْإِسْلَامِ، أَهْلُ الْحِجَازِ، الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَيَفْتَتِحُونَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ، فَيُصِيبُونَ غَنَائِمَ لَمْ يُصِيبُوا مِثْلَهَا، حَتَّى يَقْتَسِمُوا بِالْأَتْرِسَةِ، وَيَأْتِي آتٍ فَيَقُولُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَرَجَ فِي بِلَادِكُمْ، أَلَا وَهِيَ كِذْبَةٌ فَالْآخِذُ نَادِمٌ، وَالتَّارِكُ نَادِمٌ»(١). [٩٧]

فَبينَمَا هُم بَعدَ هَذَا النَّصرِ، وَيُقسِّمُون الغنَائِمَ، جَاءَهم الخَبَرُ عَن ظهُورِ الدّجَّالِ فِي أَهلِيهِم، «**فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ**» إِلَى أَهلِيهِم.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[٩٧] **قَولُه ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتُقَاتِلُونَ بَنِي الأَصْفَرِ»**؛ يَعنِي: الرُّومَ.

قَولُه ﷺ: «فَيَفْتَتِحُونَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ»؛ هذِهِ البلَدُ الّذِي بَعضُها فِي البَرِّ وَبعضُها فِي البَحرِ هِيَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ.

قَولُه ﷺ: «فَيُصِيبُونَ غَنَائِمَ لَمْ يُصِيبُوا مِثْلَهَا، حَتَّى يَقْتَسِمُوا بِالأَتْرِسَةِ»؛ مِثلُ: الرِّوَايةِ الأُولَى، مِن كَثرَةِ المَالِ يَقتَسِمُونَه، لَيسَ بِالعَدِّ، بَل بِالأَترِسَةِ؛ جَمعُ تِرْسٍ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٤٠٩٤).

ولأبِي داود وغيره: عن ذِي مِخْبَرٍ ﷺ - وَكَانَ مِن أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «تُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، ثُمَّ تَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِهِمْ، فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَنْصَرِفُونَ، حَتَّى يَنْزِلُو بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ فَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الرُّومِ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، وَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: بَلِ اللَّهُ غَلَبَ، فَيَثُورُ الْمُسْلِمُ إِلَى صَلِيبِهِمْ وَهُمْ مِنْهُ غَيْرُ بَعِيدٍ فَيَدْفَعُهُ، وَيَثُورُ الرُّومُ إِلَى كَاسِرِ صَلِيبِهِمْ فَيَضْرِبُونَ عُنُقَه، وَيَثُورُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ فَيَقْتَتِلُونَ فَيُكْرِمُ اللَّهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّهَادَةِ، فَتَقُولُ الرُّومُ لِصَاحِبِ الرُّومِ: كَفَيْنَاكَ الْعَرَبَ، فَيَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةٍ تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»[1].[٩٨]

---

[٩٨] قَولُه ﷺ: «تُصَالِحُون الرُّوم صُلْحًا آمِنًا، ثُمَّ تَغْزُوا أَنْتُم وَهُم عَدُوًّا مِنْ وَرَائِهِم، فَتُنْصَرُونَ، وَتَغْنَمُونَ، وَتَنصرِفُونَ، حَتَّى يَنْزِلُون بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ»؛ يَعنِي: تَجتَمِعُونَ أَنتُم وَهُم عَلَى قِتَالِ عَدوٍ لِلجَمِيعِ.

قَولُه ﷺ: «فَتَقُولُ الرُّومُ لِصَاحِبِ الرُّومِ: كَفَينَاكَ العَرَبَ، فَيَجْتَمِعُونَ لِلمَلْحَمَةِ»؛ يَعنِي: القِتَالُ بَينَهم وَبَيْن هَؤلَاءِ الرُّومِ، الّذِين نَسَبُوا النَّصرَ إِلَى الصَّلِيبِ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٩٢)، وأحمد رقم (١٦٨٢٦)، والحاكم رقم (٨٢٩٨).

وَلَه وغَيْره: عَن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْمَلْحَمَةُ الْكُبْرَى، وَفَتْحُ الْقُسْطَنطِينِيَّةَ، وَخُرُوجُ الدَّجَّالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ»(١)، حسَّنه التِّرمذِيُّ.[٩٩]

وِلأَبِي دَاوُدَ عَن عَبدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ ﷺ، مَرفُوعًا: «بَيْنَ الْمَلْحَمَةِ وَفَتْحِ الْمَدِينَةِ سِتُّ سِنِينَ، وَيَخْرُجُ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ فِي السَّابِعَةِ»(٢)، قَالَ: «هَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ عِيسَى، يَعنِي: حَدِيثَ مُعَاذٍ ﷺ.[١٠٠]

وله عن ثَوْبَان ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(٣).[١٠١]

---

[٩٩] قَولُه ﷺ: «الْمَلْحَمَةُ الْكُبرَى، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَخُرُوجُ الدَّجَّالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ»؛ يَعنِي: تَجتَمِعُ كلُّ هَذِه الحَوادِثُ العَظِيمةُ فِي هَذِه الأَشهُرِ، سَبعَةَ أَشهُرٍ فَقَطْ؛ يَعنِي: مُدَّة قَصِيرة.

* * * * *

[١٠٠] قَولُه ﷺ: «بَيْنَ الْمَلْحَمَةِ وَفَتْحِ الْمَدِينَةِ»؛ يَعنِي: القُسْطَنْطِينِيَّةَ.

* * * * *

[١٠١] قَولُه ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُم كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟»، هذَا مِن علامَاتِ

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٩٥)، والترمذي رقم (٢٢٣٨)، وأحمد رقم (٢٢٠٤٥).
(٢) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٩٦).
(٣) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٩٧).

السّاعَةِ: تَدَاعِي الأُمَمِ عَلَى المسلِمِين، أُمَمُ أَهلِ الأَرضِ مِن الكفَّارِ يَتَدَاعَون عَلَى المُسلِمِين، يَجتَمِعُون عَلَى قِتالِ المُسلِمِين، هَذَا مِن عَلامَاتِ السَّاعَةِ.

والمسلِمُون فِي هَذَا الوَقتِ ضُعفَاءُ بِسببِ انشِغَالِهم بِالدّنيا، مَعَ كَثرتِهِم ضُعفَاءُ؛ لِأنَّ الكَثرَةَ لَا تَكفِي، إِلَّا مَع الإِيمَانِ، أمَّا الكَثرَةُ بِدُونِ إِيمَانٍ، فَإِنَّها تكونُ قَلِيلَةً.

قَولُه ﷺ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ»؛ يَعنِي المُسلِمِين.

قَولُه ﷺ: «وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ»، كَانَ العَدُوُّ يَهَابُ المُسلِمِين، ثمَّ فِي آخِرِ الزّمَانِ العَكس؛ تُنزَعُ مهَابَةُ الكفَّارِ مِن المُسلِمِين، فَيَصِيرُ الّذِي يَهَاب هُم المُسلِمُون، يَهَابون الكفَّارَ. بَدَلَ أنْ كَانَ الكفَّارُ يَهَابُونَ المُسلِمِين، انعَكَسَت، صَارَ المسلِمُون يَهَابُون الكفَّارَ؛ لِضَعفِ الإيمَانِ، ذَلِك لِضَعف الإِيمَانِ عِندَهم، وهَذَا مِن عَلامَاتِ السَّاعَةِ: تَخَاذُلُ المُسلِمِين، انِقَسامُ المسْلِمِين، دُخولُ المَذَاهِبِ الضَّالةِ عَلَى المُسلِمِين، تَفرُّقُ المُسلِمِين إِلَى فِرقٍ مُختَلِفةٍ، كلُّ هَذَا يُضعِفُ المُسلِمِين.

قَولُه ﷺ: «وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ»، فقَالَ قَائلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الوَهنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»»، هَذَا هُو السَّببُ؛ إِذَا أَحبَّ المُسلِمُون الدّنيا، وَكَرِهُوا المَوتَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالجِهَادَ فِي سَبيلِ اللهِ، عِندَ ذَلِك يَحدُث هَذَا الذُّلُّ، الّذِي يَضعُه اللهُ فِيهِم.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ولِمُسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ، تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو»[1]. وفي رواية: «فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا»[2].[١٠٢]

وَله عَنهُ ﷺ أَنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ» شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ[3].[١٠٣]

---

[١٠٢] فِتنَةُ ظهُورِ هَذَا الجبلِ مِن الذَّهبِ؛ إِذَا حُسِرَ مَاءُ الفُرَاتِ، يَتقاتَلُون عَلَيه، هَذَا مِن انشِغَالِهم بِالدّنيَا والطَّمعِ، وهَذَا هُو الّذِي أَذَلّهم أَمَامَ عَدُوِّهم، يَتَقاتَلُون بينَهم، المسْلِمُون يتقَاتَلُون بَيْنَهم، كلٌّ يُريدُ أَخذَ هَذَا الذَّهبِ؛ فِتنَةٌ !!

* * * * *

[١٠٣] قَولُه ﷺ: «مَنَعَتِ العِرَاقُ دِرْهَمَها وَقَفِيزَهَا، ومَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَها، ومَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّها وَدِينَارَها»؛ يَعنِي: البُخلُ، إِذَا حَصَلَ البُخلُ بِالمَالِ، حَصَلَت المُصِيبَةُ.

قَولُه ﷺ: «وَعُدْتُم مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُم»؛ يَعنِي: تَعُودُون أَذِلّاءَ مِثلَمَا كُنتُم قَبلَ الإِسلَامِ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٩٤).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٩٤).

(٣) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٩٦).

وَلَه عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ الْقُرَشِيِّ ﷺ أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ» فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ»[1]. [١٠٤]

قَولُه ﷺ: «شَهِدَ عَلَى ذَلِك لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ»؛ يَعنِي: الرَّاوِي ﷺ يقُولُ: أَشهَدُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ هَذَا الكَلامَ، وَأنَّه سَمِعَه مِنهُ.

قَولُه رَحِمَهُ اللهُ: «شَهِدَ عَلَى ذَلِك لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ»؛ مِن بَابِ تَأكِيدِ الرِّوَايَةِ.

* * * * *

[١٠٤] **يَعنِي:** إنَّ الرُّومَ فِيهِم صِفَاتٌ طَيّبةٌ فَمَع كُفرِهم فِيهِم صِفَاتٌ طَيِّبةٌ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]، وَمِنهم مَن إِذَا سَمِعَ مَا أُنزلَ إِلَى الرَّسُولِ، فَإنَّه يَبكِي، وَيُؤمِنُ بِمُحَمّدٍ ﷺ، فَالنَّصَارَى أَكثَرُ دُخولًا فِي الإِسلَامِ مِن غَيرِهم، وَأَكثَرُ رَأفةً وَرحمَةً، وَإنْ كَانُوا كفَّارًا.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٩٨).

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةٍ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ ﷺ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي غَزْوَةٍ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ، فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي، قَالَ: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ» قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ، لَا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ، حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ[1]. [١٠٥]

أَمَّا اليَهودُ - قَبَّحهُم اللهُ -، فَهُم أَشدُّ النَّاسِ عَدَاوةً مَعَ المُشرِكِين، انظُر! معَ المُشرِكِين عبَّادِ الأَوثَانِ، مَع أَنَّهم أَهلُ كتَابٍ، لَكنْ لَم يَنفَعْهم كِتَابُهم، صَارُوا مِثلَ عَبَدَةِ الأَوثَانِ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾، يُشَارِكُون عَبَدَةَ الأَصنَامِ مَعَ أَنَّهم أَهلُ كِتَابٍ، ولَم يَنفَعْهم كِتَابُهم لَمَّا لَم يَعمَلُوا بِهِ، فَالَّذِي يُسلِمُ مِن النَّصَارَى أَكثَرُ مِن الَّذِي يُسلِمُ مِن اليَهُودِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[١٠٥] **قَولُه ﷺ: «لَعَلَّه نَجِيٌّ مَعَهُم»؛ يَعنِي**: يَتحدَّثُونَ.

قَولُه ﷺ: «فَأَتَيْتُهم فَقُمْتُ بَيْنَهُم وَبَيْنَه، قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي»؛ مِن الرَّسُولِ ﷺ.

فَهَذا الحَدِيثُ فِيهِ: البِشَارةُ لِلمُسلِمِين أنَّ اللهَ يَنصُرُهم، وَيَفتَحُ علَيهِم فِي آخرِ الزَّمانِ؛ **يَعنِي**: لَا يَيأَسُ المُسلِمُون مَعَ كثرَةِ الفِتَنِ والكُرُباتِ

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٠٠).

ولَه عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ»[1].[١٠٦]

وَلَه عَنهُ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْجَهْجَاهُ»[2].[١٠٧]

والشَّدَائِدِ، إلّا أنّ هذَا الدِّينَ يَبقَى، وَيَبقَى لَه أَهلٌ يَتَمسَّكونَ بِه، وَيَنصُرُهم اللهُ؛ «**لَا يَضرّهم مَن خَذَلَهم وَلَا مَن خَالفَهم حتَّى يَأْتِيَ أَمرُ اللهِ ﷻ**»[3].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[١٠٦] **هَذَا مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ**: خرُوجُ هَذَا الرَّجلِ؛ يَتَسلَّط عَلَى النَّاسِ بِسُلطَانِه، هَذَا - أيضًا - مِن عَلَاماتِ السَّاعَةِ.

وَقَحطَانُ: هِي القَبِيلةُ المَعرُوفَةُ؛ لِأنَّ العَربَ يَنقَسِمُون إِلَى قِسمَينِ قَحطَانِيّةٍ، وعَدْنَانِيّةٍ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[١٠٧] «**الجَهْجَاه**»: هذَا اسمُ الرّجلِ الّذِي مِن القَحطَانِ اسمُه «**الجَهْجَاه**»، وَهُو مِن عَلَاماتِ السَّاعَةِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩١٠).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٢٩١١).

(٣) أخرجه: مسلم رقم (١٩٢٠).

وَلَه عَنهُ ﷺ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ»(١).

وَفِي لَفظٍ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى تُقَاتِلَكُمْ أُمَّةٌ يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ، وُجُوهُهُمْ مِثْلُ الْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ»(٢).[١٠٨]

وَفِي رِوَايةٍ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا صِغَارَ الْأَعْيُنِ ذُلْفَ الْآنُفِ»(٣).[١٠٩]

وَفِي لَفظٍ: «يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ، قَوْمًا وُجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ، وَيَمْشُونَ فِي الشَّعَرِ»(٤).

وفِي لَفظٍ: «حُمْرُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْأَعْيُنِ»(٥).[١١٠]

---

[١٠٨] قَولُه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُم الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ»؛ يَعنِي: التُّرك، يُقاتِلُ العَربُ التُّركَ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[١٠٩] قَولُه ﷺ: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ»؛ يعنِي: مِن المَغرِبِ - واللهُ أَعلَمُ -.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[١١٠] قَولُه ﷺ: «وَجُوهُهُم مِثْلُ الْمَجَانِّ الْمُطرَقَةِ»، المَجَانُّ جَمعُ مِجَنٍّ، وهُو مَا يَتَّخِذُه المُقاتِل سُتْرَة دُونَه وَدُونَ سِلاحِ العَدُوّ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩١٢).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٢٩١٢).

(٣) أخرجه: مسلم رقم (٢٩١٢).

(٤) أخرجه: مسلم رقم (٢٩١٢).

(٥) أخرجه: مسلم رقم (٢٩١٢).

وَلِأَبِي دَاوُدَ: عَن ابْنِ بُرَيدَةَ، عَن أَبِيهِ ﷺ، عَن النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّه قَالَ: «يُقَاتِلُكُمْ قَوْمٌ صِغَارُ الْأَعْيُنِ» يَعْنِي التُّرْكَ، قَالَ: «تَسُوقُونَهُمْ ثَلَاثَ مِرَارٍ حَتَّى تُلْحِقُوهُمْ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَأَمَّا فِي السِّيَاقَةِ الْأُولَى، فَيَنْجُو مَنْ هَرَبَ مِنْهُمْ، وَأَمَّا فِي الثَّانِيَةِ فَيَنْجُو بَعْضٌ، وَيَهْلَكُ بَعْضٌ، وَأَمَّا فِي الثَّالِثَةِ، فَيُصْطَلَمُونَ»، أَو كَمَا قَالَ ﷺ[1].

وَلَه عَن أَبِي بَكْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي بِغَائِطٍ يُسَمُّونَهُ الْبَصْرَةَ، عِنْدَ نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ: دِجْلَةُ، يَكُونُ عَلَيْهِ جِسْرٌ، يَكْثُرُ أَهْلُهَا، وَتَكُونُ مِنْ أَمْصَارِ الْمُهَاجِرِينَ»[2].[١١١]

قَولُه ﷺ: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حتّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا صِغَارَ الأَعْيُنِ ذُلْفَ الآنُفِ»، هَذِه صِفةُ التُّركِ - واللهُ أعلمُ -.

قَولُه ﷺ: «يُقَاتِلُ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ»، هَذَا تُفسِّرُ الكَلامَ السَّابِقَ؛ أنَّ المُرَادَ بِهم التُّركُ.

قَولُه ﷺ: «قَوْمًا وُجُوهُهُم كَالْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ يَلْبَسُون الشَّعَرَ، وَيَمْشُونَ فِي الشَّعَرِ»، صَارَت الصِّفَتانِ لِلتّركِ؛ هُم الّذين يَلبَسُونَ الشَّعَرَ، ويَنتَعِلُون الشَّعَرَ، وَوُجُوهُهم كَالمَجَانِّ المُطرَقَةِ، صِغَارُ الأَعيُنِ، إِلَى آخِرِه.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[١١١] قَولُه ﷺ: «يُقَاتِلُكُم قومٌ صِغارُ الأَعْيُن - يعنِي: التُّرْكَ - قَالَ: تَسُوقُونَهم ثَلاثَ مِرَارٍ، حَتَّى تَلْحَقُونَهم بِجَزِيرَةِ الْعَرَب، فَأَمّا فِي السِّيَاقَةِ الأُولَى فَيَنْجُو مَنْ هَرَبَ مِنْهُم، وأَمَّا فِي الثَّانِيَةِ، فَيَنْجُو بَعْضٌ وَيَهْلِكُ بَعْضٌ، وَأمّا في الثَّالِثَةِ فيُصْطَلَمُونَ»؛ يَعنِي: يَهلَكُون.

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٣٠٥).

(٢) أخرجه: أبو داود رقم (٤٣٠٦).

وَفِي لَفظٍ: «وَتكُونُ مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ فَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ جَاءَ بَنُو قَنْطُورَاءَ عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْأَعْيُنِ، حَتَّى يَنْزِلُوا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ، فَيَتَفَرَّقُ أَهْلُهَا ثَلَاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَالْبَرِّيَّةِ وَهَلَكُوا، وَفِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَكَفَرُوا، وَفِرْقَةٌ يَجْعَلُونَ ذَرَارِيَّهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ، يُقَاتِلُونَهُمْ وَهُمُ الشُّهَدَاءُ»[1].[١١٢]

وفِي لَفظِ أحْمَدَ، بَعدَ الفِرقَةِ الأُولَى: «وَأَمَّا فِرْقَةٌ فَتَأْخُذُ عَلَى أَنْفُسِهَا، فَكَفَرَتْ فَهَذِهِ وَتِلْكَ سَوَاءٌ»، وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «وَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى بَقِيَّتِهَا»[2].[١١٣]

---

[١١٢] قَولُه ﷺ: «فِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ أَذْنَابَ الْبَقَرِ والْبَرِّيَّة، وَهَلَكُوا»؛ يَعنِي: يَتْرُكُونَ الجِهَادَ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

[١١٣] قَولُه ﷺ: «وَفِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ لِأَنفُسِهِم وَكَفَرُوا»؛ يَأْخُذُون لِأنفُسِهم، ويَتْرُكُونَ الجِهَادَ فِي مُقابِلِ أَنَّهم يَأْمَنُون عَلَى أَنفُسِهم.

قَولُه ﷺ: «وَفِرْقَةٌ يَجْعَلُون ذَرَارِيَّهُم خَلْفَ ظُهُورِهم، يُقَاتِلُونَهم، وَهُمُ الشُّهَدَاءُ»، هَذِه الفِرقَةُ الثَّالِثةُ الَّتِي تُقَاتِلُ، هَؤلَاءِ مِن المُسلِمِين.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٣٠٦).

(٢) أخرجه: أحمد رقم (٢٠٤٥١).

قَالَ: وَلِلبَزَّارِ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ»(١)، صَحَّحه عَبدُ الحقِّ.

ولِأَبِي دَاوُدَ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ، إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ»(٢).[١١٤]

---

[١١٤] قَولُه ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّه مَذْهُوبٌ بِه، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَعَمِدَ بِه إِلَى الشَّام، أَلَا وَإِنَّ الإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ»، فِيهِ فَضلُ الشَّامِ، وَأَنَّها فِي آخِرِ الزَّمَانِ تَكُونُ هِي مَقرُّ الإِسلَامِ.

قَولُه ﷺ: «إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَومَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ»، والغُوطَةُ لَا يَزَالُ اسمُهَا مَوجُودًا الآنَ، يُسمُّونَها غُوطَةَ دِمَشقٍ.

* * * * *

---

(١) أخرجه: البزار رقم (٤١١١).

(٢) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٩٨).

وَلِابْنِ أَبِي شَيبَةَ: عَن أَبِي الزَاهرية، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَعْقِلُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَلَاحِمِ دِمَشْقُ، وَمَعْقِلُهُمْ مِنَ الدَّجَّالِ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَمَعْقِلُهُمْ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ بَيْتُ الطُّورِ»[1].[١١٥]

---

[١١٥] قَولُه ﷺ: «مَعْقِلُ الْمُسلِمِين فِي الْمَلَاحِمِ دِمَشْقُ، وَمَعْقِلُهُم مِنَ الدَّجَّالِ بَيْتُ المَقْدِسِ، وَمَعْقِلُهُم مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوج بَيْتُ الطُّورِ»؛ يَعنِي: يَتَحصَّنُون بِهَذه الأَشيَاءِ: الشَّامُ فِي بَيتِ المَقدِسِ، وَفِي الطُّورِ مَعَ عِيسَى بنِ مَريَم عليه السلام: «حَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ»[2]، فَيَنحَصِرُون فِي الطُّورِ مِن يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ، ثُمَّ يُهلِكُ اللهُ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ بِالمَرَضِ وَالوَبَاءِ، ثُمَّ يَخرُجُ المُسلِمون مِن حِصَارِهم فَرِحِينَ.

* * * * *

(١) أخرجه: ابن أبي شيبة رقم (١٩٤٤٧).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٧).

وَلِابنِ مَاجَه: عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا وَقَعَتِ الْمَلَاحِمُ، بَعَثَ اللَّهُ بَعْثًا مِنَ الْمَوَالِي، هُمْ أَكْرَمُ الْعَرَبِ فَرَسًا، وَأَجْوَدُهُ سِلَاحًا، يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ»(١).

ولِمسلِم: عَن أَبِي حُذَيفَةَ بْنِ أَسِيدٍ ﷺ، قَالَ: اطَّلَعَ عَلَيْنا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذاكَرُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»(٢).

وفِي رِوَايةٍ: «وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»(٣).

وَفِي رِوَايَةٍ لَه: «وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ»(٤)، بَدَلَ: «وَنُزُولُ عِيسَى».

وَلَه عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ»(٥). [١١٦]

---

[١١٦] **قولُه ﷺ: «تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»**؛ تَطرُدُهم إِلَى الشَّامِ، أَرضُ المَحشَرِ هِي الشَّامُ.

* * * * *

---

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٤٠٩٠).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٠١).

(٣) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٠١).

(٤) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٠١).

(٥) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٤٧).

وَلَهُ عَن مَعقِلِ بنِ يَسَارٍ ﷺ، مَرفُوعًا: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»(١).

وَلَه: عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ»(٢).

ولَه: عَن أَبِي زُرْعَةَ - وَذَكَرَ قَولَ مَرْوَان عَن الآيَاتِ -: أَوَّلُهَا خُرُوجًا: الدَّجَّالُ، فَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ عَمرٍو ﷺ: لَمْ يَقُلْ مَرْوانُ شَيْئًا، قَد حَفَظْتُ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا لَم أَنْسَهُ بَعدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»(٣).

قَالَ: وَلِلتِّرمِذِيِّ: عَن صَفْوَان بنِ عَسَّالٍ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ بِالمَغْرِبِ بَابًا مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ سَنَةً لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ قِبَلِهِ»، وَقَالَ: حَسنٌ صَحِيحٌ(٤).

ولِمُسلِم: عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ»(٥).[١١٧]

---

[١١٧] قَولُه ﷺ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»؛ يَعنِي: كَونُ الإِنسَانِ يَشتَغِلُ بِالعبادَةِ فِي الهَرْجِ -يَعنِي: وَقتَ الفِتنِ بَيْن المُسلِمِين-،

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٤٨).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (١٥٨).

(٣) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٤١).

(٤) أخرجه: الترمذي رقم (٣٥٣٦).

(٥) أخرجه: مسلم رقم (٢٧٠٣).

الّذِي يَتجنَّبُها، وَيَشتَغلُ بِالعِبَادةِ، يكُونُ كَالمُهَاجرِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَهَذا فِيه فَضلُ العمَلِ الصَّالحِ فِي وَقتِ الفِتَنِ، وأنَّ الإِنسَانَ لَا يَدخُل فِيهَا، وَيَشتَغلُ بِالعِبادَةِ.

قَولُه ﷺ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مغرِبها، والدَّجَّالُ، ودابّةُ الأَرْضِ»، هَذِه الآيَاتُ الكِبَار، يَنتَهِي قَبُولُ الإِيمَانِ والتَّوبَةِ، فَلَا تُقبَلُ التَّوبَةُ، وَلَا يَنفَعُ الإِيمَانُ، الّذِي يَأتِي بَعدَها؛ ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، أَمَّا إِذَا لَم تَكُنْ آمنَت إِلَّا بَعدَ طلُوعِ الشَّمسِ مِن مَغرِبها، لَا يَنفَعُ هَذَا، وَلَا يُقبَلُ، قَالَ تعالَى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]؛ يَأتِي - سُبحَانَه - لِلفَصلِ بَيْنَ العِبَادِ إِتيَانًا يَلِيقُ بِجَلَالِه - سبحانه -.

﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وَهَذِه هِي طلُوعُ الشَّمسِ مِن مَغرِبِها. ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]؛ يَعنِي طلُوعُ الشَّمسِ مِن مَغرِبِها. ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]؛ لأَنَّه يُغلَقُ بَابُ التَّوبَةِ، إِذَا ظَهَرَت الشَّمسُ مِن مَغرِبِها، يُغلَقُ بَابُ التَّوبَةِ، ظَهَرَتِ الدَّابةُ، الدَّابَّةُ تَسِمُ النّاسَ؛ تَكتُبُ علَى المُسلِم مُسلِمٌ، وتَكتُبُ عَلَى الكَافِرِ كَافرٌ، ولَا يَتُوبُ مِن الكفَّارِ أَحدٌ، ولَا تُقبَلُ تَوبَتُه حِينَئِذٍ، فَيُتَابعُ المُسلِمُ والكَافِرُ؛ يَقُولُ المُسلِمُ: يَا كَافِرُ، وَيَقُولُ الكَافِرُ: يَا مُسلِمُ.

قَوْلُه رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَذَكَرَ قَولَ مَرْوَان عَنِ الْآيَاتِ**»؛ هَذِه الآيَاتُ الكِبَارُ: أَوَّلُها خُرُوجُ الدَّجّالُ.

قَوْلُه: «فَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ عَمرٍو: لَمْ يَقُلْ مَرْوانُ شَيْئًا، قَد حَفَظْتُ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا لَم أَنْسَهُ بَعدُ»؛ عَبدُ اللهِ بْنُ عَمرٍو رضي الله عنهما.

قَوْلُه ﷺ: «**إنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مغربِها، وخروجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى**»؛ خرُوجُ الدَّابَّةِ، وخرُوجُ الشَّمسِ مِن مَغرِبِها، هَاتَانِ الآيَتَانِ إِذَا وَقَعَتَا، انْتَهَى قَبُولُ التَّوبَةِ، وَانتَهَى قَبُولُ الإِيمَانِ.

قَوْلُه ﷺ: «**إنَّ بِالْمَغرِبِ بَابًا مَفْتُوحًا لِلتَّوبَةِ، مَسِيرَةُ سَبْعِيْن سَنَة، لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ قِبَلِهِ**»، هَذَا يُوَافِق مَا سَبَقَ؛ أَنَّه إِذَا طَلَعَت الشَّمسُ مِن مَغرِبِها، لَا تُقبَلُ التَّوبَةُ.



بَابُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الدُّخانُ

ورُوِيَ مِن حَدِيثِ حُذَيْفَةَ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ مِن أَشْرَاطِ السَّاعَةِ دُخَّانًا مَلأَ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغرِبِ، يَمكُثُ فِي الأَرْضِ أَربَعِينَ يَوْمًا؛ أَمَّا المُؤمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنهُ شِبْهُ الزُّكَامِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيَكُونُ بِمَنزِلَةِ السَّكْرَانِ، يَخرُجُ الدُّخَّانُ مِنْ أَنْفِهِ وَمِنْخَرِهِ وَعَينَيهِ وَأُذُنَيهِ وَدُبُرِهِ»(١).

وَلأَبِي دَاوُدَ: عَن أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لَه: «يَا أَنَسُ، إِنَّ النَّاسَ يُمَصِّرُونَ أَمْصَارًا، وَإِنَّ مِصْرًا مِنْهَا يُقَالُ لَهُ: الْبَصْرَةُ - أَوِ الْبُصَيْرَةُ - فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِهَا، أَوْ دَخَلْتَهَا، فَإِيَّاكَ وَسِبَاخَهَا، وَكِلَاءَهَا، وَسُوقَهَا، وَبَابَ أُمَرَائِهَا، وَعَلَيْكَ بِضَوَاحِيهَا، فَإِنَّهُ يَكُونُ بِهَا خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَرَجْفٌ، وَقَوْمٌ يَبِيتُونَ يُصْبِحُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ»(٢). [١١٨]

---

[١١٨] قَولُه ﷺ: «إِنَّ مِن أَشرَاطِ السَّاعَةِ دُخَّانًا مَلأَ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغرِبِ، يَمكُثُ فِي الأَرْضِ أَربَعِينَ يَوْمًا»، هذا الدخان الذي يخرج في آخر الزمان، وهو من علامات الساعة، والدخان المذكور في سورة الدخان - والله أعلم -؛ أنه أصاب قريشًا من الجدب، حتى ينظروا إلى السماء، فكأن بينهم وبينها دخان؛ من شدة الجدب: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدخان: ١٠].

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١٧، ١٨).
(٢) أخرجه: أبو داود رقم (٤٣٠٧).

قوله ﷺ: «**أَمَّا المُؤمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنهُ شِبْهُ الزُّكَامِ**»؛ مِن هذَا الدُّخَانِ، الَّذِي يَحدُثُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَلَا يَضُرُّه.

قَولُه ﷺ: «**وَأَمَّا الكَافِرُ فَيَكُونُ بِمَنزِلَةِ السَّكْرَانِ، يَخرُجُ الدُّخَّانُ مِنْ أَنْفِهِ وَمِنْخَرِهِ وَعَينَيهِ وَأُذُنَيهِ وَدُبُرِهِ**»؛ يُؤَثِّرُ عَلَى الكفَّارِ، وَلَا يُؤثِّرُ عَلَى المُؤمِنِين، لَكنْ يُصِيبُهم شَيءٌ مِثلُ الزُّكَامِ خَفِيفٌ.

قَولُه ﷺ: «**يَا أَنسُ، إنَّ النَّاسَ يُمَصِّرُونَ أَمْصَارًا، وَإنَّ مِصْرًا مِنْهَا يُقَالُ لَهُ: الْبَصْرَةُ - أَوِ الْبُصَيْرَةُ - فَإنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِهَا، أو دَخَلْتَهَا، فَإِيَّاكَ وَسِبَاخَهَا وَكِلَاءَهَا، وَسُوقَهَا، وبَابَ أُمَرائِهَا، وَعَلَيْكَ بِضَوَاحِيهَا؛ فَإنَّه يَكُونُ بِهَا خَسْفٌ وقَذْفٌ، وَرَجْفٌ، وقَوْمٌ يَبِيتُونَ، يُصْبِحُون قِرَدَةً، وخَنَازِيرَ**»، هَذَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَاللهُ أَعلَمُ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

بَابُ الدَّجَّالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ[١١٩]

[١١٩] **مِن عَلَامَاتِ السَّاعةِ الكِبَارِ:** خُروجُ الدَّجّالِ، وَفِتنَةُ المَسِيحِ الدَّجّالِ، وَهِي فِتنةٌ عَظِيمةٌ، حَذَّر مِنهَا الرَّسُولُ ﷺ، وحَذَّرَ مِنهَا الأَنبِيَاءُ مِن قَبلِه؛ مَا مِن نَبيٍّ إِلَّا وَحذَّرَ أُمّتَه الدَّجّالَ، وَأَكثَرُهم تَحذِيرًا هُو نَبِيُّنا مُحمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنّهُ آخِرُ الأَنبِيَاءِ، وَلِأَنَّ الدَّجّالَ يَخرُجُ فِي أُمتِهِ.

المَسِيحُ الدَّجَّالُ، قِيلَ: سُمِّيَ بِالمَسِيحِ؛ لِأَنَّهُ أَعوَرٌ مَمسُوحُ العَينِ، وَقِيلَ: سُمِّيَ المَسِيحُ؛ لِأَنّه يَمسَحُ الأَرضَ بِسُرعَةٍ، سَرِيعُ السَّيرِ فِي الأَرضِ.

وهُو مَسِيحُ الضَّلَالةِ؛ فَرْقًا بَيْنَه وَبَيْنَ المَسِيحِ عِيسَى بنِ مَريَمَ عليه السلام مَسِيحُ الهِدَايَةِ.

سُمِّيَ عِيسَى بنُ مَريَمَ عليه السلام بِالمَسِيحِ، قَالُوا: لِأَنّه يَمسَحُ عَلَى ذِي العَاهَةِ، فَيَبْرَأُ - بِإِذنِ اللهِ -، وَهُو مَسِيحُ الهِدَايَةِ.

والدَّجَّالُ سُمّيَ الدَّجَّالُ مِن الدَّجلِ، وَهُو الكَذِبُ؛ لِأَنّه كَذَّابٌ فِيمَا يَأتِيهِ وَمَا يَدَّعِيهِ، وَأَعظَمُ دَجلِه أَنَّه يَدَّعِي الرُّبُوبِيةِ، وَأَنَّه هُو اللهُ - تَعَالَى اللهُ عَن ذَلِك -، وَمَعهُ خَوَارِقُ لِلعَادةِ، وَهِي خَوَارِقُ شَيطَانِيةٌ؛ فَيَأمُر الأَرضَ، فَتُخرِجَ كنُوزَها، وَيَأمُر السَّحَابَ، فَيُمطِرُ، ويَأمُر الأَرضَ، فَتُنبِتُ، وَاللهُ أَقدَرَه عَلَى ذَلِكَ؛ مِن أَجلِ الفِتنَةِ؛ أَنْ يَفتَتِنَ النّاسُ بِه. وَمَعَه جَنَّةٌ وَنَارٌ فِيمَا يَظهَرُ لِلنّاسِ، وَمَعهُ فِتنٌ كَثِيرةٌ -نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ-، وَلِهَذا يُشرَعُ لنَا الاستِعَاذَة مِن المَسِيحِ الدَّجَّالِ، شُرِعَ لنَا فِي آخرِ الصَّلاةِ - فَرِيضةً أَو نَافِلةً - أَنْ نَستَعِيذَ بِاللهِ مِن أَربَعٍ: مِن عَذَابِ القَبْرِ، وَمِن عَذَابِ النَّارِ، وَمِن فِتنَةِ المَحيَا والمَمَاتِ، وَمِن فِتنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّال.

وَالمَسِيحُ الدّجَّالُ يَحصُلُ مِنه فِتنٌ عَظِيمةٌ، يَأتِي ذِكرُها فِي الأَحَادِيثِ الّتِي مَعَكُم، وَفِي آخِرِ أَمرِه يَنزِلُ المَسِيحُ عِيسَى بنُ مَريَمَ ﵇ مِن السَّمَاءِ، فَيَطلُبُه؛ يَطلُبُ المَسِيحَ الدّجَّالَ، فَيَقتُلُه، وَيُرِيحُ النَّاسَ مِن شَرّهِ.

* * * * *

ولمسلم: عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﷺ، قَالَ: «ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا، وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ، لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ، رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ،

إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ، وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا؛ كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا، لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ،

وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ؛ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[1].[١٢٠]

---

[١٢٠] هَذَا الحَدِيثُ فِيهِ تَفاصِيلُ أَمرِ الدّجالِ، وَمَا يَحدُثُ فِي عَهدِه مِن الفِتَن، وَنشْرَحُه جُملَةً جُملَة.

قَوله ﷺ: «ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ»، ذكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدجّالَ ذَات يَومٍ - أَو ذَاتَ غدَاةٍ -، ذَكَرَه لِأَصحَابِه، وَذَكَرَ خُروجَه، وَذَكرَ صِفَاتُه، وَذَكَر مَا يَحدُثُ عَلَى يَدِه مِن الفِتَنِ، وَذَلِك لِأَجلِ التَّحذِيرِ مِنهُ وَمِن فِتنَتِه؛ لِأَنَّه ﷺ نَاصِحٌ لِأُمّتِه، لَم يَترُكْ شَيئًا يُقَرِّبهَا إِلَى اللهِ، إلّا بَيّنهُ، وَلَم يَترُكْ شَيئًا يُبَاعِدُ مِن اللهِ، إلّا بَيّنه لأمّته ﷺ، وَمِن ذَلِك هَذَا الحَدِيثِ الطَّوِيلِ فِي وَصفِ المَسِيحِ الدَّجّالِ، وَمَا يَنتَهِي إِلَيه أَمرُه عَلَى يَدِ مَسِيحِ الهِدَايَةِ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ ﷺ، ثمَّ فِي آخِرِه ظُهُور يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ، وهَذا مَذكُورٌ فِي القُرآنِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

هذَا الحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسلِمٍ، وَفِيهِ عَجَائِبُ مِن قَصَصِ الدَّجّالِ وَالتَّحذِيرُ مِنهُ.

حدَّث النّبيُّ ﷺ أَصحَابَه ﷺ بِذَلِك، وَأَطالَ الحَدِيثَ، وبَيّن ﷺ، حتّى وقَعَ فِي قلُوبِهم الخَوفُ، لمَّا حَدّثَهم الرّسُولُ ﷺ،

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٧).

خَافُوا عَلَى أَنفُسِهم، كَانَ ﷺ لمَّا ذكَرَ لهُم ذَلِك قَامَ مِن مَجلِسِه، ثمَّ الصَّحَابةُ أَخَذَهم الخَوفُ الشَّدِيدُ؛ يَخشَونَ أنَّه قَد ظَهَرَ فِي طَائِفةِ النَّخلِ - **يَعنِي**: بِنَاحِيةِ النَّخلِ قَرِيبًا مِنهُم -، ظنُّوا هَذَا؛ لأَنَّهم يُصدِّقُون خَبَر الرّسُولِ ﷺ، ولَا يَشكُّونَ فِيهِ، فَخَافُوا مِن الدّجَّالِ خَوفًا شَدِيدًا.

ثمَّ جَاءَهُم الرَّسُولُ ﷺ، ذَكَرُوا لَه ذَلِك، لمَّا رَأَى فِيهِم التَّأثُّر، سَأَلَهم، فَأَخبَروه أَنَّهم تَأثَّروا بِذِكرِ الدّجَّالِ وَفِتنَتِه، وَهَكَذَا المُسلِمُ يخَافُ، يَتذَكَّر إِذَا ذُكِّرَ، ويَخَافُ إذَا خُوِّف، فَهُم مِن شِدَّةِ إِيمَانِهم بِخَبَر الرَّسُولِ ﷺ ظنُّوا أنَّ الدّجَّالَ قَد حَضَر.

قَالَ ﷺ: إنّه إنْ يَظهَرْ والرَّسُولُ ﷺ مَوجُودٌ، فَإنَّ الرَّسُولَ ﷺ يكُونُ حَجِيجَه، وأمَّا إنْ ظَهرَ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَإنَّه يَستَخلِفُ اللهُ عَلَى أُمّتِه؛ «**وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**».

فَاللهُ يَكُونُ خَلِيفةً يَخلُفُ عَبدَه المُؤمِنَ فِي وَلَدِه وَفِي أَهلِه، إِذَا غَابَ وَسَافَر، وَلِهَذا فِي دُعَاءِ السَّفَرِ: «**وَأَنْتَ الخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ**»؛ تَحفَظُهم وَتَرعَاهُم، فَاللهُ خَلِيفَةٌ، وَلَيْسَ هنَاكَ خلِيفَةٌ للهِ ﷻ، لَا يُقَالُ: خَلِيفَةُ اللهِ؛ فَاللهُ لَيْسَ لَه خَلِيفَةٌ، وأمَّا قَولُه تعَالَى عَن آدَمَ عليه السلام: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة: ٣٠]، **فَمَعنَاه**: أَنّه يَخلُفُ مَن قَبلَهُ مِن الأُمَمِ الّتِي قَبلَهُ علَى وَجهِ الأَرْض، يَخلُفُهم؛ النّاسُ يَخلُفُ بَعضُهم بَعضًا؛ لمَّا قَالَ ﷻ: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ**﴾ [الأنعام: ١٦٥]، يَخلُفُ بَعضُهم بَعضًا، وَأَمَّا اللهُ ﷻ، فَإنّه لَا يَستَخلِفُ أَحدًا مِن خَلقِه بَدَلًا عَنه ﷻ.

قَوْلُه ﷺ: «فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا»؛ عَرَفَ ذَلِك فِي وُجُوهِم مِن الخَوفِ.

قَوْلُه ﷺ: «فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟»؛ سَأَلَهم: مَا الَّذِي أَثَّر فِيكُم؟

قَوْلُه رَحِمَهُ اللَّهُ: «قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ»؛ يَعنِي: سَببُ الخَوفِ هُو مَا ذَكَرَه النَّبيُّ ﷺ لِأَصحَابِه؛ مِن خُرُوجِ الدَّجّالِ، وَصِفَاتِه، وشِدّةِ فِتنَتِه، وَأَنَّه يُهلَكُ بِه خَلقٌ كَثِيرٌ بسبَبِ فِتنَتِه، هَذَا الّذِي خَوَّفَهم.

قَوْلُه ﷺ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ»؛ يَعنِي: هُنَاكَ فِتَنٌ غَيرُ الدّجَّالِ شَدِيدةٌ، يَخَافُها الرَّسُولُ ﷺ عَلَى أُمّتِه.

قَوْلُه ﷺ: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ»؛ يَعنِي: خَصمُهُ، إنْ يَخرُج وَالرَّسُولُ ﷺ فِيكُم، فَإِنَّه يَكُونُ خَصمُه، وَيُجَادِلُه، وَيَرُدُّ شُبُهَاتَه، وَيُبطِل مَا جَاء بِه.

قَوْلُه ﷺ: «وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»؛ إنْ يَخرُج والرَّسولُ ﷺ لَيسَ فِي أُمتِه، فَالمَرءُ حَجِيجُ نَفسِه، كلٌّ يُخَاصِم عَن نَفسِه، ويُدَافع عَن نَفسِه، وَاللهُ يُؤَيّدُه.

اللهُ ﷻ يُؤَيّدُ المُؤمِنَ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قَوْلُه ﷺ: «إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ»؛ يَعنِي: صِفتُه أنّه شَابٌّ، لَيسَ كَبِيرَ السّنِّ.

قَوْلُه ﷺ: «عَيْنُهُ طَافِئَةٌ»؛ عَلَامَتُه الفَارِقَةُ أَنَّه أَعوَرٌ، وَلِذَلِك يُقَالُ: الأَعوَرُ الدَّجّال، عَيْنُه طَافِئَةٌ مَمْسُوحَةٌ وَغَائِرَةٌ - قَبَّحه اللهُ - !

قَوْلُه ﷺ: «كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ»؛ وَاحِدٌ مِن العَربِ يُشبِهُ الدَّجّالَ فِي صِفَتِه.

قَوْلُه ﷺ: «فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ»؛ مَن أَدركَ ظهُورَه وخُرُوجَه، فَليَقرَأ فَوَاتِحَ - **يَعنِي**: أَوّلَ - سُورَةِ الكَهفِ؛ الآيَاتُ الأُولَى مِنهَا؛ فَإنَّها تَدفَعُ شُبُهَاتِ الدّجَّالِ، **يَعنِي**: يَتَّخِذُها المُسلِمُ حِرْزًا، وَحِصْنًا، وَوِرْدًا، يَدفَعُ بِه شَرَّ الدّجَّالِ، أَولُ هَذِه السُّورَةِ العَظِيمَةِ، سَورةُ الكَهفِ.

قَوْلُه ﷺ: «إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ»؛ **يَعنِي**: مَكَان خُرُوجِه بَيْن الشَّامِ والعِرَاقِ، هَذَا طَرِيقُه الّذِي يَأتِي مِنهُ إِلَى النّاسِ، نسأَلُ اللهَ العَافِيةَ !

قَوْلُه ﷺ: «فَعَاثَ يَمِينًا، وَعَاثَ شِمَالًا»؛ **يَعنِي**: أَنَّه يَسِيرُ فِي الأَرضِ يَمِينًا وَشِمَالًا؛ أَعطَاهُ اللهُ القُدرَةَ عَلَى السَّيرِ فِي الأَرضِ بِسُرعَةٍ.

قَوْلُه ﷺ: «يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا»، هَذَا حَثٌّ مِن الرَّسُولِ ﷺ عَلَى الثّبَاتِ عَلَى الحَقِّ والتَّمَسّكِ بِالدِّينِ؛ لِأَنَّ الفِتنَةَ شَدِيدةٌ عِندَ خُرُوجِ الدّجَّالِ، ولَا يَثبُتُ على دِينِه إِلّا مَن ثَبَّتَهُ اللهُ، وكَانَ عِندَه صَبْرٌ، وَعِندَه عِلمٌ، وَعِندَه مَعرِفةٌ بِشَرِّ هذَا الدّجّالِ، أَمَّا عَامّةُ النَّاسِ وكَثِيرٌ مِن النّاسِ، فَإِنّهُم يَتَأَثَّرُون، وَيُفتَنُون بِهَذا الدّجَّالِ، نَسأَلُ اللهَ العَافيَةَ !

قولُه: «قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟»؛ يَعنِي: مَا مُدّةُ بَقَائِه فِي الأَرضِ؛ إِذْ ظَهَرَ، كَم يَبقَى فِي الأَرضِ؟

قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا»؛ أَربعُونَ يَوْمًا، وَلَكنّ هَذِه الأَيّام مُتفَاوِتَةٌ؛ مِنهَا مَا هُو طَوِيلٌ، ومِنهَا مَا هُو مُتوَسّطٌ، ومِنهَا مَا هُو كَسَائِرِ أيّامِنَا قَصِيرٌ.

قَولُه ﷺ: «يَوْمٌ كَسَنَةٍ»؛ يَومٌ فِي الطّولِ كَسَنةٍ؛ يَعنِي: يُمكِنُ اليَوم لَمَّا يكُونُ اثنَتَي عَشْرَةَ سَاعَة - مَثَلًا - يَمتَدُّ، وَيكُونُ كَسَنَةٍ، كَطُولِ السَّنةِ اثْني عَشَرَ شَهْرًا، وهذَا مِن آيَاتِ اللهِ ﷻ، وَاللهُ عَلَى كلِّ شَيءٍ قَديرٌ.

قَولُه ﷺ: «وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ»، وَيَومٌ آخَرُ يَكونُ كَشَهرٍ، ثَلاثِينَ يومًا، يَومٌ كَثَلاثِينَ يومًا، ويَكون اليَومُ الأَوّلُ كثَلاثِمَائَةٍ وستِّينَ يَومًا؛ سَنَةً.

قَولُه ﷺ: «وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ»؛ كَأُسبُوعٍ يَعنِي، يَومٌ كَأُسبُوعٍ، اليَومُ الثّالِثُ كَأُسبُوعٍ.

قَولُه ﷺ: «وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»؛ كَأَيّامِنَا اثني عَشَرَ سَاعةً تَقرِيبًا، أَو أَقلَّ، أَو أَكثَرَ. هَذِه الأَيّامُ مُتَفَاوِتةٌ.

قَولُه ﷺ: «قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»»؛ هَذِه فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ: اليَومُ الّذِي كَسَنةٍ - اثني عَشَر شَهْرًا - كلُّه نَهَارٌ، كيفَ يُصَلِّي النّاسُ الصَّلَواتِ الخَمسِ الّتِي فَرَضَها اللهُ فِي اليَومِ وَاللّيْلَةِ؟ قَالَ: اقْدُرُوا لَه، قَدِّرُوا هَذِه السَّنةَ أَيَّامًا، فَمِقدَارُ اليَومِ الوَاحِدِ مِنهَا صَلُّوا فِيهِ الخَمسَ صَلَوَاتٍ، وهَذَا أَخَذَ مِنه العُلماءُ الآنَ كَيفِيّةَ صَلَاةِ الّذِين هُم فِي الشَّمَالِ والجَنُوبِ، فِي الشَّمَالِ الّذِين يَأتِي عَلَيهِم سَتّةُ أَشهُرٍ نَهار، أَلَيسَ كَذَلِك؟ سِتّةَ أَشهُرٍ نَهَارٍ، كيْفَ يُصَلّون؟

قَالَ العُلَماءُ: تُجعَلُ مِثلَ أَيّامِ الدَّجّالِ؛ يُقدِّرونَ كلَّ يومٍ مِن هَذِه المُدّةِ الطَّويلَةِ، ويُصَلّونَ فِيهِ خَمسَ الصَّلَوَاتِ بِالتَّقدِيرِ.

هُنَاكَ بِلادٌ الآنَ الّتِي يُسمُّونَها الإِسكِندِنَافِيّة، الّتِي يَطُولُ فِيهَا النَّهارُ، فَيبلُغُ نِصفَ السَّنَةِ، كَيْفَ يُصَلّون؟

استَنبَطُوا مِن حَدِيثِ الدّجّالِ أَنّهم يَقدِّرُونَ الأَيّامَ فِيهَا اثْنَي عَشَرَ سَاعةٍ، يُصَلّونَ خَمسَ الصَّلَوَاتِ؛ اثْنَي عَشَرَ سَاعَة كَامِلة، كَذَلِك إِلَى أَنْ تَنفَدَ هَذِه الأَيّامُ، فَهُم استَفَادُوا مِن هَذَا الحَدِيثِ.

قَولُه ﷺ: «**قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟**»؛ **يَعنِي:** مُدَّةَ سَيرِهِ. كَثِيرٌ سَيرُهُ، سَرِيعٌ جِدًّا.

قَولُه ﷺ: «**قَالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ**»؛ مِثلُ: السَّحَابِ إِذَا حَمَلَتْه الرِّيحُ، تَرونَ السَّحَابَ إِذَا حَمَلَتْه الرِّيحُ يَمشِي سَرِيعًا، كَذَلِك الدَّجّالُ يُسرِعُ فِي الأَرضِ، لَا يَبقَى فِي مَكانٍ طَوِيلًا.

قَولُه ﷺ: «**فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ**»، هَذِهِ مُشكِلَةٌ، هَذِه مُصِيبَةٌ، هَذِه فِتنَةٌ؛ يَأتِي عَلَى قَومٍ، فَيَدعُوهُم إِلَى الإِيمَانِ بِه؛ فَمَن آمَنَ بِه، انْفَتَحَت عَلَيه الدّنيَا وَالأَموَالُ، وَمَن لَم يُؤمِنْ بِه، ابتَلَاهُ بِالبَطَرِ والضِّيقِ؛ امْتِحَانٌ مِن اللهِ ﷻ؛ لأَجل أَنْ يَتَبيَّنَ المُؤمِنُ الصَّادِقُ فِي إِيمَانِه مِن المُنَافِق الكَاذِبِ فِي إِيمَانِه وَمِن ضَعِيفِ الإِيمَانِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢- ٣].

اللهُ يُجري هَذِه الفِتنَ - فِتنَةَ الدّجَّالِ وَغيرِها -؛ لِيَتبَيَّنَ المُؤمِنَ الثّابِتَ عَلَى إِيمَانِه مِن المُنَافِقِ مِن ضَعِيفِ الإِيمَانِ، يَتميَّزُ هَذَا مِن هَذَا.

اللهُ قَادِرٌ عَلَى أنْ يَقتُلَ الدّجَّالَ فِي لَحظَةٍ، ويُنهِي أَمرَه، وَلِكنَّه يُرِيدُ أنْ يَبتَلِي بِه العِبَادَ، وَيَمتَحِنَ بِه العِبَادَ، وَهَكذَا الفِتنُ، لَيسَت خَاصةً بِالدَّجّالِ، كلُّ الفِتنِ الّتِي تَجرِي عَلَى النّاسِ هِيَ ابتِلَاءٌ وامْتِحَانٌ لِمَن يَثبُتُ عَلَى الدِّينِ الصَّحِيحِ، وَيَصبِرُ، ومَن يَتَخَلَّى عَن دِينِه.

قَولُه ﷺ: «فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ»، هَذَا مِن الامتِحَانِ، فَمَن آمَنَ بِه، أَغدَقَ اللهُ عَلَيهِ مِن النِّعَمِ، الدَّجّالُ يَأمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمطِرُ، وَهَذا بِأَمرِ اللهِ ﷻ، اللهُ هُو الّذِي يُنزِّلُ الغَيثَ، وَلَكنَّه يُجْرِي عَلَى يَدِ الدّجَّالِ هَذِه الخَوارِقِ؛ لِيَبتَلِيَ بِهَا النّاسَ، وَإِلّا فَالأَمرُ رَاجِعٌ إِلَى اللهِ ﷻ، وَلَو شَاءَ رَبّكَ، لَمَاتَ الدّجّالُ عَلَيهَا.

قَولُه ﷺ: «وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ»، يَأمُرُ السَّمَاءَ، فَتُمطِرُ، عَلَى أَثَرِ المَطَرِ يَأمُرُ الأَرضَ، فَتُنبِتُ؛ لِأَنَّه إِنْ لَم يَنزِل المَطرُ، فَلَا يَحصُلُ نَبَاتٌ؛ لِأَنَّ اللهَ لَم يَأذَنْ لِلنّبَاتِ، اللهُ أَعطَى الدّجَّالَ هَذِه الفِتنَةَ؛ أَنَّه يَأمُرُ الأَرضَ، فَتُنبِتُ، اللهُ أَجرَى هذَا عَلَى يَدِ الدّجَّالِ؛ ابْتِلاءً وامتِحَانًا، وَالأَمرُ رَاجِعٌ إِلَى اللهِ، لَا لِلمَسِيحِ الدَّجّالِ.

قَولُه ﷺ: «فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى»؛ تُغدِقُ الأَموَالَ، وَتَسمُنُ الدَّوَابُّ، وَتُدِرُّ اللّبَنَ الكَثِيرَ، هَذَا ابتِلَاءٌ وامتِحَانٌ مِن اللهِ ﷻ، لَيسَ بِقُدرَةِ الدّجّالِ، هَذَا بِقُدرَةِ اللهِ، وَلَكنَّ اللهَ أَجرَى هَذَا عَلَى يَدِ المَسِيحِ الدّجّالِ؛ لِأَجلِ الابتِلَاءِ والامْتِحَانِ، لِأَجلِ أَنْ يَغتَرُّوا بِه، وَيَظنُّوا أَنَّ هَذَا بِتَدبِير الدّجَّالِ وقُدرَةِ الدّجَّالِ.

قَوْلُه ﷺ: «وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ»؛ يَعنِي: تُغدِقُ اللَّبَنَ والحَلِيبَ وَتَسمُنُ.

قَوْلُه ﷺ: «ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ»؛ يَأتِي الدّجالُ القومَ الآخرِينَ، فَيَثبُتُون عَلَى دِينِهم، وَلَا يَتّبعُونَ الدّجالَ؛ لِقُوةِ إيمَانِهم وَصبْرِهم ويَقِينِهم بِاللهِ ﷻ، وَيَعلَمُون أنَّ هَذِه فِتنَةٌ، وَلَيْست بِقُدرَةِ الدَّجَّالِ، وَلَا بِمِلكِ الدَّجَّالِ، وَإِنّمَا هِي فِتنةٌ مِن اللهِ.

واللهُ يُجرِي خوَارِقَ العَادَاتِ، يُجرِيهَا عَلَى أيدِي الأَشرَارِ مِن السَّحرَةِ وَالكُهَّانِ والدَّجَّالِين، وَيُجرِيهَا عَلَى يَدِ الأَخيَارِ، فتَكُونُ كَرَامةً، كَرَامةُ الأَولِيَاءِ خَوَارِقُ، وَيُجرِيهَا عَلَى أيدِي الأَنبِيَاءِ، فتكُونُ مُعجِزَاتٌ لِلأَنبيَاءِ.

فَهَذه الخَوارِقُ لِلعَادَاتِ إنْ كَانَت عَلَى يَدِ نَبيٍّ، فَهِي مُعجِزةٌ، وَإنْ كَانَت عَلَى يَدِ وَلِيٍّ، فَهِي كرَامَةٌ، وَإنْ كَانَت عَلَى يَدِ شَيطَانٍ أَو فَاجرٍ، فَهِي ابتِلَاءٌ وامتِحَانٌ.

قَوْلُه ﷺ: «فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ»؛ يَعنِي: إِذَا لَم يُؤمِنُوا بِه، تَركَهم، وَهَذا مِن رَحمَةِ اللهِ ﷻ، لكِنْ مِن الابتِلَاءِ أنَّهم تَحصُلُ عَلَيهم مصَائِبُ مِنَ الفَقرِ وَمِنَ الحَاجَةِ، لَكنَّهم لَا يَتَزَحزَحُون عَن إِيمَانِهم وعَن دِينِهم؛ لِأَنَّهم يَعلَمُون أنَّ هَذَا ابتِلَاءٌ وامتِحَانٌ مِن اللهِ ﷻ، والشَّدَائدُ لَا تَدُومُ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ [الشرح: ٥- ٦].

هَذَا جَرَى عَلَى الأَنبِيَاءِ: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤].

قَوْلُه ﷺ: «لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ»؛ يَفتَقِرُون، وَلكِنْ لَا يَضرُّهم هَذَا، وَلَا يُزَحزِحُهم عَن دِينِهم، بَل يَصبِرُون، وَيَعلَمُون أَنَّ هَذَا سَيَزُولُ بِإِذْنِ اللهِ، المُسلِمُ يَصبِرُ على الشَّدَائِدِ، وَيَثبُتُ عَلَى دِينِه، وَالفَرجُ قَرِيبٌ، وَلَا يَيأَسُ، وَلَا يَقنَطُ.

قَوْلُه ﷺ: «وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ»؛ الخَرِبَةُ: يَعنِي البَلَدُ الَّذِي كَانَ عَامِرًا، فَيُخرَّبُ بِموتِ أَهلِه وَهَلاكِهِم، وَمِن العَادَةِ أَنَّه يكُونُ فِيهَا كنُوزٌ هَذِه الخَربَاتِ؛ لِأَنَّ هَؤلَاءِ القَومِ يَكتَنِزُونَ مَا مَعَهُم مِن الذَّهَبِ وَالفِضةِ؛ لِأجلِ أَنْ يَأمَنُوا عَلَيه مِن السَّرِقةِ والأَخذِ، هَذِه عَادةٌ. فهُو يَأتِي على الخَرِبَةِ، **«ويَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ»** - **يَعنِي:** مَا دُفِنَ فيكِ بَعدَ أَهلِكِ - **«فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ»**؛ جَمعُ: يَعسُوب. تَرونَ النَّحلَ يَمشِي يَعَاسِيبَ بَعضُها خَلفَ بَعضٍ، يَتّبعُ مَلِكَةَ النَّحلِ، هَذَا يُسمَّى اليُعسُوبِ.

قَوْلُه ﷺ: «فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ»؛ تَتّبعُ الدّجَّالَ كنُوزُ هذِهِ الخَربَاتِ - مَا دُفِنَ فِيهَا -؛ ابتَلاءً وامتِحَانًا مِن اللهِ ﷻ لِلنَّاسِ، وَإِلَّا هُو عَبدٌ ضَعِيفٌ، وَلَيْسَ بِيَدِه شَيءٌ، وَلَا بِقُدرَتِه شَيءٌ، وَإِنّمَا هَذَا بِقدرَةِ اللهِ ﷻ.

قَوْلُه ﷺ: «ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ، رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ»، وممّا يَجرِي عَلَى يَدِ المَسِيحِ الدّجَّالِ مِن الكَذبِ وَالتَّجهِيلِ عَلَى النّاسِ أَنّه يَتراءَى لهُم أنّه يَقتُلُ الشَّخصَ، ويَفصِلُ رَأسَه، ثمَّ يَدعُوه، فيَقومُ

حَيًّا؛ كَأَنْ لَم يُصِبْه شَيءٌ، وهذَا مِن تَمَامِ الفِتنَةِ والتَّجهِيلِ والكَذِبِ؛ لِأَنَّ مَعه مِن السِّحرِ وَمِن الشَّيَاطِينِ مَا يَتمكَّنُ بِه مِن الكَيدِ لِبَنِي آدَمَ.

قَولُه ﷺ: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ»، فَبينَمَا هُو كَذَلِك مُستَمِرًّا فِي فِتَنِهِ وشَعوَذَاتِه، جَاءَ اللهُ بِالفَرَجِ، وَنَزَلَ المِسيحُ ابنُ مَريمَ ﷺ مِن السَّماءِ.

المَسِيحُ عِيسَى بنُ مَريمَ ﷺ هُو آخِرُ أَنبياءِ بَنِي إِسرَائِيلَ، وَبَعدَه نَبِيِّنَا محمَّدٌ ﷺ، وبينَهمَا فَترةَ سِتمَائَة سَنَةٍ أَو أَكثَر، بَيْن الرَّسُولَين سِتمَائة سنَةٍ أَو أَزيَدُ، لَيسَ فِيهَا نَبِيٌّ، فَانقَطَعَت النبُوّةُ فِي هَذِه الفَتْرةِ، وَأَصبَحَ العَالَمُ فِي بلَاءٍ ومِحنَةٍ وظَلام دَامسٍ، تَستَشرِي الجَاهِلِيّةُ بِشَرّهَا، وَيَظهرُ الشّركُ، وَيَظهَرُ البَغيُ والعُدوَانُ، ثمَّ إِنَّ اللهَ بَعَثَ محمَّدًا ﷺ آخِرَ الرُّسُلِ.

والمَسِيحُ عِيسَى بنُ مَريَمَ سمِّي ابنُ مَريَمَ؛ نِسبَةً إِلَى أُمِّهِ؛ لِأَنَّ لَيسَ لَه أَبٌ، خَلَقَه اللهُ ﷻ بِقَولِه: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، فَلِذَلِك يُسمَّى كَلِمةُ اللهِ ورُوحٌ مِنه، رُوحٌ مِن الأَروَاحِ الّتِي خَلَقَها اللهُ سُبحَانه وتعالى، يُرسِلُ بِهَا المَلَكُ، فَيُلقِيهَا فِي مَريَمَ عَليها السلام، فتَحمِلُ بِعِيسَى ؏، وَلِذَلِك يقَالُ: عِيسَى بنُ مَريَمَ ؏.

ومَريَمُ ابْنَة عِمرَانَ، وَعِمرَانُ هَذَا مِن صَالحِ بَنِي إِسرَائِيلَ وَمِن عُبَّادِهم، وَمِن ذُرِّيتِه عِيسَى ؏، وابنُ خَالَتِه يَحيَى بنُ زَكَرِيّا عليهما السلام؛ نَبِيَّان كَرِيمَانِ، ابنَا خَالَةٍ.

وَلِهَذَا قَالَ اللهُ ﷻ فِي وَصفِ يَحيَى عليه السلام: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾ [آل عمران: ٣٩]؛ **كَلِمةُ**: عِيسَى عليه السلام؛ لِأنَّ اللهَ خَلَقَه بِكلِمَةٍ بِدُونِ أَبٍ: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩].

فَأَرَادَ اليَهُودُ أَنْ يَقتُلُوا عِيسَى عليه السلام؛ لأَنَّهم يَقتُلُونَ الأَنبِيَاءَ - كَمَا ذَكَرَ اللهُ عَنهم -، فَأَرادُوا أَنْ يَقتُلُوا عِيسَى عليه السلام، وتَآمَرُوا عَلَيه، وجَاؤُوا لِيَقتُلُوه فِي مَكَانِه، دَخَلُوا عَلَيهِ، وَلَم يَبقَ إِلّا أَنْ يُنفِّذُوا القَتلَ، فَألقَى اللهُ شَبَهَ عِيسَى عليه السلام عَلَى رَجلٍ مِنهُم، جَاءَ يَدُلّهم عَلَى مكَانِ عِيسَى عليه السلام، يُقَالُ: إنَّه مِن الحَوَارِيّين - **يَعنِي**: مِن أَتبَاعِ عِيسَى عليه السلام -، ولَكنَّه خَانَه، فَألقَى اللهُ شَبَهَه عَلَى هَذَا الرَّجُلِ الخَائنِ، فَقَتَلُوه، وَصَلبُوه؛ يَظنُّونَ أنَّه عِيسَى عليه السلام، لَكِنَّ عِيسَى عليه السلام رَفَعَه اللهُ مِن بَينِهم، وَهُم لَا يَشعُرُون، رَفَعَه اللهُ إِلَى السَّمَاءِ حيًّا بِرُوحِه وَبَدنِه، لَم يَمسَسْهُ سُوءٌ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، والوَفَاةُ هَذِه لَيسَت وَفَاةُ المَوتِ، وَإِنَّمَا هِي وَفَاةٌ مِن جِنسِ النَّومِ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠]؛ **يَعنِي**: فِي النَّهارِ.

فَالنَّومُ يُسمَّى وَفَاةً؛ لِأنَّها تُقبَضُ رُوحُه - رُوحُ النّائِمِ -، لَكنَّه قَبضٌ لَيس مِثلُ قَبضِ الوَفَاةِ - المَوتِ -، هُو قَبضٌ خَاصٌّ.

﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥]؛ **يَعنِي**: وَفَاةٌ مِثلُ وَفَاةِ النَّومِ.

﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]: يَرفَعُه اللهُ إِلَى السَّماءِ.

هَذَا فِيهِ دَليلٌ عَلَى عُلُوِّ اللهِ ﷻ فَوقَ سَمَاوَاتِه؛ لِأَنَّ الرَّافِعَ لَا يَكُونُ إِلّا إِلَى أَعلَى؛ ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥]، اللهُ ﷻ رَفَعه حيًّا سَالِمًا، لَم يَمْسَسْه سُوءٌ، وبَقِيَ فِي السَّماءِ حيًّا، إِلَى أَنْ يَنزِلَ فِي آخِرِ الزَّمانِ.

ونُزُولُه ﵇ مِن عَلَاماتِ السَّاعَةِ، نُزُولُ عِيسَى مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الكُبْرَى، يَنزِلُ لِيَقتُلَ الدّجَّالَ، هَذَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ، يَنزِلُ ﵇ مَعَ المَلائِكَةِ قَبلَ صَلَاةِ الفَجرِ، والمُسلِمُون مُجتَمِعُون لِيُصلُّوا صَلَاةَ الفَجرِ، وَالّذِي يَؤُمُّهم هُو المَهدِيُّ، الّذِي يُبعَثُ أَو يَخرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، يَحكُمُ بِالشَّرِيعةِ، وَيَقُودُ المُسلِمِين فِي الجِهَادِ.

المَهدِيُّ مِن ذُرِّيَّةِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ ﵄، اسمُهُ مُحمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ المَهدِي، فتَحضُرُ الصَّلَاةُ، فيَطلُبُ المَهديُّ مِن عِيسَى ﵇ أَنْ يَؤُمّ النّاسَ، فَيأَبَى، ويقُولُ إِمَامُكُم مِنكُم، فَيُصَلِّي بِهِم المَهديُّ كَالعَادَةِ، وَخَلفَه المَسيحُ عِيسَى بنُ مَريَمَ ﵊.

ونُزُولُ عِيسَى ﵇ هَذَا مُتَواتِرٌ فِي الكِتَابِ والسُّنةِ، وهُو مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ؛ قَالَ ﷻ عَن عِيسَى ﵇: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]؛ يَعنِي: نزُولُه مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ.

وفِي قِرَاءةٍ: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ﴾؛ عَلَمٌ يَعنِي: عَلَامَةٌ عَلَى قُربِ قِيامِ السَّاعةِ، فنُزُولُه مِن علَامَاتِ السَّاعةِ.

وَقَالَ تعَالَى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [النساء: ١٥٩]؛ يَعنِي: مَا مِن أَحدٍ مِن أَهلِ الكِتَابِ -اليَهُودِ والنَّصَارَى-، ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]،

دلَّ عَلَى أنَّه لَم يَمُتْ إِلَى الآنَ، وَأنَّه سَيَمُوتُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ﷺ كَغَيرِه مِن بَنِي آدَمَ.

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٥٩]، إنْ بِمَعنَى ما؛ أَيْ: مَا مِن أَحدٍ مِن أَهلِ الكِتَابِ ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]؛ قَبْلَ مَوتِ عِيسَى عليه السلام.

وهُو عليه السلام إِذَا نَزَلَ، يَكسِرُ الصَّلِيبَ الَّذِي يَعبُدُه النَّصارَى، وَيَضَعُ الجِزيَةَ، ولَا يَبقَى إِلّا دِينُ الإِسلَامِ، الَّذِي جَاءَ بِه مُحمَّدٌ ﷺ، فيَحكُمُ بِشَرِيعَةِ الإِسلَامِ، ويكُونُ تَابِعًا لِمُحمَّدٍ ﷺ، يُعتبَر مِن المُجَدِّدِين لِدِين مُحمَّدٍ ﷺ.

فيَطلُبُ الدَّجَّالَ؛ لِيَقتُلَه، فَيُدرِكَه عِندَ بَابِ لِدٍّ، وَاللّدُّ مِن فِلَسطِين، الآنَ يُسمَّى اللِّدُّ، أَلَيسَ كَذلِكَ؟!

اللّدُّ مكَانٌ فِي فِلَسطِينَ، يَطلُبُ الدَّجَّالَ، فَيدرِكُه عِندَ بَابِ لِدٍّ، فَيَقتُلُه، وَيُرِيحُ المُسلِمِين مِن شرِّهِ، وَيكُونُ عِيسَى عليه السلام هُو الحَاكِمُ بِشرِيعَةِ محمَّدٍ ﷺ.

هَذَا دَلَّ عَلَى نُزُولِه القُرآنُ وَالسُّنةُ المُتَوَاتِرةُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ**»[1]، أَخبَر ﷺ عَن نُزُولِه، وَالأَحَادِيثُ مُتَواتِرةٌ فِي نُزُولِه، فَلَا يُنكِرُ نُزُولَه إِلَّا مُلحِدٌ، الَّذِين يُنكِرُون الأَشيَاءَ الَّتِي لَا تُوَافِقُ عُقُولَهم، وَلَيسَ عِندَهم عِلمٌ، وَكلُّ مَا خَالَفَ عُقُولَهم وَإِدرَاكَهم نَفُوهُ وَكذَّبُوه؛ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩]، هَذِه طَرِيقةُ أَهلِ الضَّلَالِ؛

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٢٢٢٢)، ومسلم رقم (١٥٥).

أنَّ الّذِي لَا يُحِيطُونَ بِعِلمِه يُكَذِّبُونَه: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾، لَم يَأتِ تفسِيرُه؛ لِأنَّ تَفسِيرَ بَعضِ الأشيَاءِ يَتَأخَّرُ؛ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧]، يَتأخَّرُ تَأوِيلُ بَعضِ الأمُورِ - تَفسِيرُها - إلَى مَا شَاءَ اللهُ ﷻ.

المُهِمُّ أنَّ هَذِه طَرِيقةُ أَهلِ الضَّلَالِ؛ أَنَّهم يُنكِرُونَ نُزُولَ المَسِيحَ ﷺ، ويَقُولُون: نُزُولُه يَعنِي انتِصَارُ الحَقِّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، يُسمَّى نُزُولُ المَسِيحِ انتِصَارُ الحقِّ، بِدُونِ مَن يَقومُ بِه، كَيفَ يَنتَصِرُ الحقُّ بِدُونِ مَن يقُومُ بِه ويُنفِّذُه، وَهُو المَسِيحُ ﷺ؟! هَذَا تَأوِيلُهم لِنُزُولِ عِيسَى ﷺ، يَقُولُونَ: عِبَارةٌ عَن انتِصَارِ الحَقِّ.

الدَّجَّالُ يُنكِرُونَه - أَيضًا -، يقُولونَ: لَيسَ هنَاكَ دَجّالٌ حَقِيقِيٌّ، وإنَّمَا هَذَا عِبَارةٌ عَن ظهُورِ الشَّرِّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، إذًا مَا سَببُ ظهُورِ الشَّرِّ؟ سَببُه الدَّجَّالُ، هَل هنَاكَ شَيءٌ بدُونِ سَببٍ؟! لَيسَ هُناكَ شَيءٌ بِدُونِ سَببٍ.

فهَذَا مَذهبُ المَلَاحِدةِ والعَقلَانِيّين وَمَن سَارَ فِي رِكَابِهم؛ يُنكِرونَ مَا لَم تُدرِكْهُ عقُولُهم القَاصِرةُ، ويُكذِّبُون الرُّسُلَ - عليهم الصلاة والسلام -، ويُصدِّقُون عُقُولَهم وأَوهَامَهم.

فيُقتَلُ الدَّجَّالُ، وَتَنتَهِي مُشكِلتُه عَلَى يَدِ عِيسَى بنِ مَريَمَ، يَنتَهِي شَرُّ مَسِيحِ الضَّلَالةِ علَى يَدِ مَسِيحِ الهِدَايةِ عِيسَى بنِ مَريمَ ﷺ.

قَولُه ﷺ: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ»؛ يَنزِلُ عِندَ المَنَارَةِ البَيضَاءِ شَرقِيّ

دِمَشْقٍ، فِي المَكانِ الّذِي يُصَلّي فِيهِ المُسلِمُون صَلاةَ الفَجرِ، فَيَحضُرُ مَعَهم صَلاةَ الفَجرِ.

قَوْلُه ﷺ: «بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ»؛ صِفةُ نُزُولِ المَسِيحِ عليه السلام أنَّه يَنزِلُ مَعَ المَلائِكَةِ -عليهم الصلاة والسلام-.

قَوْلُه ﷺ: «وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ»، إِذَا نَزَلَ عليه السلام، فَإِنَّ اللهَ ﷻ يُنهِي كلَّ كَافرٍ؛ لِأَنَّه لَا يَبقَى إِلّا الإِسلَامُ، الكُفْرُ يَنتَهِي بجَمِيعِ أَشكَالِه؛ كُفرُ اليهُودِ، والنَّصارَى، والوَثَنِيِّينَ، كلُّه يَنتَهِي، وَلَا يبقَى إِلَّا الإِسلَامُ بِقِيادَةِ عِيسَى بنِ مَريَمَ ﷺ، هَذَا مِن عَلامَاتِ السَّاعةِ الّتِي نُؤمِنُ بِها.

قَوْلُه ﷺ: «وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ»، كلُّ مَن شَمَّ نَفسَ عِيسَى عليه السلام مِن الكُفّارِ يَمُوتُ، وَنَفَسه يَمتَدُّ عليه السلام مُنتَهَى طَرْفِه.

قَوْلُه ﷺ: «فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ»، يطلُبُ المَسِيحُ حتَّى يُدرِكَه عِندَ بَابِ لُدٍّ، واللُّدُّ مِن فِلَسطِين بَاقٍ بِهَذا الاسْمِ إِلَى الآنَ، هُو الآنَ فِي قَبضَةِ اليَهُودِ مِن جُملَةِ أَرَاضِي فِلَسطِين، الّتِي استَولَى عَلَيهَا اليَهُودُ.

قَوْلُه ﷺ: «ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ»، عِيسَى عليه السلام يَأتِي قَومًا مِن المُسلِمِين قَد عَصَمَهم اللهُ مِن الدّجَّالِ، فَلَم يُؤثِّر عَلَيهم فِي فِتنَتِه، بَل صَبَروا عَلَى الحَقِّ، وإِذَا نَزَلَ عِيسَى عليه السلام، يَنتَصِرُون عَلَى يَدِه.

قولُه ﷺ: «فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ»، عِيسَى ﵇ يُطَمْئِنُ هؤُلَاءِ المُسلِمِين، الّذِين ثَبَتُوا، وَلَم يَتأَثَّروا بِفِتنَةِ المَسِيحِ، يُهنِّئُهم، ويُبَشِّرُهم، وَيُبيِّن دَرَجَاتِهِم فِي الجَنةِ، يُبشِّرُهم بِذَلِك، فَنَتِيجَةُ الصَّبْرِ الثَّباتُ عَلَى الدِّينِ، وَأنَّ الكَربَ وَالشِّدّةَ لَهما نِهايَةٌ، وَيَأتِي الفَرجُ بِإِذْنِ اللهِ ﷻ.

قَولُه ﷺ: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ»، هَؤُلاءِ يَأجُوجُ وَمَأجُوج، وَقَوله ﷺ: **«عِبَادًا لِي»**، لَيْسُوا عَن عِبَادةٍ؛ لِأَنَّهم كُفّارٌ، وَلَكنَّ كلَّ النّاسِ عِبادٌ للهِ ﷻ المُؤمنُ والكافِرُ؛ العبُودِيّةُ العَامّةُ.

❁ العبُودِيّةُ عَلَى قِسمَين:

عبُودِيّةٌ خَاصَّةٌ: وَهِي عبُودِيّةُ المُؤمِنِين، الّذِينَ يَعبُدُون اللهَ وَحدَه لَا شَرِيكَ لَه.

وعُبُودِيّةٌ عَامَّةٌ: يَدخُلُ فِيهَا المُؤمِنُ والكَافِرُ؛ لِأنّ الكَافِرَ عَبدٌ للهِ، تَجرِي عَلَيه المَقادِيرُ والأحكَامُ القَدَرِيّةُ، فَهُو تَحتَ سُلطَةِ اللهِ ﷻ، وتَجرِي عَلَيه أَحكَامُه القَدَرِيّةُ، وإِنْ كَانَ كَافِرًا، أَمّا العُبُودِيّةُ الخَاصَّةُ، فهَذِه خَاصَّةٌ بِالمُسلِمِين.

قَولُه ﷺ: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ»، يُخبِرُه اللهُ بِظهُورِ قَومٍ لَا يَدَانِ - أَي: لَا قوَّةَ لِأَحَدٍ بِقتَالِهِم -،

وهُم يَأجُوجُ وَمَأجُوجُ، لَا قوّةَ لِأحدٍ بِقِتالِهِم؛ جُندٌ غَاشِمٍ، فَيأمُرُ اللهُ المَسِيحَ عِيسَى بنَ مَريَمَ ﷺ أنْ يُحرِّزَ المُسلِمِين إِلَى الطُّورِ.

والطُّورُ: هُو الجَبَلُ، الطُّورُ فِي اللغَةِ هُو الجبَلُ؛ فأيُّ جَبلٍ يُسمَّى الطّورُ، **وَلَكنَّ المُرادَ بِه هنَا**: طُورُ سَيناءَ، يَعتَصِمُونَ بِه مِن شَرِّ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ.

ثمَّ يَنتَشِرُون فِي الأَرضِ يَأجُوجُ وَمَأجوجُ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، هذَا فِي القُرآنِ، خُرُوجُهم ذَكَره اللهُ فِي القُرآنِ، وَجَاء فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ عَن خُرُوجِهم.

وَيَأجُوجُ ومَأجُوجُ بَشرٌ مِن بَنِي آدَمَ، وَلِهَذا فِي وَقتِ ذِي القَرنَين المَلِكِ العَادِلِ، لمَّا سَارَ فِي الأَرضِ، وَبَلَغ مَطلِعَ الشَّمسِ وَمَغرِبَ الشَّمسِ فَيطلُبُونَ مِنه أنْ يَبنِيَ سَدًّا بَينَهم وبَيْنَ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ؛ يَمنَعُ يَأجُوجَ ومَأجُوجَ عَن عِبَادِ اللهِ، فَيبنِي هَذَا السَّدّ؛ ﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾ [الكهف: ٩٤]؛ **يَعنِي**: مَالًا، ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ۝٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾ [الكهف: ٩٤- ٩٥]؛ **يَعنِي**: لَسْتَ بِحَاجةٍ إِلَى المَالِ؛ عِندِي مَا يَكفِي.

﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ۝٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾ [الكهف: ٩٤- ٩٥]، لَسْتُ بِحَاجةٍ إِلَى الإِعَانةِ بِالمَالِ، لَكنَّ الإِعَانةَ بِالأَبدَانِ نَعم.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ [الكهف: ٩٥]؛ يُسمَّى رَدمًا، وَيُسمَّى سَدًّا.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ﴾ [الكهف: ٩٦]: السَّدّ لَيس سَهلًا.

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦]؛ يعنِي: بَين الجبَلَين، سَاوَى بينَهما بِالسَّدِّ.

﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]؛ أَيْ: عَلَى هَذَا الحَدِيدِ.

﴿قِطْرًا﴾، **القِطرُ**: النُّحَاسُ، يُفرِغُ عَلَيه قِطرًا؛ لِأجلِ أنْ يَلتَحِمَ وَيَتَشَابَكَ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]. الآنَ انتَهَى السَدُّ، وَحَالَ بَينَهم وَبَيْنَ يَأجُوجَ ومَأْجُوجَ؛ فَلَا يَستَطِيعُون صُعُودَه؛ لِأَنَّهم فِي الأَسفَلِ، وَلَا يَستَطِيعُون نَقْبًا حتَّى يَخرِقُوه.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف: ٩٨]؛ **يَعنِي**: فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَأَرَادَ اللهُ ظُهُورَ يَأجُوجَ ومَأْجُوجَ..

﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾؛ يَنهَدِمُ، فَيَخرُجُونَ عَلَى النّاسِ بِالوَعدِ الّذِي أَرَادَه اللهُ ﷻ، وهَذَا مِن عَلَامَاتِ السَّاعَةِ.

فعِيسَى ﷺ وَمَن مَعَه مِن المُسلِمين يَلجَؤُون إِلَى جَبلِ الطُّورِ، وَيَتحَصَّنُونَ بِه، وَتَضِيقُ بِهم الأَرضُ جِدًّا، يُحصَرُ المُسلِمُون مِن هَذَا الجُندِ الغَاشِمِ، وَلَا يَمُرّونَ عَلَى بُحَيرَةٍ إِلّا شَرِبُوها، وَلَا يَترُكُونَ شَيئًا؛ يَعِيثُونَ فِي الأَرضِ فَسَادًا.

فَبينَمَا هُم كَذَلِك، أَنزَلَ اللهُ عَلَيهِم الوَبَاءَ، أَنزَلَ اللهُ عَلَيهِم المَرضَ وَالوَبَاءَ، فَمَاتُوا عَن آخِرِهم، فَيبْعَثُ المَسِيحُ ﷺ رَجُلًا يُخَاطِرُ بِنَفسِه، يَبعَثُه لِيَطّلِعَ مَاذَا انْتَهَى إِلَيهِ الأَمرُ، فَيأْتِي هَذَا الرَّجُلُ، فَيجِدُ أَنَّ يَأجُوجَ

ومَأجُوجَ كَلَّهم مَاتُوا وَهَلَكُوا، فَيَرجِعُ، وَيُبشِّرُ المُسلِمِين بِذَلِك، وَيَأتِي الفَرجُ بَعدَ الشّدَّةِ، فَيَخرُجُونَ مِن حِصَارِهم.

ولَكنْ تَبقَى جُثَثُهم فِي الأَرضِ تَنتِنُ، فَيَبعَثُ اللهُ طيُورًا تَحمِلُهم وَتُبعِدُهم عَن المُسلِمِين، وَيُطهِّرُ اللهُ الأَرضَ مِنهُم وَمِن رَائِحَتِهِم وَجِيَفِهم، وَالحَمدُ للهِ.

قَولُه ﷺ: «وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ»؛ كَمَا فِي القُرآنِ. ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

قَولُه ﷺ: «فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ»، بُحَيرَةُ طَبَرِيَّةَ معرُوفَةٌ، بُحَيرةٌ كَبِيرةٌ ممْلُوءةٌ بِالمَاءِ، يَشرَبُونَها، ولَا يَبقَى فِيهَا مَاءٌ، فَيمرُّ النّاسُ يَتَسَاءَلُون: أَلَم يَكنْ هنَا بَحرٌ؟ فلَا يَجِدُونَ هنَاكَ شَيئًا، فَيقولُونَ: لَقَد كَانَ فِي هَذَا المَكانِ مَاءٌ.

قَولُه ﷺ: «وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ»، يُحصَرُ، وتَضِيقُ بِهِم الحَالُ، وَيَنفَدُ مَا عِندَهم مِن الطَّعامِ، حتَّى رَأسُ الثَّورِ يَبلُغُ قِيمَتُه الدَّرَاهِمَ الكَثِيرةَ؛ لِغَلَاءِ المُؤنَةِ وقِلّةِ الأَقوَاتِ؛ بِسَببِ الحِصَارِ الّذِي أَصَابَهم، وَانقِطَاعِ الإِمدَادِ عَنهُم.

قَولُه ﷺ: «فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ»؛ يَرغَبُونَ إِلَى اللهِ **يَعنِي**: يَطلُبُونَ مِن اللهِ الفَرجَ مِن هَذِه الشّدَّةِ وَهَذا الحِصَارِ.

قَولُه ﷺ: «فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ»؛ مَرضٌ يُسمَّى

النَّغَفُ، يُصِيبُ رِقَابَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، فَيمُوتُونَ عَن آخِرِهِم، وَاللهُ عَلَى كلِّ شَيءٍ قَديرٌ.

قَولُه ﷺ: «فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ»، يَمُوتُون جَمِيعًا فِي وَقتٍ وَاحِدٍ.

قَولُه ﷺ: «ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ»؛ يَنزِلُونَ مِن الحِصَارِ - مِن الجَبلِ - إِلَى الأَرضِ، وَيَنبَسِطُونَ فِيهَا؛ لِأَنَّ اللهَ فَرَّج لَهُم.

قَولُه ﷺ: «فَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ، وَنَتَنُهُمْ»؛ يَعنِي: جِيَفُهم.

قَولُه ﷺ: «فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ»؛ يَطلُبُون مِن اللهِ مرَّةً ثَانِيةً - الّذِي قَتَلَهم - أَنْ يُبعِدَ جُثَثَهم عَن المُسلِمِين، وَهَكَذَا المُسلِمُون كلَّمَا اشتَدّ بِهِم الأَمرُ، أَينَ يَذهَبُون؟ يَلجَئُونَ إِلَى اللهِ ﷻ.

قَولُه ﷺ: «فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا؛ كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ»، البُختُ: هِي الإِبلُ المَشرِقِيّةُ، البُختُ والبُخَاتِي هِي الإِبلُ المَشرِقِيّةُ؛ البَعِيرُ الوَاحدُ لَه سَنمَان، خِلَافَ الإِبلِ العَرَبِيةِ، تَطرَحُهم بَعِيدًا حَيثُ شَاءَ اللهُ، اللهُ أَعْلَمُ أَينَ تُلقِيهم.

قَولُه ﷺ: «ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا»، وَكَذلِك إِذَا نُقِلَت جُثَثُهم، يُرسِلُ اللهُ مَطرًا يُطهِّرُ الأَرضَ مِن بَقَايَا ذَلِك.

قَولُه ﷺ: «لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ»؛ يَعنِي: مَطرًا لَا تَمنَعُه السُّقُوفُ، وَلَا يَمنَعُه شَيءٌ، يَنزِلُ. **والمَدَرُ**: هُو الحِجَارةُ؛ لِأَنّ البُيُوتَ عَلى قِسمَين: مِنهَا مَا يُبنَى بِالحِجارَةِ، وَمِنهَا مَا يُبنَى بِالشَّعْرِ والخِيَامِ وبُيُوتُ الشَّعْرِ وَوَبَر الإِبلِ يَعنِي.

قَوْلُه ﷺ: «**فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ**»؛ يَغسِلُ الأَرضَ بَعدَ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ؛ يُطهِّرُها.

قَوْلُه ﷺ: «**ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ**»؛ يَأمُر اللهُ الأَرضَ، فَتَنزِلُ البَركَةُ، بَعدَ الجُوعِ وَبَعدَ الشِّدَّةِ يَأتِي اللهُ بِالفرَجِ؛ تَتَوسَّعُ الأَرزَاقُ، كَانَ رَأسُ الثَّورِ يُسَاوِي كَذَا وَكَذَا مِن الفَقرِ، الآنَ يُنزِل اللهُ المَطرَ، وَيَأذَنُ لِلأَرضِ أَنْ تُنبِتَ، وَتَنتَشِرُ الثِّمَارُ والمَحَاصِيلُ والأَرزَاقُ.

قَوْلُه ﷺ: «**فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ**»، الرُّمَّانَةُ الوَاحِدَةُ تَكفِي عِصَابَةً؛ **يَعنِي**: جَمَاعَة، **العِصَابَةُ**: الجَمَاعَةُ - وَأَيضًا البَطِّيخُ، الَّذِي يُسمَّى الحبْحَبُ يَتَضخَّمُ عِندَهم -، حتَّى تَستَظِلَّ الجمَاعَةُ بِقِحْفِ الرُّمّانَةِ.

قَوْلُه ﷺ: «**وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا**»، **قِحفُها يَعنِي**: قِشرُ الرُّمَّانِ يَستَظِلّ بِه الجمَاعَةُ مِن النّاسِ؛ مِن سِعَتِه وَعِظَمِه، وهِي بَركَةٌ؛ إِذَا أَرَادَ اللهُ البَركَةَ، نَزَلَت.

قَوْلُه ﷺ: «**وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ**»، يُبَارِكُ اللهُ ﷻ فِي الأَلبَانِ مِن الإِبلِ والغَنم، حتَّى إِنَّ اللَّقْحَةَ الوَاحِدَةَ مِن الإِبلِ تَكفِي الفِئَامَ؛ **يَعنِي**: جَمَاعَاتٍ مِن النّاسِ.

قَوْلُه ﷺ: «**وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ**»، أَعظَمُها الإِبلُ؛ أَكثَرُ لَبَنًا، ثمَّ البَقرُ، ثمَّ الغَنمُ.

قَوْلُه ﷺ: «**فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً**»، بَينَما هُم كَذَلِك يُرسِلُ اللهُ رِيحًا طَيِّبةً، فَتَقبِضُ أَروَاحَ المُؤمِنِين؛

لِأَنَّ السَّاعةَ قَرُبَت، وَلَا يَبقَى إِلّا الكفَّارُ، لَا يَبقَى فِي الأَرضِ إِلَّا الكفَّارُ، تَقُومُ عَلَيهِم السَّاعةُ: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»[1]، هَؤلَاءِ شِرَارُ النَّاسِ - والعِيَاذُ بِاللهِ -، يَزعُمُونَ أَنَّ هَذَا دِينٌ وَهَذِه عِبادَةٌ، وَهُم شِرَارُ النّاسِ.

قَولُه ﷺ: «**فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ**»، تَنفُذُ فِي المُسلِمِين تَحْتَ آبَاطِهِم، فَتَقبِضُ أَروَاحَهم؛ لِأَنَّ الدّنيَا انْتَهَت، فَيَقبِضُ اللهُ أَهلَ الإِيمَانِ قَبلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا تَقُومُ السَّاعةُ - كمَا فِي الحَدِيثِ -[2] وَفِي الأَرضِ مَن يَقُولُ: اللهُ، اللهُ. كُفَّارٌ كلُّهم - والعِيَاذُ بِاللهِ -، لَا يَعرِفُونَ اللهَ.

قَولُه ﷺ: «**فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ**»، شِرَارُ النَّاسِ؛ «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ القُبُورَ مَسَاجِدَ**».

قولُه ﷺ: «**يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ**»؛ **يَعنِي**: لَا يَترفَّعُون عَن الفَوَاحِشِ وعَن الزّنَا وَاللّوَاطِ، فهُم أَشرُّ مِن البَهَائم.

قَولُه ﷺ: «**فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»، فعَلَى هَؤُلَاءِ الأَشرَارِ تَقُومُ السَّاعَةُ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ!

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (٣٨٤٤).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (١٤٨).

وفِي رِوَايةٍ بَعدَ قَولِه: «لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمَرِ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا»[1].[١٢١]

---

[١٢١] **قَولُه ﷺ: «لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمَرِ»**، جَبلُ الخَمرِ؛ لِأنَّه يُنبِتُ العِنبَ، وَيُتخَذُ مِن العِنبِ الخَمرُ.

قَولُه ﷺ: «فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»، هَؤلاءِ يَأجُوجُ ومَأجُوجُ تَغرُّهُم قُوتُهم، يَقُولُون: قَتَلنَا بَنِي آدَمَ فِي الأَرضِ، ونُرِيدُ أنْ نَقتُلَ مَن فِي السَّماءِ، فيُطلِقُونَ سِهَامَهم إِلَى السَّماءِ، فَترجِعُ عَلَيها دَمٌ؛ لِلفِتنَةِ، فيقُولُونَ قَتَلنَا مَن فِي السَّماءِ، هَكَذا ابنُ آدَمَ إذَا طَغَى، فَإنَّه لَا حدَّ لِطغيَانِه، يُرِيدُون أنْ يَقتُلُوا المَلائِكةَ وَيَقتُلُوا اللهَ ﷻ.

قَولُه ﷺ: «فَيَرمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ»؛ يَعنِي: سِهَامُهم.

قَولُه ﷺ: «فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيهِم نُشَّابَهُم مَخْضُوبَةً دَمًا»، يَردُّها اللهُ علَيهِم مَخضُوبةً دَمًا، فَيفرَحُونَ، وَيقُولُون: قَتَلْنَا مَن فِي السَّماءِ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٧).

وَلَه عَن أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلًا عَنِ الدَّجَّالِ، فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا قَالَ: «يَأْتِي، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ - فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، أَتَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ - قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ - أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ»[1].[١٢٢]

---

[١٢٢] **قَولُه ﷺ: «يَأْتِي، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ»**، أَخبَر النبيّ ﷺ أنَّ الدَّجّالَ - لَعَنَه اللهُ - لَا يَدخلُ المَدِينةَ النّبوِيةَ، وَلَا يَدخلُ مَكةَ؛ مَنعَه اللهُ مِن ذَلِك، وَأنَّ عَلَى حُدُودِ المَدِينةِ وحُدودِ مَكةَ ملَائِكةٌ يَحرُسُونَها، فَلَا يَدخُلُها، وَلَكنّه يَنظُرُ إِلَيهَا مِن بُعدٍ، وَلَكنَّ المَدِينةَ تَرجُفُ، تَرتَجِفُ، فَيَخرُج مِنهَا كلُّ مُنَافقٍ، وَلَا يَبقَى فِيهَا إِلّا أَهلُ الإِيمَانِ والصّدقِ.

فيخْرُجُ إِلَيهِ شَابٌّ مِن صَالحِ المُسلِمِين فِي المَدِينَةِ، فَيقُولُ لَه: أَنتَ الدَّجّالُ الكَذَّابُ. فيُرِيدُ أَنْ يُروِّجَ عَلَى مَن حولَه، فَيقُولُ: أَقتُلُ هَذَا، ثمَّ أُحيِيهِ - كمَا عِندَه مِن التَّجهِيلِ والسِّحرِ وَالشّرّ -، فَيرَى النّاسُ أَنّه قَتلَه، ثمَّ يَقُولُ لَه: قُم. فَيقُومُ سَوِيًّا، هَذَا مِن شِدةِ الفِتنَةِ الّتِي تَأْتِي مَعَ الدّجّالِ؛ أنّه يَترَاءَى لِلنّاسِ أنّه يُحيِي وَيُمِيتُ، وهَذَا مِن شِدةِ الفِتنَةِ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٨).

ثمَّ يقُولُ لَه: قُم. فيَقُومُ سَلِيمًا، فيقُولُ: أَتُؤمِنُ بِي؟ فيَقُولُ: لَا. أَنتَ الدَّجّالُ الكذَّابُ، فيَقتُلُه مَرّةً ثَانِيةً فِيمَا يَظهَرُ لِلنّاسِ، ثمّ يَأمُره فيَقُومُ، يقُول لُه: قُم، فيُقُومُ، فيَقُولُ: أتؤمِنُ بِي؟ فيَقُولُ: لَا. أَنتَ الدّجَّالُ الكَذَّابُ، ثمَّ يُرِيدُ أنْ يَقتُلَهُ المَرَّةَ الثَّالِثةَ، فَلَا يُمَكَّنُ مِن ذَلِك، لَا يُمَكِّنُه اللهُ مِن هَذِه الشَّعوَذةِ وهَذَا السّحرِ، يُكذِّبُه هَذَا الغُلَامُ وَهَذا الشَّابُّ المُسلِمُ، فيُسَمِّهِ أَمَامَ النّاسِ، وَيقُولُ لَه: أَنتَ الدَّجّالُ الكَذَّابُ.

قَولُه ﷺ: «فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ - فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ»، يقُولُ الغُلامُ إذَا أَحيَاهُ بِزَعمِه: لَم أَزِدْ بِكَ إِلّا بَصِيرةً. **يَعنِي**: لَم يُؤثِّر عَليّ هَذَا الدَّجلُ، وَأَنتَ كَذّابٌ، تَأكّدَ عِندِي أنّكَ الدَّجّالُ الكذَّابُ، وَلَم أَزِدْ بِكَ إِلا بَصِيرةً فِي أَمرِكَ.

قَولُه ﷺ: «فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُم إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، أَتَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ -حِينَ يُحْيِيهِ-: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الآنَ، قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ»، يَأتِي يُرِيدُ أنْ يُكرِّر قَتلَه وَإِحيَاءَه بِزَعمِه، فيَعصِمُه اللهُ مِن الدّجَّالِ، وَلَا يَتسلَّطُ عَلَيه، وَيَظهَرُ بِذَلِك كَذِبُ الدَّجّالِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وَلَه عَنهُ أنَّه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ - مَسَالِحُ الدَّجَّالِ - فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ؟ قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ فَيَسْتَوِي قَائِمًا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً؟ قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ، أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ»[1]. [١٢٣]

---

[١٢٣] قَولُه ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»؛ قِبَلَه يَعني: يَخرُجُ مِن المَدِينةِ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٨).

قَوْلُه ﷺ: «**فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ - مَسَالِحُ الدَّجَّالِ - فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ؟**»، الّذِين لَا يَعتَقِدُون أنّه المَسيحُ الدّجَّالُ يَعتَقِدُونه ربًّا، فيُرِيدُون أنْ يَقتُلُوا هَذَا الّذِي خَرَجَ مِن المَدِينَةِ قَبلَ أنْ يَأتِي خَبَرُه إلَى الدَّجّالِ، فيَمنَعُ بَعضُهم بَعضًا، فيَقُولُون: لَا نَقتُلُه دُونَ الدَّجّالِ.

قَوْلُه ﷺ: «**ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، يَمنَعُه اللهُ مِن قَتلِه فِي النهَايَةِ، يَمنَع اللهُ الدّجَّالَ مِن قَتلِ هَذَا المُؤمِنِ، فيَبطُلُ سِحرَه ودَجلَه وَكَيدَه أَمامَ هَذَا المُؤمِنِ.

قَوْلُه ﷺ: «**فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ، أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ**»؛ لأنَّ مَعهُ صُورةَ النّارِ كَأنّها صُورَةَ الجَنَّةِ؛ مِن تَمامِ كذِبِه، فَالنَّارُ الّتِي مَعَه هِي الجَنّةُ، وَالجَنّةُ الّتِي مَعَه هِي النّارُ، فَيَأخُذُ هَذَا الرّجُلَ إِذَا عَجزَ عَنه، فيَقذِفُه فِي النّارِ التِي معَه، وهُو إنَّمَا قَذَفَه فِي الجنَّةِ.

قَوْلُه ﷺ: «**فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ»**»، هذَا الرَّجُلُ المُؤمِنُ - الّذِي وَقَفَ أَمَامَ الدَّجّالِ، وأَظهَرَ كَذِبَه - أَعظَمُ شَهِيدٍ عِندَ اللهِ ﷻ.

✽ ✽ ✽ ✽ ✽

وَلَه عَن المُغِيرَةَ ﷺ، قَالَ: «مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُ، قَالَ: «وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ؟ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ وَالْأَنْهَارَ، قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ»[1]. وفِي رِوَايةٍ: «أَيْ بُنَي»[2].

وَلَه عَنْ ابنِ عَمْرٍو ﷺ وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: «مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟ تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا - لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا، إِنَّمَا قُلْتُ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا، يُحَرَّقُ الْبَيْتُ، وَيَكُونُ وَيَكُونُ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا -، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ؛ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ»، قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ، وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ، فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٩).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٩).

فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا، وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ - مَطَرًا، كَأَنَّهُ الطَّلُّ، أَوِ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ: فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»[1]. [١٢٤]

---

[١٢٤] **قَولُه ﷺ: «وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ؟ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ»**، قَالَ لِلمُغِيرَةِ رضي الله عنه: لمَاذَا تُكثِرُ السؤَالَ عَن الدّجّالِ؟ ليسَ لَكَ حَاجَةٌ فِي هَذَا؛ لِأنّهُ لَا يَضُرّكَ.

قَولُه رضي الله عنه: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ وَالأَنْهَارَ، قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»»، هُو أَهوَنُ على اللهِ مِن أنْ يَجعَلَ معَه أنْهَارًا حَقِيقيّةً، إنَّما هَذَا مِن التَّجهِيلِ وَالكَذبِ».

«**عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ**»؛ زَعِيمُ أَهلِ الطَّائِفِ رضي الله عنه أَسلَمَ، وَقُتِلَ شَهِيدًا رضي الله عنه، قتَلَه قَومُه لمَّا أَسلَمَ.

قَولُه ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا -، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ»، هَذَا كمَا سَبَقَ أنَّ عِيسَى بنَ مَريَمَ عليه السلام يَنزِلُ إِلَى الأَرضِ، وَيطلُبُ الدّجَّالَ، فيَقتُلُه،

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٤٠).

يَقتُلُ الدَّجّالَ فِي بَابِ لُدٍّ - كما سَبَق[1] -، فَيستَرِيحُ المسلِمُون مِن شَرّه، وَتَكُون الوِلَايةُ بِيَدِ نَبيّ اللهِ عِيسَى بنِ مَريَمَ ﷺ، ويَحكُمُ بِالإِسلَامِ بِدِينِ مُحمَّدٍ ﷺ؛ لِأنَّه لَا يَأتِي نَبِيٌّ بَعدَ مُحمَّدٍ ﷺ.

قَولُه ﷺ: «ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ»، هَذَا كمَا سَبَقَ؛ أَنَّهم يَمكُثُون مَعَ عِيسَى بنِ مَريَمَ ﷺ سِنِينَ، ويَطِيبُ العَيشُ، وَيَسُود العَدلُ بَينَهم، وَتُنزَع البَغضَاءُ مِن بَينِهم، ثُمّ إنَّ اللهَ إِذَا أَذِنَ فِي نِهَايةِ هَذِه الدّنيَا، يُرسِلُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَقبِضُ رُوحَ كلِّ مُؤمنٍ، وَلَا يَبقَى بَعدَهَا إِلّا شِرَارَ النَّاسِ، وَعَليهِم تَقُومُ السَّاعةُ.

قَولُه ﷺ: «فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ؛ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ»، بَعدَ هَذِه الرِّيحُ وَقَبضِ أَروَاحِ المُؤمِنِين لَا يَبقَى عَلَى وَجهِ الأَرضِ مَن فِي قَلبِه مِثقَالُ ذَرّةٍ مِن خَيرٍ وَإِيمَانٍ، بَل هُم شِرَارُ النّاسِ، وَلَا يَبقَى فِي الأَرضِ مَن يَقُولُ: اللهُ، اللهُ. هذِه الرِّيحُ تَقبِضُ أَروَاحَ المُؤمِنِين.

قَولُه: «حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ»، قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، هَذِه الرِّيحُ تَدخُلُ عَلَى النّاسِ فِي أَيّ مَكَانٍ، حتَّى لَو أنَّه اختَفَى فِي كَهفِ جبَلٍ، دَخَلَتْ عَلَيه هَذِه الرِّيحُ، وَقَبَضَت رُوحَه بِأَمرِ اللهِ ﷻ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٧).

قَولُه ﷺ: «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا، وَرَفَعَ لِيتًا**»، يبقُونَ كعَبَدَةِ الأَصنَامِ بِأَمرِ الشَّيطانِ - لَعَنه اللهُ -، تَعُودُ عِبادةُ الأَصنَامِ، وَمَع هَذَا يُنعِمُ اللهُ علَيهِم، ثمَّ تَأتِي النَّفخَةُ الأَكبَرُ - نَفخَةُ الصُّورِ، نَفخَةُ الفَزَعِ -؛ لِأَنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ النَّفَخَاتِ تَصِيرُ ثَلَاثًا: نَفخَةُ الفَزَعِ، ثمَّ بَعدَها نَفخَةُ المَوتِ، ثُمَّ بَعدَهَا نَفخَةُ البَعثِ.

قَالَ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧]، هذِه نَفخَةُ الفَزَعِ.

ثمَّ يَأمُرُ اللهُ إِسرَافِيلَ، فَيَنفُخُ فِي الصُّورِ المَرَّةَ الثَّانِيَةَ، فَتَقبِضُ أَروَاحَ الأَحيَاءِ، ولَا يَبقَى إِلَّا مَن يَخَافُ اللهَ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الزمر: ٦٨]، هَذِه النَّفخَةُ الثَّانِيةُ.

النَّفخَةُ الأُولَى الَّتِي تُسمَّى نَفخَةُ الفزَعِ هَذِه مَذكُورَةٌ فِي سُورَةِ النَّملِ، وَأمَّا النَّفخَتَانِ الثَّانِيةُ والثَّالِثةُ - نَفخَةُ المَوتِ، وَنَفخَةُ القِيَامِ -، فهَاتَان مَذكُورَتَان فِي سُورَةِ الزُّمَر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ [الزمر: ٦٨]؛ **يَعنِي**: مَاتَ ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٦٨]، نَفَخَ فِيهِ إِسرَافِيلُ أُخرَى، فَقَامَت الأَروَاحُ التِي فِي الصُّورِ إِلَى أَجسَادِها.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٨ - ٦٩]، يَأتِي اللهُ ﷻ. ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾ [البقرة: ٢١٠].

فَيأتِي اللهُ ﷻ لِفَصلِ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِه، يَأتِي بِمَا يَلِيقُ بِجَلَالِه - سبحانه -، ويَأتِي مَجيئًا يَلِيقُ بِه ﷻ كسَائِرِ صِفَاتِه، تُشرِقُ الأَرضُ بِنُورِه ﷻ، هذِه نَفْخَاتُ الصُّورِ.

البَعضُ يَقُولُ: لَا، لَيْسَ هُنَاكَ إِلّا نَفختَان فِي الزُّمَرِ: نَفخَةُ المَوتِ، وَالنَّفخَةُ الثَّانِيةُ نَفخَةُ البَعثِ، لَيْسَ هُنَاكَ إِلا هَاتَان النَّفخَتَان، وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ أنَّ هُنَاكَ النَّفخَةُ الأُولَى - نَفخَةُ الفَزَعِ - فِي سُورَةِ النَّملِ، يَقُولُون: إنَّ نَفخَةَ الفَزَعِ هِي نَفخَةُ المَوتِ، هِي نَفخَةٌ واحِدَةٌ، تُسمَّى نَفخَةُ الفَزَعِ وَنَفخَةُ قَبضِ الأَروَاحِ، واللهُ أَعْلَمُ.

قَولُه ﷺ: «وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ»، أوّلُ مَن يَسمَعُ النَّفخَ فِي الصُّورِ رَجلٌ لَه إبلٌ، يَلُوطُ حَوضَها؛ **يَعنِي**: يُهيِّئ حَوضَ الصَّرفِ الّذِي يُفرِغُ فِيه المَاءَ الكَدِرِ، هَذا دَلِيلٌ عَلَى أنَّ النّاسَ صَارَ عِندَهم أَموَالٌ، وَعِندَهم مَوَاشٍ عِندَ قِيامِ السَّاعةِ.

قَولُه ﷺ: «فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ»؛ **يَعنِي**: يَمُوتُونَ؛ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزمر: ٦٨].

قَولُه ﷺ: «ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ - مَطَرًا، كَأَنَّهُ الطَّلُّ، أَوِ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ»؛ بَعدَ النَّفخَةِ الأُولَى نَفخَةُ الصَّعقِ

وَالمَوتِ، يُنزِلُ اللهُ مَطرًا مِن السَّماءِ، تَنبُتُ مِنهُ أَجسَامُهم، تَتكامَلُ أجسَامُهم، إلّا أنّه لَا أَروَاحَ فِيهَا، يَقُولُونَ: حتَّى لَو مَررتُ عَلَى الرَّجُلِ، وَأَنتَ تَعرِفُه فِي الدُّنيَا، لَقُلتُ هَذَا فُلَانٌ، يَعُودُ كمَا كَانَ خَلقُه، وَجِسمُه، وشَبَهُهُ، يَعُودُ كمَا كَانَ، إلّا أَنَّهم لَا أَروَاحَ فِيهَا.

ثمَّ يَأمُرُ إِسرَافِيلَ، فَيَنفُخُ فِي الصُّورِ النَّفخَةَ الثّانِيةَ؛ نَفخَةَ البَعثِ، تَتَطَايَرُ الأَروَاحُ؛ كلُّ رُوحٍ إِلَى جِسمِها، فَعِندَ ذَلِك يَسِيرُون أَحيَاءً: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ [المعارج: ٤٣]؛ يَعنِي: مِن القُبُورِ، ﴿سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣]؛ يَمشُونَ إِلَى مَن؟ ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣]؛ يَمشُون إِلَى المَحشَرِ.

قَولُه ﷺ: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ»؛ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]: يَقِفُون فِي المَحشَرِ، وَيُحَاسَبُونَ.

قَولُه ﷺ: «ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ»، يَقُولُ اللهُ لِآدمَ عليه السلام: أَخرِجْ بَعثَ أَهلِ النَّارِ - أَي: أَهلِ النّارِ - مِن ذُرّيتِك، فَيقُولُ: مِن كَمْ يَا رَبِّ؟ فيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، كلُّهم إِلَى النَارِ؛ وَوَاحدٌ إِلَى الجَنّةِ، وَاحِدٌ مِن الأَلفِ يكُونُ إِلَى الجَنّةِ، والبَقِيّةُ إِلَى النَّارِ، أَكثَرُ النّاسِ فِي النّارِ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -.

قَوْلُه: «قَالَ: فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا» ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ﴾ [المزمل: ١٧]؛ يعني: الأطفال ﴿شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]: يَشِيبُون، وَهُم صِغَارٌ؛ مِن شِدةِ الهَولِ.

قَولُه ﷺ: «وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»؛ يعنِي: الشِّدةُ، المُرادُ بالسَّاقِ هنَا الشِّدّةُ؛ وَكَشَفَتِ الحَربُ عَن سَاقِهَا.

وَلَيس المُرَادُ سَاقُ اللهِ ﷻ، هَذَا فِي الحَدِيثِ يَكشِفُ سَاقَه فيَعرِفُه كلُّ مُؤمِنٍ، هذَا فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ ثَابِتٌ للهِ ﷻ.

وأَمَّا لَفظُ السَّاقِ فِي الآيَةِ، فَإِنّه عِبَارةٌ عَن شِدةِ الهَولِ، يُقَالُ فِي اللُّغَةِ: كَشَفَت الحَربُ عَن سَاقِهَا، يَعنِي: اشْتَدَّت.

ولِهَذا لَم يُضِفْه اللهُ إِلَى نَفسِه: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]، أَلَيسَ كَذَلِك؟! لَم يَقلْ: يَكشِفُ عَن سَاقِه، السَّاقُ الّتِي فِي الآيَةِ غَيرُ السَّاقِ الّتِي فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ، هَكَذَا يَقُول شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيةَ رَحِمَهُ اللهُ.

وهُنَاكَ مَن يَقُولُ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]. المُرَادُ بِه السَّاقُ للهِ ﷻ. وَلَكنَّ هَذَا فِيهِ نَظَرٌ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

قِصَّةُ الْجَسَّاسَةِ

وَلَه فِي حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنتِ قَيسٍ رضي الله عنها أنها قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ؛ لأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ، كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ، عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ، حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ، كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ؛ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا؛ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ

الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ؛ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتِ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا: لَهُ نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ؟ قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا: لَهُ نَعَمْ هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ، وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ، مِنَ الْعَرَبِ، وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ، فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا»، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ -: «هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟»

فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، قالَ: «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ما هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ»، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»(١). [١٢٥]

---

[١٢٥] قَولُها رضي الله عنها: «فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»؛ أرادَ أنْ يهتَمّوا، وَأنْ يُنبِّهُهُم لمَا سَيُلقِي إِلَيهم؛ حتَّى يَهتَمّوا بِذَلِك.

قَولُه ﷺ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟»، هذَا فِيهِ تَعلِيمُ طَرِيقةِ السُّؤَالِ والجَوَابِ؛ لِيَكُونَ أَدعَى لِلانتِباهِ.

قَولُه ﷺ: «مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ»؛ يَعنِي: طَمعٌ.

قَولُه ﷺ: «وَلَا لِرَهْبَةٍ»؛ يَعنِي: لِخَوفِ أنّه سَيَحدُثُ، وَلَكنْ هُو أَرَادَ أنْ يُبلِّغهم ﷺ مَا جَاءَ بِه تَمِيمُ الدَّارِيُّ رضي الله عنه وَمَن مَعَه مِن خَبَرٍ غَرِيبٍ.

قَولُه ﷺ: «وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ؛ لأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ، كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ»، تَمِيمُ الدَّارِي رضي الله عنه كَانَ نَصرَانيًّا مِن أَهلِ الشَّامِ، ثمَّ أَسْلَم رضي الله عنه، وهُو أَبُو رَقية تَمِيم بنِ أَوسٍ الدَّارِي؛ نِسبَةً إِلَى البَلدَةِ فِي الشّام يُقَالُ لَهَا: الدَّارُ، وَحَسُنَ إِسلَامُه رضي الله عنه.

قَولُه ﷺ: «وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ»، كَانَ هَذَا حَدِيثُ الجسَّاسَةِ؛ مُكمِّلًا لخَبَرِ الدّجَّالِ، والجَسَّاسَةِ سَيَأتِي بيَانُها.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٤٢).

قَوْلُه ﷺ: «**حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ**»، كَانُوا يركبُونَ السُّفُنَ الشِّرَاعِيّةِ؛ لَم تكُنْ مَوجُودةَ البَوَاخِر والسُّفُنِ الحَدِيثةِ، إنَّمَا كَانُوا يركَبُون سُفُنًا شِرَاعِيّةً تَسِيرُ بِالهَوَاءِ، تَسِيرُ تَبعًا لِلهوَاءِ أينمَا توجَّهت بِها الرِّيَاحُ، فإِذَا تَوقَّف الهَوَاءُ، تَوَقَّفت السَّفِينةُ.

كَانُوا ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِن لَخم وَجُذَام؛ **يَعنِي**: قَبِيلَتين.

قَوْلُه ﷺ: «**ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ، حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ**»، المَوجُ اضْطَرَب بِهِم، العَادةُ أَنَّ الأَموَاجَ تَضْطَرِبُ، أَحيَانًا يهلَكُون، وَأَحيَانًا ينجُونَ، هَذَا شَيءٌ مَعرُوفٌ مِن حَالَةِ البَحرِ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [الإسراء: ٦٧].

كَانُوا فِي الجَاهِلِيّةِ يَدعُون الأَصنَامَ وَالأَحجَارَ والأَشجَارَ فِي حَالَةِ الرَّخَاءِ، أَمَّا إِذَا اشتَدَّ بِهِم الأَمرُ، وَجَاءَهم المَوجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] فَرِحُوا بِذَلِك؛ فَالرِّيحُ الطَّيِّبَةُ تُوَافِقُ سَيرَ السَّفِينَةِ، وتَحصُلُ السَّلَامَةُ.

لكِنْ لمَّا تَغيّرت الرِّيَاحُ؛ ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]: الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ جَاءَتْها رِيحٌ عَاصِفٌ، ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ﴾ [يونس: ٢٢]؛ مِنهُ الرِّيحُ، ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس: ٢٢]: أَحَاطَت بِهِم الأَموَاجُ، وَقَعُوا فِي خَطرٍ شَدِيدٍ مِن كلِّ مَكَانٍ.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ﴾ [يونس: ٢٢]؛ أيْ: أيقنُوا، ظَنُّوا هُنَا بِمَعنَى: أيقنُوا.
﴿أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢]؛ سَيَهلَكُونَ لَا مَحالَةَ.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يونس: ٢٢]: أَخلَصُوا الدُّعَاءَ للهِ، وَلَم يَدعُوا الأَصنَامَ وَالأَشجَارَ وَالأَحجَارَ؛ لَعِلمِهِم أَنَّها لَا تُنقِذُهم مِن هَذَا الخَطَرِ، وَلَا تَقدِرُ عَلَى ذَلِك، إِنَّمَا الَّذِي يُنقِذُهم هُو اللهُ ﷻ.

يُخْلِصُون للهِ فِي الشِّدَّةِ، واللهُ يَستَجِيبُ لَهُم:

أوَّلًا: مِن وَاسِعِ رَحمَتِه - سبحانه -.

وَثَانيًا: لِأَنَّهم أَخلَصُوا لَه الدُّعَاءَ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ [النمل: ٦٢]، اللهُ يُجِيبُ المُضْطَرَّ، وَلَو كَانَ كَافِرًا، اللهُ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، وَلَو كَانَ كَافِرًا.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، انتَكَسُوا - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - وَعَادُوا إِلَى شِركِهِم، ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

هَذِه حَالةُ أَهلِ الجَاهِلِيَّةِ؛ أَنَّهم إِنَّمَا يَدعُونَ فِي الرَّخَاءِ غَيرَ اللهِ، وَإِذَا وَقَعُوا فِي الشِّدَّةِ، أَخلَصُوا الدُّعَاءَ للهِ؛ لِعِلمِهِم أَنَّه لَا يَستَجِيبُ الدُّعَاءَ لَهُم فِي هَذِه الحَالَةِ إِلَّا اللهُ.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]؛ لَيْسَ هُنَاكَ أَحدٌ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، إِلَّا اللهُ ﷻ.

لكِنَّ عَبَدَةَ القُبُورِ وَالأَضرِحَةِ وَالأَولِيَاءِ والصَّالِحِينَ؛ فِي حَالَةِ المُسلِمِين الَّذِين تَغَيَّرت عَقَائِدُهم، وَتَحَوَّلُوا إِلَى عِبَادةِ غَيرِ اللهِ، إِذَا وَقَعُوا فِي شِدَّةٍ، زَادَ شِركُهُم، صَارُوا يُنَادُونَ الأَولِيَاءَ والصَّالِحِينَ،

يَستَنجِدُونَ بِهِم فِي الشِّدَّةِ، فَهُم صَارُوا أَسوَأَ حَالًا مِن المُشرِكِينَ الأَوَّلِين؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ شِركُهُم دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ، أَمَّا أَهلُ الجَاهِلِيَّةِ، فَشِركُهُم إِنَّما هُو فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي حَالِ الشِّدَّةِ، فَيُخلِصُونَ للهِ ﷻ.

قَولُه ﷺ: «**فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ**»، شَهْرٌ، فَترَةَ شَهرٍ، وهُم يَلعَبُ بِهِم المَوجُ، خَطَرٌ عَظِيمٌ، مُدَّةً طَوِيلةً وهُم فِي خَطرٍ، هَذَا تَمِيمُ بنُ أَوسٍ الدَّارِي ومَن مَعَه، الثَّلَاثُونَ الّذِينَ مَعَه.

قَولُه ﷺ: «**ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ، حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ**»، **أَرْفَئُوا**: يَعنِي تَوقَّفُوا عِندَ جَزِيرةٍ فِي البَحرِ، رَسَتَ سَفِينَتُهم عِندَ هَذِه الجَزِيرَةِ؛ لِأَنَّ البَحرَ لَه جَزَائر يُشبِهُ المُحِيطَاتِ؛ فِيهِ جُزُرٌ كَبيرةٌ وصَغِيرةٌ.

قَولُه ﷺ: «**فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ، كَثِيرُ الشَّعَرِ**»؛ لمَّا دَخلُوا هَذِه الجَزِيرَةَ، لَقِيَتْهم دَابَّةٌ مِن الدَّوَابِّ التِي تسِيرُ فِي الأَرضِ، لَيْسَت إِنسَانًا وَلَا حَيَوَانًا مَعرُوفًا، وَإِنّما هِي دَابَّةٌ غَرِيبَةُ الشَّكلِ، لَيْسَت مِثلُ الدَّوَابِّ المَألُوفَةِ.

قَولُه ﷺ: «**لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ؛ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ**»؛ مَكسُوَّةُ الشَّعرِ، لَا يَعرِفُونَ رَأسَها مِن عَقِبِها.

قَولُه ﷺ: «**فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟**»؛ تَنطِقُ، تَتكلَّمُ بِإِذنِ اللهِ.

قَولُه ﷺ: «**قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ**»؛ **يَعنِي**: الدَّجَّالُ؛ لِأَنَّه كَانَ مَحصُورًا فِي هَذَا المَكَانِ، هَذِه الجَزِيرَةُ، كَانَ مُكبَّلًا فِي هَذِه الجَزِيرَةِ، وَهُو يَتَحسَّسُ الأَخبَارَ عَن المُسلِمِين؛ عَن مُحمَّدٍ وَأَصحَابِه.

قَولُه ﷺ: «**قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا**»؛ **يَعنِي**: خَافُوا «**أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً**»، الدَّابَّةُ هذِه لمَّا أَخبَرَتْهم عَن وُجُودِ هَذَا الرَّجُلِ، خَافُوا أَنْ تَكُونَ هَذِه الدَّابَّةُ شَيطَانًا؛ لأَنَّ الشَّيَاطِينَ يَتَصوَّرُونَ فِي صُوَرِ الدَّوَابِّ والحَيَوَانَاتِ.

قَولُه ﷺ: «**قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا**»؛ مَوثُوقٌ، مُكبَّلٌ بِالأَغْلَالِ.

قَولُه ﷺ: «**مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا**»؛ اغْتَلَمَ **يَعنِي**: اشتَدَّ.

قَولُه ﷺ: «**فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ**»، يَسأَلُهُم عَن أَشيَاءَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، إِذَا خَرَجَ، سَيَمرُّ بِهَا؛ بَيْسَانُ قَريَةٌ بِالشَّام.

قَولُه ﷺ: «**قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا: لَهُ نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ**»؛ **يَعنِي**: النَّخلُ كَثِيرُ المَاءِ عِندَه، ولِذَلِك صَارَ نَخلًا حَيًّا، لَو لَم يَكنْ عِندَه مَاءٌ، مَاتَ؛ **يَعنِي**: سَيَأتِي عَلَيهِ وَقتٌ يُصَابُ، وَلَا يُثمِرُ.

قَوْلُه ﷺ: «قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ؟ قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ»؛ فِي المُستقبَلِ يَعنِي.

قَوْلُه ﷺ: «قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟»؛ يَعنِي: مُحَمَّدًا ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢].

والأُمِّيّ: هُو الّذِي لَا يَقرأُ، وَلَا يَكتُبُ، لَا يَقرَأُ الكِتَابةَ، ولَا يَكتُبُ بِالقَلَمِ، يُسمَّى أُمّيًا؛ لِأنَّه بَقِيَ عَلَى حَالَتِه وَوُجُودِه يَومَ تَلِدُه أُمّه، لَا يَقْرَأ، وَلَا يَكتُبُ، وهَذَا شَأنُ العَرَبِ؛ أُمِّيّون فِي الغَالِبِ، قَلَّ مِنهُم مَن يَقرَأُ ويَكتُبُ.

الرَّسُولُ ﷺ كَانَ أُميًا لَا يَقرَأُ، وَلَا يَكتُبُ، وَهَذِه مِن حِكمَةِ اللهِ؛ لِأنَّه لَو كَانَ يَقرَأُ ويَكتُب، لَقَالَ النّاسُ: هَذَا الّذِي جَاءَ بِه هَذَا قَرَأَهُ فِي الكُتُبِ؛ أَخبَارُ الأَوَّلِين.

لمَّا جَاءَهم بِهَذا الكِتَابِ العَظِيمِ - القُرآنِ -، بَهَرهُم كَيفَ أُمِّيٌّ لَا يَقرَأُ وَلَا يَكتُبُ، وجَاءَ بِكِتابٍ أَعجَزَ البُلَغَاء والفُصَحَاءِ؟!

كتَابٌ يَشتَمِلُ علَى عُلومٍ عَظِيمةٍ، لَا يَعلَمُها إِلّا اللهُ، لَا يُمكِنُ أنْ يَحصُلَ عَلَيهَا إِنسَانٌ بِالقِرَاءَةِ وَالكِتَابةِ، إِلّا أَنَّها وَحيٌ مِن اللهِ ﷻ، وَهَذَا مِن مُعجِزَاتِه ﷺ؛ أنَّه أُمِّيٌّ لَا يَقرَأُ، وَلَا يَكتُبُ، وَمَع هَذَا جَاءَ بِكِتابٍ أَعجزَ الأُمَمَ فِي عُلومِه، فِي بَلَاغَتِه، فِي لُغَتِه، فِي الأَخبَارِ المَاضِيةِ وَالمُستَقبَلةِ، فِي أَحكَامِه وتَشرِيعَاتِه، هَذِه مُعجِزَةٌ، وَلِذَلِك القُرآنُ هُو المُعْجِزةُ الخَالِدةُ لهَذا الرَّسُولِ ﷺ إِلَى أنْ تَقُومَ السَّاعةُ.

قَوْلُه ﷺ: «قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ، وَنَزَلَ يَثْرِبَ»؛ يَعنِي: هَاجرَ، ضَايَقَه أَهلُ مَكَّةَ، بُعِثَ ﷺ فِي مَكَّةَ، وَدَعَا إِلَى التَّوحِيدِ، وبَقِيَ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةٍ بَعدَ البَعثَةِ يَدعُو النَّاسَ، يَقتَصِرُ عَلَى الدَّعوَةِ فَقَطْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحدَه لَا شَرِيكَ لَه، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الأَصنَام.

ولَم يُؤمَرْ بِالجِهَادِ، وَلَم يَنزِلْ عَلَيه الفَرائِضُ، إِنَّما كَانَ يَدعُو إِلَى التَّوحِيدِ فَقَطْ، فآمَنَ بِه مَن آمَنَ مِن السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِن المُهَاجِرِين، وضَايَقَهُم أَهلُ مكَّةَ؛ الَّذِي لَيسَ لَهُ قَبِيلَة يُعذِّبُونَه، ويَقتُلُونَه، ويُضَايِقُونَه، وَالَّذِي لَه قَبِيلَةٌ تَحمِيهِ قَبِيلَتُه.

عِندَ ذَلِك أَذِنَ النَّبيُّ ﷺ لِأَصحَابِه بِالهِجرَةِ الأُولَى إِلَى الحَبَشَةِ عِندَ النَّجَاشِيّ، كَان مَلِكًا مِن مُلُوكِ النَّصَارَى عَلى دِينِ النَّصرَانِيةِ، لَكِنّه رَجلٌ عَادِلٌ؛ قَالَ ﷺ: **«لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ»**[1].

فَأَمَرَهم بِالهِجرَةِ إِلَيهِ -إِلَى الحَبَشَةِ-، فَاستَقبَلَهُم النَّجَاشِيّ، وَأَكرَمَهم، وَحَمَاهُم، وَآمنَ بِه ﷺ، وَأَسلَمَ، لَمَّا سَمِعَ القُرآنَ، وَسَأَلَهم عَن هَذَا الرَّسُولِ، وَمَاذَا يَأمُرُ بِه، وَمَاذَا يَنهَى عَنهُ، تَيَقَّن أَنَّه الرَّسُولُ؛ لِأَنَّه مِن عُلَمَاءِ أَهلِ الكِتَابِ، وَأَهلُ الكِتَابِ يَعرِفُونَ بِعثَةَ هَذَا الرَّسُولِ ﷺ، يَعرِفُونَ صِفَاتِه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فَآمَنَ النَّجَاشِيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

ثُمَّ قِيلَ لَهُم: إِنَّ أَهلَ مَكَّةَ قَد أَسلَمُوا، جَاءَهم خَبَرٌ أَنَّ أَهلَ مَكَّةَ قَد أَسلَمُوا، فَعَادُوا؛ لِأَنَّهم يُحِبُّونَ وَطَنَهم، فَعَادُوا إِلَى مَكَّةَ.

---

(١) أخرجه: البيهقي رقم (١٧٧٣٤).

لمَّا عَادُوا إِلَى مكَّةَ، وَجدُوهَا أَسوَأَ ممَّا كَانَتْ، وَأنَّ هَذَا الخَبرَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ، والتَّضيِيقُ لَا يَزَالُ علَى أَهلِ الإِسلَامِ، فَهَاجَرُوا مَرّةً ثَانِيةً الهِجرَةَ الثَّانِيةَ إِلَى الحبَشَةِ، ثمّ جَاؤُوا بَعدَ ذَلِكَ فِي غَزوَةِ تَبُوكٍ، لمَّا انتَصَرَ الإِسلَام، وَفُتِحَت مَكّةُ، ودَخَلَ النّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفوَاجًا، جَاؤُوا مِن الحَبَشَةِ.

وأَذِنَ النّبيُّ ﷺ لأصْحَابِه بِالهِجرَةِ إِلَى المَدِينةِ؛ لأنّ الأَنصَارَ كَانَ يقَالُ: لَهُم الأوسُ والخَزرَجُ، لَا يُقَالُ لَهُم: الأَنصَارُ - الأَوسُ وَالخَزرَجُ - وَكَانَ بَينَهُم وَبينَ اليَهُودِ عَدَاوةٌ فِي المَدِينَةِ.

اليَهُودُ كَانُوا مُستَوطِنِين فِي المَدِينةِ بِجوارِ الأَوسِ والخَزرَجِ، وكَانَ بَينَهُم عَدَاءٌ، وَكَانَ بَينَهُم شَحنَاءُ.

لكنَّ اليهُودَ كَانُوا يُهدِّدُون الأَوسَ وَالخَزرَجَ، يَقُولُون: سَيُبعَثُ نَبِيٌّ، وَنَكونُ مَعَه نَقتُلَكُم - يَعنُونَ الأَوسَ وَالخَزْرَجَ -، ويَصِفُونَ هذَا النّبيَّ بصِفَاتِه لِلأَوسِ والخَزرَجِ، وَيَتَوعَّدُون، وَلِهَذا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ٨٩]، كَانَ اليَهُودُ يَستَفتِحُونَ عَلَى الأَوسِ والخَزرَجِ المُشرِكِين؛ أَنَّنَا سَنتَّبِعُ هَذَا الرَّسُولَ، ونَقتُلُكم، فَوَقَع ذَلِك فِي أَنفُسِ الأَوسِ وَالخَزْرَجِ.

فَلمَّا جَاؤُوا لِلحَجّ عَلَى العَادةِ، وَكَانَ العَربُ يَنزِلُون مَنَازلَ فِي مِنَى، وَكلُّ قَبِيلةٍ لهَا مَنزِلٌ، كَانَ النّبيُّ ﷺ يَأتِي إِلَى هَذِه المَنازِلِ، وَيَدعُو إِلَى الإِسلَامِ، وَيُضَايَق ﷺ؛ مِنهُم مَن يَقبلُ، وَالأَكثَرُ لَا يَقبلُ دَعوَتَه ﷺ، لَكِنْ كَانَ يَعرِضُ نَفسَه عَلَى القَبَائِلِ؛ يَطلُبُ مِنهُم أنْ يُؤوُه؛

لِيُبيِّنَ رِسَالةَ رَبّه، فَصَادَفَ أَجزَاءَ مِن منَازِلِ الأَوسِ والخَزرَجِ عِندَ جَمرَةِ العقبَةِ، فَدَعَاهُم إِلَى اللهِ، وَقَرَأَ عَلَيهِم قُرآن، تَأَمَّلوا، وَقَالُوا: هَذَا الَّذِي تَتَهدَّدكم بِه يهُودُ، فَلَا يَسْبِقُوكُم إِلَيه، فَأَسلَموا، وَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ البَيعةَ الأُولَى.

ثمَّ رَجعُوا إِلَى بِلَادِهم يَدعُونَ إِلَى اللهِ، يَدعُونَ إِلَى الإِسلَامِ، فَأَسلَمَ الكَثِيرُ مِن أَهلِ المَدِينةِ، ثمَّ جَاؤُوا فِي العَامِ القَادِمِ أَكثَرَ مِن الَّذِين بَايعُوا البَيعةَ الأُولَى، وَبَايعُوا الرَّسُولَ ﷺ علَى أَنْ يُهَاجِرَ إِلَيهم، وأَنْ يَحمُوه مِن أذَى الكفَّارِ والمُشرِكِين.

الرَّسولُ ﷺ عَاهَدَهم عَلَى الهِجرَةِ، ثمَّ أَذِنَ لِأَصحَابِه بِالهِجرَةِ إِلَى المَدِينَةِ، كَانَت فِي الأَوَّلِ تُسمَّى يَثْرِب، هَذَا اسمُهَا فِي الجَاهِليّةِ، قِيلَ: لِأَنَّ فِيهَا الحُمَّى، فهِي تُثَرِّبُ أَهلَها بِالحُمَّى، وَقِيلَ: يَثْرِبُ اسمُ الَّذِي أَسَّسَها، الَّذِي أَسّسَ المَدِينةَ رَجلٌ يُقَال لَه: يَثْرِبُ، سمِّيَت بِاسمِه.

الرَّسُولُ ﷺ سمَّاها المَدِينَةَ بَدَلَ يَثرِبَ؛ لِأَنَّ هَذَا الاسمَ يَثْرِبَ غيرُ مَرغُوبٍ فِيهِ، سمَّاها النَّبيُّ ﷺ بِالمَدِينةِ، وسمَّى الأَوسَ والخَزرَجَ بِالأَنصَارِ.

وفِي النِّهايَةِ هَاجَرَ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَحِقَ بِأَصحَابه إِلَى المَدِينَةِ، واستَقَرَّ فِيهَا ﷺ، ونَزَلَت علَيه الفَرَائضُ، نَزَلَ عَلَيهِ الصِّيَامُ والزَّكاةُ وفَرَائِضُ الإِسلَامِ والحَجُّ، لمَّا استَقرَّ بِالمَدِينةِ، وفُرِضَ الجِهادُ، وقَد كَانَ مَمنُوعًا فِي مَكّةَ، ثمَّ فُرِضَ فِي المَدِينةِ، لمَّا قَوِيَ المُسلِمُون، وَصَارَ لهُم دَولَةٌ، فُرِضَ عَلَيهِم الجِهادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ لِإِعلَاءِ كلِمَةِ اللهِ.

وَنَشَرَ الإِسلَامَ بَعْد الدَّعوَةِ إِلَى اللهِ: **أَوَّلًا**: الدَّعوَةُ إِلَى اللهِ، ثمَّ الجِهَادُ، مَن لَم يَقبَلْ الدَّعوةَ، يُجَاهَد، هذَا هُو حَاصِلُ الخَبَرِ فِي المَدِينةِ وَأَهلِها.

قَولُه ﷺ: «**قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟**»؛ يَسأَلُ الدَّجّالُ: أَقاتَله العَربُ؟ **يَعنِي**: هَذَا الرَّجلُ الّذِي بُعِثَ فِيكُم، هَل قَاتَله العَربُ؟ قَالُوا: نَعَم، قَاتَلَه العَربُ.

قَولُه ﷺ: «**قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ، مِنَ الْعَرَبِ، وَأَطَاعُوهُ**»، **قَد ظَهَرَ عَلى مَن يَلِيهِ**: القَرِيبُونَ مِنهُ مِن العَربِ ظَهَرَ عَلَيهِم؛ **يَعنِي**: انتَصَرَ عَلَيهِم.

قَولُه ﷺ: «**قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ**»، **الدَّجّالُ الكَاذِبُ يَقُولُ**: ذَلِك خَيرٌ لَهُم، اعتَرَفَ أَنَّ اتِّبَاعَ الرّسولِ ﷺ خَيرٌ لَهُم إِنْ أَطَاعُوه.

قَولُه: «**وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي**»، انتَهَى مِن سُؤَالِه، وسَيُجِيبُهم عَنهُ حَقِيقَة.

قَولُه: «**إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ، فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»؛ كمَا سَبَقَ فِي خَبرِ الدّجّالِ.

قَولُه: «**غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ**»، أَمَّا مَكّةُ وطَيبَةُ، فَلَا يَدخُلُهما؛ تَحرُسُهما المَلائِكةُ عَلَى حُدُودِهما، وَلكِنَّ المنَافِقِين يَخرُجُون إِلَيه مِن المَدِينَةِ، يَخرُجُون إِلَيه - والعِيَاذُ بِاللهِ -.

قَولُه: «**فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً -أَوْ وَاحِدًا- مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا**»؛ صَلتًا **يَعنِي**: مَسْلُولًا.

قَوْلُه: «يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا»، قَالَتْ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»، هَذَا تَعليقٌ مِن الرَّسُولِ ﷺ عَلَى هَذَا الخَبَرِ.

قَوْلُها رضي الله عنها: **«وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ»**؛ **المِخْصَرَةُ**: العَصَا القَصِيرَةُ فِي يَدِه ﷺ، ضَرَبَ بِهَا عَلَى المِنبَرِ.

قَوْلُه ﷺ: **«هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ - يَعْنِي الْمَدِينَةَ -»**، هَذِه هِي البَلَدُ؛ **يَعنِي**: طَيبةُ، اسمُها طَيبةُ بَدَلًا مِن اسمِهَا يَثرِبَ، طَيبَةٌ وطَابَةٌ.

قَوْلُه ﷺ: **«أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ»**، يَقُولُ ﷺ: أَعجَبَنِي حدِيثُ تَمِيمٍ الدَّارِي عَن الجَسَّاسَةِ وَعَن الدّجَّالِ؛ لِأَنّه وَافَقَ الّذِي حَدّثْتُكُم عَن الدّجالِ. الذّي قَرَأنَاه فِي الحَدِيثِ السَّابِقِ.

قَوْلُه ﷺ: **«وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ»**، وَعَن المَدِينَةِ وَمكّةَ؛ اللهُ يَحمِيهُما مِن الدّجّالِ.

قَوْلُه ﷺ: **«أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ»**؛ **يَعنِي**: الدَّجّال.

قَوْلُه ﷺ: **«ما هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ»**، يقُولُ: الدّجّالُ يَأتِي مِن قِبلِ المَشرِقِ - أَعاذَنَا اللهُ وإِيَّاكُم والمُسلِمِين مِن شَرِّه - !

قَوْلُها رضي الله عنها: **«قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»**، قَالَت الرَّاوِيةُ فَاطِمةُ بِنتُ قَيسٍ رضي الله عنها: حَفِظْتُ هذَا الخبَرَ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ عَن الجَسَّاسَةِ حِينَ أَلقَاه عَلَى المِنبَرِ، وَلَم تَحفَظهُ عَن أَحدٍ غَيرِ الرَّسُولِ ﷺ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

عَن أَنسٍ ﷺ أَنَّه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْس نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا، فَيَنْزِلُ بِالسَّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»[1].

وَفِي لَفظٍ: «فَيَأْتِي سِبْخَةَ الْجُرُفِ فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ»[2].

وَلَه عَنه ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ»[3].[١٢٦]

---

[١٢٦] الدَّجَّالُ مِن يَهُودِ المَشرِقِ، أَصبَهَانُ هِي بَلدٌ، المَعرُوفُ مِن بِلادِ فَارسٍ. **والطَّيَالِسةُ**: لِبَاسُ اليَهُودِ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٤٣).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٤٣).

(٣) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٤٤).

وَلَه عَن أُمِّ شُرِيكٍ رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ»، قَالَتْ أُمُّ شُرَيكٍ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «هُمْ قَلِيلٌ»(١).

وَلَه عَن عِمْرَانَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ»(٢).

وَلَه عَن أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر»(٣).

وفِي رِوَايَةٍ بَعْدَ الْحُرُوفِ: «أَيْ: كَافِرٌ»(٤).

وَفِي رِوَايَةٍ: «ثُمَّ تَهَجَّاهَا كَ ف ر يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ»(٥).[١٢٧]

---

[١٢٧] قَولُه ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّه أَعْوَرُ»؛ يَعنِي: الدَّجّالُ أَعوَرٌ، لَيْس لَه إِلَا عينٌ وَاحِدةٌ، وَالعَينُ الأُخرَى مَطمُوسَةٌ، وَهُو يَدَّعِي أنّه اللهُ، الدّجَّالُ يَدّعِي أنَّه هُو اللهُ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ ! والنبيُّ ﷺ يقُولُ: «وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيسَ بِأَعْوَرَ»، هَذَا فِيهِ وَصفُ اللهِ ﷻ أَنَّ لَه عَيْنَين ﷻ، وَلَيس بِأَعوَرَ، وَلَكنَّهمَا عينَانِ تَليقَانِ بِجَلالِه؛ مِن صِفَاتِ الذَّاتِ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٤٥).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٤٦).

(٣) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٣).

(٤) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٣).

(٥) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٣).

وَلَه عَن حُذَيفَةَ ﷺ أنّه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَالُ الشَّعَرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ»(١).

وَلَه عَنهُ ﷺ أنّه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ، نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ النَّهرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»(٢).

وله: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ»(٣). [١٢٨]

قَولُه ﷺ: «وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيهِ كَ فَ رَ»؛ كَافِرٌ، مَكتُوبٌ عَلَيهِ حُرُوفٌ مُقَطَّعَةٌ: كَافٌ، فَاءٌ، رَاءٌ؛ يَعنِي: كَافِرٌ.

قَولُه ﷺ: «يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ»؛ يَعنِي: ولَو كَانَ عَامّيًا يَقرأُ هَذِه الكِتَابَةَ عَلَى جَبِينِ الدّجَّالِ: «كَافِرٌ».

* * * * *

[١٢٨] قَوله ﷺ: «مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ»؛ يَعنِي: يُخَيّلُ لِلنَّاسِ أنَّ مَعه جَنةٌ وَنَارٌ؛ فِتنَةٌ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٤).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٤).

(٣) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٦).

قَولُه ﷺ: «مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ، نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ»، الّذِي يَتَرَاءَى لِلنَّاسِ أَنّه نَارٌ هُو مَاءٌ بَارِدٌ، وَالّذِي يَتَرَاءَى لِلنّاسِ أَنّه مَاءٌ بَارِدٌ هُو النّارُ؛ **يَعنِي**: علَى العَكسِ.

قَولُه ﷺ: «وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ»، وَلِذَلِك سمِّيَ بِالمَسِيحِ، المَسِيحُ بِمَعنَى مَمسُوحٌ، مَطمُوسَةٌ عَينَيهِ.

قَولُه ﷺ: «يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»؛ يَقرَؤُهَا العَوَامُّ.

قَولُه ﷺ: «وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»؛ **يَعنِي**: لَيسَت جَنةً حَقِيقةً، وَلَا نَارٌ حَقِيقةً، لَكنَّها مَثَلٌ.

قَولُه ﷺ: «وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ، كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ»، أَوّلُ مَن أَنذَرَ بِهِ قَومَه، أَوّلُ الرُّسُلِ نُوحٌ عليه السلام، وآخِرُهُم محمد ﷺ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

وَلَه عَن نَافِعٍ ﷺ: «أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»[(١)].

وَلَه عَن أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَولُ ابْنِ صَيَّادٍ لَه: أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدَ لِي، أَوَلَيْسَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدْتُ بِالْمَدِينَةِ، وَهَذَا أَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ، أَلَمْ يَقُلْ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ يَهُودِيٌّ» وَقَدْ أَسْلَمْتُ؟... إلخ[(٢)].

وَلَه قَولُ حَفْصَةَ لِابنِ عُمَرَ ﷺ: «مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يَبْعَثُهُ عَلَى النَّاسِ غَضَبٌ يَغْضَبُهُ»[(٣)].[١٢٩]

---

[١٢٩] قَولُه: «أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَقَدْ وُلِدَ لِي»، اتَّهمُوا ابنَ صَيَّادٍ أنّه هُو الدَّجّالُ، يقُولُ: لَا، لَا يَنطَبِقُ علَيَّ وَصفُ الدّجّالِ؛ لِأنّ الرَّسُولَ ﷺ أخْبَر أنَّ الدجَّالَ لَا يُولَدُ لَه، وَأَنَا يُولَدُ لِي.

قَولُه ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ»، وابنُ صيَّادٍ دَخَلَ المدينَةَ، ودَخَلَ مَكّةَ.

قَولُه: «أَلَم يَقُل نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ يَهُودِيٌّ»، وَقَدْ أَسلَمْتُ؟»، فِي رِوَايةٍ: «إِنَّه يَهُودِيٌّ»، وَأَنَا مُسلِمٌ.

* * * * *

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٦٩).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٢٧).

(٣) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٣٢).

وَلَه عَن أَبِي الدَّرداءِ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»[1].

وفِي رِوَايةٍ: «مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ»[2].

ولَه عَن عَمرِو بنِ ثَابتٍ، عَن الصَّحَابَةِ مَرفُوعًا: «تعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷻ حَتَّى يَمُوتَ»[3].

وَلَه عَنْ ابنِ عُمَرَ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَتُقَاتِلُنَّ الْيَهُودَ، فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»[4].

وَفِي رِوايَةٍ: «إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»، رَوَاهُ مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ[5]. [١٣٠]

---

[١٣٠] قولُه ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ»؛ مَن أدركَه، يَقرأُ عليه أَوائِلَ سُورةِ الكَهفِ؛ عَشْرَ آياتٍ.

قَولُه ﷺ: «مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ»، وَفِي رِوايةٍ ثَانيةٍ: يَقرَأُ عَلَيهِ مِن آخِرِ الكهْفِ، المُهِمُّ أنّه يَقرَأُ عَلَيه عَشْرَ آياتٍ مِن أَوّلِ الكَهفِ، أَو مِن آخِرِ الكَهفِ.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٨٠٩).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٨٠٩).

(٣) أخرجه: مسلم رقم (١٦٩).

(٤) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٢١).

(٥) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٢٢).

قَوْلُه ﷺ: «**تَعَلَّمُوا أَنَّه لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِّنْكُم رَبَّه ﷻ، حَتَّى يَمُوتَ**»، اللهُ ﷻ لَا يُرى فِي الدّنيَا، لَا يَرَاه أَحدٌ فِي الدّنيَا، وأمَّا فِي الآخِرَةِ، فَيرَاهُ المُؤمِنُون خَاصَّةً؛ إِكرَامًا لَهُم.

قَوْلُه ﷺ: «**لَتُقَاتِلَنَّ اليَهُودُ، فَلْتَقْتُلُنَّهُم حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ**»، هَذَا فِي آخِرِ الزَّمانِ أنَّ المُسلِمِين يَنتَصِرُون عَلَى اليَهُودِ، هَذِه بُشرَى لِلمُسلِمِين، لَكنْ تَحتَاجُ إِلَى إِيمَانٍ، وتَحتَاجُ إِلَى صَبْرٍ، وتَحتَاجُ إِلَى قوَّةٍ.

قَوْلُه ﷺ: «**إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ**»، شَجرُ الغَرقَدِ لَا يُخبِر عَنِ اليَهُودِ الّذِين خَلفَه؛ لِأنَّه مِن شَجَرِ اليَهُودِ.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

وقَالَ ابْنُ مَاجه: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حَدَّثَنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُحَارِبِيُّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ الشَّيْبَانِيِّ يَحْيَى بْنِ أَبِي عَمْرٍو عَن عَمرِو بْنِ عَبدِ اللهِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﵁، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ أَكْثَرُ خُطْبَتِهِ حَدِيثًا حَدَّثَنَاهُ عَنِ الدَّجَّالِ، وَحَذَّرْنَاهُ فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ أَنْ قَالَ: «إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ، أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، وَأَنَا آخِرُ الأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ، وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ؛ وَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرَانِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنْ يَخْرُجْ مِنْ بَعْدِي فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَيَعِيثُ يَمِينًا وَيَعِيثُ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ أَيُّهَا النَّاسُ فَاثْبُتُوا؛ فَإِنِّي سَأَصِفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِيَّاهُ نَبِيٌّ قَبْلِي، إِنَّهُ يَبْدَأُ فَيَقُولُ: أَنَا نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، ثُمَّ يُثَنِّي فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، وَلَا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ أَوْ غَيْرِ كَاتِبٍ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ، فَمَنِ ابْتُلِيَ بِنَارِهِ فَلْيَسْتَغِثْ بِاللَّهِ، وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ الْكَهْفِ، فَتَكُونَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، كَمَا كَانَتِ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ؛ أَنْ يَقُولَ لِأَعْرَابِيٍّ: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَيَقُولَانِ: يَا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ. وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ؛ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَيَقْتُلَهَا، وَيَنْشُرَهَا بِالْمِنْشَارِ، حَتَّى يُلْقَى شِقَّتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا

إِلَى عَبْدِي هَذَا فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الآنَ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِي، فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ، وَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ: مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَأَنْتَ عَدُوُّ اللَّهِ، أَنْتَ الدَّجَّالُ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ بَعْدُ أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ ». قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الطَّنَافِسِيُّ: فَحَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ الْوَلِيدِ الْوَصَّافِيُّ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « ذَلِكَ الرَّجُلُ أَرْفَعُ أُمَّتِي دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ »، قَالَ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ ﷺ: « وَاللَّهِ مَا كُنَّا نُرَى ذَلِكَ الرَّجُلَ إِلَّا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ». قَالَ الْمُحَارِبِيُّ ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: « وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ؛ أَنْ يَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ، وَيَأْمُرَ الأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ؛ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُكَذِّبُونَهُ، فَلَا تَبْقَى لَهُمْ سَائِمَةٌ إِلَّا هَلَكَتْ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ؛ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُصَدِّقُونَهُ، فَيَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ، وَيَأْمُرَ الأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ، حَتَّى تَرُوحَ مَوَاشِيهِمْ مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ أَسْمَنَ مَا كَانَتْ، وَأَعْظَمَهُ وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، وَأَدَرَّهُ ضُرُوعًا، وَإِنَّهُ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الأَرْضِ إِلَّا وَطِئَهُ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَا يَأْتِيهِمَا مِنْ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهِمَا إِلَّا لَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً، حَتَّى يَنْزِلَ عِنْدَ الظُّرَيْبِ الأَحْمَرِ، عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَتَنْفِي الْخَبَثَ مِنْهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَيُدْعَى ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْخَلَاصِ »، فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ بِنْتُ أَبِي الْعُكَرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: « هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ، وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ،

إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ/ فَرَجَعَ ذَلِكَ الإِمَامُ يَنْكُصُ يَمْشِي الْقَهْقَرَى لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ، فَإِذَا انْصَرَفَ، قَالَ عِيسَى عليه السلام: افْتَحُوا الْبَابَ، فَيُفْتَحُ وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى، وَسَاجٍ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ، كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا وَيَقُولُ عِيسَى عليه السلام: إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً، لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ، فَيَقْتُلُهُ فَيَهْزِمُ اللَّهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ، وَلَا شَجَرَ، وَلَا حَائِطَ، وَلَا دَابَّةَ إِلَّا الْغَرْقَدَةَ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ، لَا تَنْطِقُ إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمَ هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَإِنَّ أَيَّامَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً السَّنَةُ كَنِصْفِ السَّنَةِ، وَالسَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ وَآخِرُ أَيَّامِهِ كَالشَّرَرَةِ يُصْبِحُ أَحَدُكُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ فَلَا يَبْلُغُ بَابَهَا الآخَرَ حَتَّى يُمْسِيَ»، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ الْقِصَارِ؟ قَالَ: «تَقْدُرُونَ فِيهَا الصَّلَاةَ، كَمَا تَقْدُرُونَهَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الطِّوَالِ ثُمَّ صَلُّوا». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَيَكُونُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام فِي أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا، وَإِمَامًا مُقْسِطًا، يَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ، فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ، وَلَا بَعِيرٍ، وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ، وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي فِيِّ الْحَيَّةِ، فَلَا تَضُرَّهُ، وَتُفِرُّ الْوَلِيدَةُ الأَسَدَ، فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونُ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ، كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَتُمْلأُ الأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ

كَمَا يُمْلأُ الإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا، وَتَكُونُ الأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ، حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيُشْبِعَهُمْ، وَيَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَّانَةِ فَتُشْبِعَهُمْ، وَيَكُونَ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ، وَتَكُونَ الْفَرَسُ بِالدُّرَيْهِمَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يُرْخِصُ الْفَرَسَ؟ قَالَ: «لَا تُرْكَبُ لِحَرْبٍ أَبَدًا»، قِيلَ لَهُ: فَمَا يُغْلِي الثَّوْرَ؟ قَالَ: تُحْرَثُ الأَرْضُ كُلُّهَا، وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٍ، يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ، يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الأُولَى أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ فَتَحْبِسُ مَطَرَهَا كُلَّهُ، فَلَا تَقْطُرُ قَطْرَةٌ، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتَحْبِسُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ، فَلَا تُنْبِتُ خَضْرَاءَ، فَلَا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إِلَّا هَلَكَتْ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، قِيلَ: فَمَا يُعِيشُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؟ قَالَ: «التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ وَيُجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مَجْرَى الطَّعَامِ»، قَالَ ابن ماجه: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الطَّنَافِسِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْمُحَارِبِيَّ، يَقُولُ: يَنْبَغِي أَنْ يُدْفَعَ هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى الْمُؤَدِّبِ، حَتَّى يُعَلِّمَهُ الصِّبْيَانَ فِي الْكُتَّابِ[1].

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٤٠٧٧).

بَابُ نُزُولِ عِيسَى

ولِمسلِم: عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، ولَيَتْرُكَنَّ الْقَلَائِصَ، فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»[(١)].

وَعَنهُ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟»[(٢)].

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَأَمَّكُمْ مِنكُمْ»[(٣)].

قَالَ ابنُ أَبِي ذِئْبٍ: «تَدرِي مَا فَأَمَّكُم مِنْكُم؟»، قُلتُ: تُخْبِرُنِي، قَالَ: «فَأَمَّكُم بِكِتَابِ رَبِّكُم ﷻ، وَسُنَّة نَبِيِّكُم ﷺ»[(٤)].

وِلِأحمَدَ فِي المُسنَدِ عَن عَائِشَةَ ﵂، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى بنُ مَريَمَ فَيَقْتُلُه، ثُمَّ يَمْكُثُ فِي الأَرْضِ أَربَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَادِلًا، حَكَمًا مُقْسِطًا»[(٥)].

وَلَه فِي الزُّهدِ: عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، قَالَ: «يَلْبَثُ عِيسَى ﵇ فِي الأَرْضِ أَربَعِينَ، لَو يِقُولُ لِلبَطحَاءِ: سِيرِي عَسَلًا لَكَانَتْ»[(٦)].

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٥٥).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (١٥٥).

(٣) أخرجه: مسلم رقم (١٥٥).

(٤) أخرجه: مسلم رقم (١٥٥).

(٥) أخرجه: أحمد رقم (٢٤٤٦٧).

(٦) أخرجه: نعيم بن حماد في الفتن رقم (١٦٢٣).

وَلِلحَاكِمِ فِي المُستَدرَكِ: عَنِ ابْنِ مَسعُودٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَ أُذُنَيْ الدَّجَّالِ أَربَعُونَ ذِرَاعًا»[1]، وَذَكَر الحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: «وينْزِلُ عِيسَى بنُ مريَم فَيقتُلُه، فَيُمَتَّعُوا أَرْبَعِينَ سَنَةً، لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنهُم، فَارِغُوا، وَتَمرُّ المَاشِيَةُ بَيْنَ الزَّرْعَينِ، لَا تَأكُلُ مِنهُ سُنْبُلَةً وَاحِدةً، وَالْحَيَّاتُ وَالعَقَارِبُ لَا تُؤذِي أَحَدًا، والسِّبَاعُ عَلَى أَبوَابِ الدُّورِ، لَا يُؤذُونَ أَحَدًا. وَيَأْخُذُ الرّجُلُ الْمُدَّ الْقَمْحَ، فَيَبذُرُهُ بِلَا حَرْثٍ، فَيَجِيءُ مِنهُ سَبعْمَائةَ مُدٍّ»[2]، فَيَمْكُثُونَ فِي ذَلِك حَتَّى يُكْسَرَ سَدُّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، فَيَمْرَحُونَ ويُفسِدُونَ، فَيَبعَثُ اللهُ دَابَّةً مِن الأَرضِ، فَتَدخُلُ فِي آذَانِهِم، فَيُصْبِحُونَ مَوتَى أَجْمَعِينَ، وتَنْتُنُ الأَرضُ مِنهُم، فَيُؤذُونَ النَّاسَ بِنَتَنِهِم، فيَسْتَغِيثُونَ بِاللهِ، فَيَبعَثُ اللهُ رِيحًا يَمَانِيَّةً غَبْرَاءَ، وَتَكشِفُ مَا بِهِم بَعْدَ ثَلَاثَةٍ، وَقَد قَذَفَتْ جِيَفَهُم فِي البَحرِ»[3]، وَلَا يَلْبَثُونَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[4].

ولَه فِيهِ - أَيْضًا - فِي المُختَارَةِ عَن بُرَيدَةَ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ رِيحًا يَبعَثُهَا عَلَى رَأسِ مِائَةِ سَنَةٍ تَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ»[5].

وَلِابنِ أَبِي شَيبَةَ: عَنِ ابْنِ عَمرٍو ﷺ؛ أَنَّه قَالَ لِرَجُلٍ مِن أَهلِ العِرَاقِ: «هَلْ تَعْرِفُ أَرْضًا فِيكُم كَثِيرَةُ السِّبَاخِ، يُقَالُ لَهَا كُوثَي.

---

(١) أخرجه: الحاكم رقم (٨٦١٣) بلفظ: «وَلَهُ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ عَرْضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا».

(٢) أخرجه: نعيم بن حماد في الفتن رقم (١٦١٩).

(٣) أخرجه: نعيم بن حماد في الفتن رقم (١٦٥٥).

(٤) أخرجه: نعيم بن حماد في الفتن رقم (١٨٤٣).

(٥) أخرجه: الحاكم رقم (٨٤١١).

قُلتُ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْهَا يَخْرجُ الدَّجَّالُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ لِلأَشْرَارِ بَعْدَ الأَخيَارِ عِشرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ، لَا يَدْرِي أَحدٌ مِن النَّاسِ مَتَى يَدخُلُ أَوَّلُهَا؟»[١].

وَقَالَ: ثَنَا وَكِيعٌ: عَن إِسمَاعِيلَ: عَن خَيْثَمَةَ، عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو، قَالَ: «يَبْقَى النَّاسُ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ»[٢].

وقَالَ عَبدُ بنُ حُمَيدٍ: نَا يَزِيدُ بنُ هَرُونَ: نَا إِسْمَاعِيل بنِ أَبِي خَالدٍ: سَمِعتُ أَبَا خَيثَمَةَ يُحَدِّثُ عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو، قَالَ: «يَبْقَى النَّاسُ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ»[٣].

ولأَبِي نُعَيم: عَن عَبْسَةَ بنِ عَمرٍو، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَعْبُدَ الْعَرَبُ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ آبَاؤُهَا عِشْرِينَ وَمَائَةَ سَنَةً، بَعْدَ نُزُولِ عِيسَى بْنِ مَرَيَمَ»[٤].

وَلِلحاكِم: عَن بُرَيدَةَ ﷺ مَرفُوعًا: مَعنَاه.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: ابن أبي شيبة رقم (٣٧٥١١).

(٢) أخرجه: ابن أبي شيبة رقم (٣٧٦٠٠).

(٣) أخرجه: نعيم بن حماد في الفتن رقم (١٩٧٩).

(٤) أخرجه: نعيم بن حماد في الفتن رقم (١٦٦٧).

بَابُ فِي سُكْنَى الْمَدِينَةِ وَعِمَارَتِهَا قَبلَ السّاعَةِ

ولِمسلِم عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَبْلُغُ الْمَسَاكِنُ إِهَابَ - أَوْ يَهَابَ - ».

قَالَ زُهَيْرٌ: قلتُ لسُهَيْلٍ: فَكَم ذَلِك مِن الْمَدِينةِ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا مِيلًا[(١)].

ولأَبِي دَاوُدَ عَن ابنِ عُمَر ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُحَاصَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، حَتَّى يَكُونَ أَبْعَدَ مَسَالِحِهِمْ سَلَاحِ»[(٢)].

قالَ الزُّهَرِيُّ: وسلاحُ قَرِيبٌ مِن خَيبَر[(٣)].

ولِمُسلِم: عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «يَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَافِي - يُرِيدُ عَوَافِيَ السِّبَاعِ وَالطَّيرِ - ثُمَّ يَخْرُجُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بِغنَمِهِمَا، فَيَجِدَانِهَا وَحْشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا»[(٤)].

ورَوَى عُمَر بن منبِّه عَن سُلَيْمَانَ بنِ الوَلِيدِ بْنِ مُسلِم عَن ابْنِ لَهِيعَةَ عَن أَبِي الزُّبَيرِ، عَن جَابرٍ عَن عُمَرَ ﷺ يَقُولُ: إِنَّه سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ أَهلُ الْمَدِينَةِ مِنْهَا، ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيهَا، فَيُعَمِّرُونَهَا حَتَّى تَمْتَلِئَ، ثُمَّ يَخرُجُونَ مِنهَا، فَلَا يَعُودُونَ إِلَيهَا أَبَدًا».

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٠٣).

(٢) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٥٠).

(٣) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٥١).

(٤) أخرجه: مسلم رقم (١٣٨٩).

وَلَه مِن حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ نَحوُه.

وَلَه عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَكُونَنَّ بِالْمَدِينَةِ مَلْحَمَةٌ يُقَالُ لَهَا الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ حَالِقَةُ الشَّعْرِ، وَلَكِنْ حَالِقَةُ الدِّينِ، فَاخْرُجُوا مِن الْمَدِينَةِ وَلَو عَلَى قَدرِ بَرِيدٍ».

ولِمُسلِم: عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ»[(١)].

وَلَه عَنه ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ»[(٢)].

ولِلبُخَارِي: عَن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا»[(٣)].

وقَالَ أَبُو عُبَيدٍ: ثَنَا يَزِيدُ بنُ هَرُون، عَن هِشَامِ بنِ حَسَّان، عَن حَفْصَةَ، عَنْ أَبِي العَالِيَةِ، عَن عَلِيٍّ ﷺ فِي حَدِيثٍ: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِهَذا الْبَيْتِ قَبلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، وَكَأَنِّي بِرَجُلٍ مِنْ الْحَبَشَةِ أَصْعَل، أَصْحَم، حَمْشَ السَّاقَيْنِ. قَاعِدٌ عَلَيْهَا وَهِيَ تُهدَمُ».

قَالَ الأَصمَعِيُّ: «قوله: «أَصْعَل» كَذَا يُروَى، فَأَمَّا كلامُ الْعَرَب، فهُو: «صَعِلٌ» بِغَير أَلفٍ، وَهُو الصَّغِيرُ الرَّأْسِ»[(٤)].

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٥٧).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٠٩).

(٣) أخرجه: البخاري رقم (١٥٩٥).

(٤) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٣/ ٤٥٤).

وَلأَبِي دَاوُد الطَّيَالِسِي عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَأَنِّي يُبَايَعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَحِلُّ هَذَا الْبَيْتَ أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ ثُمَّ يَجِيءُ الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ»(١).

ولِمسلم: عن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ ﷺ، قال: «يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَاكَ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدْيٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا»(٢).

قُلْتُ لأَبِي نَضْرَةَ وَأَبِي الْعَلَاءِ: أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقَالَا: لَا(٣).

ولَه ﷺ عَن أَبِي سَعِيدٍ وَجَابِرٍ ﷺ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلَا يَعُدُّهُ»(٤).

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

---

(١) أخرجه: الطيالسي رقم (٢٤٩٤).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٢٩١٣).

(٣) أخرجه: مسلم رقم (٢٩١٣).

(٤) أخرجه: مسلم رقم (٢٩١٤).

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمَهْدِيِّ

ولأبِي داودَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﵂، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، هَارِبًا إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثُ جَيْشٍ مِنَ الشَّامِ فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ، وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَخْوَالُهُ كَلْبٌ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثًا، فَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ، وَالْخَيْبَةُ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ، فَيَقْسِمُ الْمَالَ، وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، وَيُلْقِي الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ إِلَى الْأَرْضِ، فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»(١).

وذكر ابن شَبَّةَ عَن مُوسَى بنِ إِسمَاعِيل، ثنا حَمَّادُ بن سلَمَة، ثنَا أَبو الْمُهَزِّمِ عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﵁، قَالَ: «يَجِيءُ جَيْشٌ مِن قِبَلِ الشَّامِ حتَّى يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ، فَيُقَاتِلُ الْمُقَاتِلَةَ، ويَبْقُرُون بُطُونَ النِّسَاءِ، وَيَقُولُونَ لِلْحُبْلَى فِي البَطنِ: اقْتُلُوا صَافَةَ السُّوءِ. فَإِذَا حَلُّوا البَيدَاءَ مِن ذِي الْحُلَيفَةِ خُسِفَ بِهِم، فَلَا يُدْرِكُ أَسْفَلُهُم أَعْلَاهُم، وَلَا أَعْلَاهُم أَسْفَلَهم». قَالَ أَبُو الْمُهَزِّمِ: فَلَمَّا جَاءَ جَيشُ حُبَيشِ بنِ دُلْجَةَ: قلنَا: هُم، فَلَم يَكُونُوا هُمْ(٢).

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٨٦).

(٢) انظر: تاريخ المدينة لابن شبة (١/ ٢٧٩).

ولمسلِم: عَن أمّ سَلَمَة ﵂، وَسُئِلَت عَن الجَيشِ الَّذِي يُخسَفُ بِه، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّام ابْنِ الزُّبَيْرِ ﵁، فَقَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَعُوذُ بِالْبَيتِ عَائِذٌ، فَيُبْعَثُ إِلَيهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيدَاءَ مِن الأَرضِ خُسِفَ بِهِم»، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا؟ قَالَ: «يُخسَف بِهِ مَعَهم، وَلَكِنَّه يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ»(١).

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: هِيَ بَيْدَاءُ الْمَدِينَةِ، فَقَال لَه عَبدُ العَزِيزِ بنُ رَفِيعٍ: إِنَّمَا قَالَت: بِبَيدَاءَ مِن الأَرضِ. فَقَالَ: كَلَّا، وَاللهِ إِنَّها لَبَيدَاءُ المَدِينَةِ(٢).

ولأبي دَاوُدَ: عَن أَبِي سَعِيدٍ ﵁، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ، وَإِلَّا فَتِسْعٌ، تَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَم يَسمَعُوا مِثْلَهَا قَطُّ، تُؤْتَى أُكُلَهَا وَلَا تَتْرُكُ مِنهُ شَيْئًا، وَالْمَالُ يَوْمَئِذٍ كُدُوسٌ، يَقُومُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي، فَيَقُولُ خُذْ»(٣).

وَلَه عنه ﵁، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ»(٤).

وعن عبد الله، عن النّبيّ ﷺ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ» - قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ - لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ الله

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٨٢).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٢٨٨٢).

(٣) أخرجه: ابن ماجه رقم (٤٠٨٣).

(٤) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٨٥).

رَجُلًا مِنِّي - أَوْ «مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي». صحّحه التِّرمذي[١].

وله وحسَّنَه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نَبِيِّنَا حَدَثٌ، فَسَأَلْنَا النبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ فِي أُمَّتِي المَهْدِيَّ يَخْرُجُ يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا» - زَيْدٌ هُو الشَّاكُّ - قَالَ: قُلْنَا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: «سِنِينَ، فَيَجِيءُ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي قَالَ: «فَيَحْثِي لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ»[٢].

وروَى الشَّافِعِيُّ، عَن أَنسٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا، وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، وَلَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى بنُ مَرْيَمَ»[٣].

رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ عَن الجنْديِّ. قَالَ الحَاكِمُ: مَجهُولٌ. واخْتُلِفَ عَلَيهِ فِي إِسنَادِهِ: فتَارةً يَروِيهِ عَن أَبَّان؛ عَن ابنِ عَيَّاشٍ، عَن الحَسَنِ، عَن النَّبيِّ ﷺ مَعَ ضَعفِ أَبَّان. وَتَارةً عَن الحَسَنِ، عَن أَنَسٍ ﷺ. فَهُو مُنفَردٌ بِهِ، مجهول عن أبَّان، متروك عن الحسن، منقطع.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٢٨٢)، والترمذي رقم (٢٢٣٠).

(٢) أخرجه: الترمذي رقم (٢٢٣٢).

(٣) أخرجه: ابن ماجه رقم (٤٠٣٩).

بَابُ ذِكْرِ الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَم وَالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ

وعن ابن عمر ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا تَرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعْرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعٌ يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الرَّجُل؟ فَقَالُوا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ، وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلًا جَعْدًا قَطَطًا، أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِابْنِ قَطَنٍ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ»[1].



(١) أخرجه: مسلم رقم (١٦٩).

بَابٌ مِن أَحَادِيثِ الدَّجَّالِ

وَلِابن أَبِي شَيْبَةَ عَن ابنِ عَبَّاسٍ ﵄: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الدَّجَّالَ أَعْوَرُ، أَجْعَدُ، هِجَان، أَحْمَرُ، كَأَنَّ رَأْسَهُ غُصْنَةُ شَجَرَةٍ، أَشْبَهُ النَّاسِ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ»(١).

ولأبي داود الطّيالسي، عن أبي هريرة ﵁، عن النّبيّ ﷺ قال: «أَمَّا مَسِيحُ الضَّلَالَةِ فَإِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، عَرِيضُ النَّحْرِ، فِيهِ انْدِفَاءٌ، مِثْلُ قَطَنِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى» فَقَالَ الرَّجُلُ: يَضُرُّنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ شَبَهُهُ؟، فَقَالَ: «لَا، أَنْتَ مُسْلِمٌ، وَهُوَ كَافِرٌ»(٢).

وَلِابنِ مَاجَه بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَن أَبِي بَكْرٍ الصِّديقِ ﵁، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ، يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ»(٣).

ولأَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيّ فِي مُسنَدِهِ: عَن سَفِينَةَ ﵁ مَرفُوعًا: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، أَلَا وَإِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الشِّمَالِ وَبِالْيُمْنَى ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ...» الحديث(٤).

ولأَبِي دَاوُدَ فِي سُنَنِه، عَن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ ﵁: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ، أَفْحَجُ، جَعْدٌ، أَعْوَرُ

---

(١) أخرجه: ابن أبي شيبة رقم (٣٧٤٧٠).

(٢) أخرجه: الطيالسي رقم (٢٦٥٥).

(٣) أخرجه: ابن ماجه رقم (٤٠٧٢).

(٤) أخرجه: الطيالسي رقم (١٢٠٢).

مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ، وَلَا حَجْرَاءَ، فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ ﷻ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[(١)].

ولِابْنِ أَبِي شَيبَةَ: عَن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُب، عَن النَّبِيِّ ﷺ - وَذَكَرَ الدَّجَّالَ - قَالَ: «وَإِنَّهُ مَتى يَخرُجُ فَإِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ اللَّهُ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَلَيْسَ يَنْفَعُهُ صَالِحٌ مِنْ عَمَلٍ سَلَفَ، وَمَنْ كَفَرَ بِهِ وَكَذَّبَهُ فَلَيْسَ يُعَاقَبُ بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلٍ سَلَفَ، وَإِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا إِلَّا الْحَرَمَ وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ؛ وَإِنَّهُ يَحْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ» الحَدِيثَ[(٢)].

وَزَادَ التِّرمِذيُّ: فِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ ﷺ - عِندَ ذِكرِ يَأجُوجَ وَمَأْجُوجَ: «ويَسْتَوْقِدُ النَّاس مِن قِسِيِّهم ونُشَابِهِم وجِعَابِهم سَبْعَ سِنِيْن»[(٣)].

ولِلبزَّارِ عَن حُذَيفَةَ ﷺ، قَالَ: كنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَر الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «لَفِتْنَةُ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ لَيْسَ مِنْ فِتْنَةٍ صَغِيرَةٍ، وَلَا كَبِيرَةٍ إِلَّا تَتَّضِعُ لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ فَمَنْ نَجا مِنْ فِتْنَةِ مَا قَبْلَهَا فَقَدْ نَجا مِنْهَا، وَاللَّهُ لَا يَضُرُّ مُسْلِمًا، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ»[(٤)].

وَلِابنِ مَاجَه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٤٣٢٠).

(٢) أخرجه: ابن أبي شيبة رقم (٣٧٥١٣).

(٣) أخرجه: الترمذي رقم (٢٢٤٠).

(٤) أخرجه: البزار رقم (٢٨٠٧).

الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ: ارْجِعُوا فَسَنَحْفِرُهُ غَدًا، فَيُعِيدُهُ اللَّهُ - تعالى - أَشَدَّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللَّهُ - تعالى - أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - فَاسْتَثْنَوْا -، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيَسْقُونَ الْمَاءَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ عَلَيْهَا الدَّمُ الَّذِي اجْفَظَّ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ نَغَفًا فِي أَقْفَائِهِمْ، فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا »، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ، وَتَشْكَرُ شَكَرًا، مِنْ لُحُومِهِمْ »[1].

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٤٠٨٠).

بَابٌ فِي خُرُوجِ الدَّابَّةِ

ولابن ماجه: عن بُرَيْدَةَ ﷺ، قَالَ: ذَهَبَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِلَى مَوْضِعٍ بِالْبَادِيَةِ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ، فَإِذَا أَرْضٌ يَابِسَةٌ حَوْلَهَا رَمْلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ، فَإِذَا فِتْرٌ فِي شِبْرٍ» قَالَ ابْنُ بُرَيْدَةَ: فَحَجَجْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِسِنِينَ، فَأَرَانَا عَصًا لَهُ فَإِذَا هُوَ بِعَصَايَ، هَذِهِ هَكَذَا، وَهَكَذَا»[1].

وله عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، وَعَصَا مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، وَتَخْطِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتِمِ، حَتَّى أَنَّ أَهْلَ الْحِوَاءِ الْخِوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ، فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ»، وحسّنه التِّرمِذِيّ[2].

وروى ابنُ جُرَيجٍ عَن ابْنِ الزُّبَيرِ ﷺ أنَّه وَصَفَ الدَّابَّةَ، فَقَالَ: «رَأْسُهَا رَأْسُ الثَّورِ، وَعَيْنُهَا عَيْنُ الْخِنْزِيرِ، وَأُذُنُها أُذنُ فِيلٍ، وقَرنُها قَرنُ أَيِّلٍ، وَصَدْرُها صدرُ أَسَدٍ. ولَونُها لونُ نَمِرٍ، وخَاصِرَتُها خَاصِرَةُ هِرَّةٍ، وذَنَبُهَا ذَنَبُ كَبْشٍ، وقَوَائِمُها قَوَائِمُ بَعِيرٍ، بَيْنَ كلِّ مَفصلَيْن اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعًا، مَعَهَا عَصَا مُوسَى، وَخَاتَمُ سُلَيْمَان، ولَا يَبقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا نَكَتَتْه بِعَصَا مُوسَى نُكْتَةً بَيْضَاءَ، يَضِيءُ لَها وَجهُهُ، ولَا يَبقَى كَافِرٌ إِلَّا نَكَتَتْ وجهَهَ بِخَاتَمِ سُليمَان، فَيَسْوَدُّ لَهَا وَجْهُهُ، حتَّى أنَّ النَّاسَ يَتَبَايَعُون فِي الأَسوَاقِ: بِكَمْ يَا مُؤمنٌ؟ بِكَمْ يَا كَافرٌ؟ ثُمَّ تَقُولُ لَهُم

---

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٤٠٦٧).

(٢) أخرجه: ابن ماجه رقم (٤٠٦٦)، والترمذي رقم (٣١٨٧).

الدَّابَّةُ: يَا فُلَانُ أَنتَ مِن أَهلِ الْجنَّةِ، ويَا فُلَانُ أَنتَ مِن أَهلِ النَّارِ. وَذَلِكَ قَولُه ﷻ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، [النمل: ٨٢][1].

ولأبِي داود الطّيالسي في مسنده: عن حذيفة ﷺ، قال: ذَكَرَ رسولُ اللهِ ﷺ الدّابَّةَ فَقَالَ: «لَهَا ثَلَاثُ خَرَجَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ: فَتَخْرُجُ فِي أَقْصَى الْبَادِيَةِ وَلَا يَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ - يَعْنِي: مَكَّةَ - ثُمَّ تَكْمُنُ زَمَانًا طَوِيلًا، ثُمَّ تَخْرُجُ خَرْجَةً أُخْرَى دُونَ ذَلِكَ فَيَفْشُو ذِكْرُها فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَيَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ - مكّة -».

قَالَ رسول الله ﷺ: «بَينَمَا النَّاسُ فِي أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ عَلى اللهِ حُرْمَةً، خَيْرِهَا وَأَكْرَمها عَلَى اللهِ - تَعَالَى - الْمَسْجِدِ الْحَرَام، لم يَرعَهُم إِلَّا وَهِي تَرْغُو بَيْن الرُّكنِ والْمَقَام، تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِها التُّرَابَ فَارْفَضَّ النَّاسُ مِنهَا شَتَّى، ويَثْبُتُ عِصَابَةٌ من الْمُؤْمِنِيْن، وعَرَفُوا أَنَّهُم لِم يُعْجِزُوا الله - تعالَى - فَبَدَأَتْ بِهِم، فَجَلَّتْ وُجُوهَهُم حَتَّى جَعَلَتْها كَالكَوَاكِبِ الدُّرِّيِّ، وَوَلَّت فِي الأَرضِ، لَا يُدْرِكُها طَالِبٌ، وَلَا يَنجُو مِنهَا هَارِبٌ؛ حتَّى إِنَّ الرَّجُلَ ليتَعَوَّذُ مِنهَا بِالصَّلَاةِ، فتَأْتِيهِ، فَتَأتِيهِ مِن خَلْفِهِ فَتَقُولُ: يَا فُلَانُ، الآن تُصَلِّي؟ فَتَقْبَلُ عَلَيهِ فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ، ثُمّ تَنْطَلِقُ، وتَشتَرِكُ النّاسَ فِي الأَموَالِ، وَيَصْطَلِحُون فِي الأَمصَارِ، يُعْرَفُ الْمُؤْمِنُ مِن الكَافِرِ، حَتَّى إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ: يَا كَافِر! اقْضِ حَقِّي، وَحَتَّى إِنَّ الكَافِرَ يَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ! اقْضِ حَقِّي»[2].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٦/ ١٧٩).

(٢) أخرجه: الطيالسي رقم (١١٦٥).

وَقَالَ أَبُو القَاسِمِ البَغَوِيُّ: أَنَا عَلِيُّ بنُ الْجَعدِ عَن فُضَيلِ بنِ مَرزُوقٍ الرَّقَاشِيِّ - وسُئِلَ ابنُ مَعِين، فقَالَ: ثِقَةٌ - عَن عَطِيَّة العوفيِّ: عَن ابْنِ عُمَر رضي الله عنهما قَالَ: «تَخرُجُ الدَّابَّةُ مِن صَدعٍ فِي الكَعبَةِ؛ كَجَرْيِ الفَرسِ، ثلاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَخرُجُ ثُلُثُهَا»(١).

ولِمسلم: عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شُمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: عَبْدُ اللَّهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ: عُقْبَةُ هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ».

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَجَلْ، «ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(٢).

وروى حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ»(٣).

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٦/ ١٧٩).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (١٩٢٤).

(٣) أخرجه: أبو داود رقم (٢٤٨٤).

وَكَان مُطَرِّفُ يقُولُ: هُم أَهلُ الشَّامِ[(١)].

قَالَ البَيهَقِي: وَرُوِيَ عَن ابنِ عبَّاسٍ، مِن طُرُقٍ صِحَاحٍ: أَنَّه قَالَ: «الدُّنْيَا سَبْعَةُ أَيَّامٍ، كُلُّ يومٍ أَلْفُ سَنةٍ وبُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي آخِرِهَا».

وصَحَّحَ أَبُو جَعفرٍ الطَّبَرِي هذَا الأَصلَ، وعَضَّدَه بِآثَارٍ[(٢)].

ورَوَى ابنُ أَبِي الدُّنيَا: عَن سَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ، قَالَ: «الدُّنيَا جُمْعَةٌ مِنْ جُمَعِ الآخِرَةِ»[(٣)].

وَقَالَ ابنُ إِسحَاقَ: ثنَا مُحمَّدُ بنُ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَن عِكْرِمَةَ أَو عَن سَعِيدِ ابنِ جُبيرٍ، عَن ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أنَّ يَهُودَ كَانُوا يَقُولُون: مُدَّةُ الدّنيَا سَبعَةُ آلافِ سَنَةٍ، وَإِنَّمَا نُعَذَّبُ بكُلِ أَلْفٍ من أيام الدُّنيَا يَوْمًا وَاحِدًا فِي النَّارِ؛ وَإِنَّمَا هي سَبعَةُ أَيَّام مَعْدُودَة، ثُمَّ يَنقَطِعُ العَذَابُ»، فَأَنزَلَ اللهُ فِي ذَلِك: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البَقَرَة: ٨٠]، إلى قوله: ﴿خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]، أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم[(٤)].

وَقَالَ عَبدُ بنُ حَمِيدٍ: نَا شَبَابَةُ، عَن وَرْقَاء، عَن أَبِي نُجَيحٍ، عَن مُجَاهِد مِثْلُه.

وَلِابنِ أَبِي حَاتِمٍ: عَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: «مَا كَانَ مُنْذُ كَانَتْ الدُّنيَا رَأْسُ مِائَةِ سَنَةٍ، إِلَّا كَانَ عِندَ رَأْسِ المِائَةِ أَمْرٌ، فَإِذَا كَانَ

---

(١) أخرجه: البزار رقم (٣٥٢٤).

(٢) انظر: الروض الأنف للسهيلي (٤/ ٤١٩).

(٣) أخرجه: ابن أبي الدنيا في الزهد رقم (٣٧٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٢٧٧، ٢٧٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٥).

رَأْسُ مِائَةٍ، خَرَجَ الدَّجَّالُ، وَنَزَلَ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ، فَيَقْتُلُه»[1].

ولِمسلِمٍ: عَن جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ ﷺ، عَن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[2].

وَلَه مِن حَدِيثِ جَابرِ بنِ عَبدِ اللهِ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ»[3].

ولَه مِن حَدِيثِ مُعَاوِيةَ ﷺ: «يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ»[4].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٧).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (١٩٢٢).

(٣) أخرجه: مسلم رقم (١٩٢٣).

(٤) أخرجه: مسلم رقم (١٠٣٧).

فهرس الموضوعات

